دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

ديوان صردر

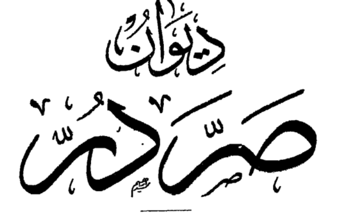
نظم الشاعر

الرئيس أبي منصور عليّ بن الحسن بن عليّ بن الفضل

الشهير بصرّدر

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي



نظم الشاعر

الرئيس أبي منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل

الشهير بصرّ درّ

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

فهرس

قوافى ديوان صَرَّدُرّ

قصائد هذا الديوان غير مرتّبة فى الأصل على الحروف الهجائيّة، فطبعناها كما هى، ووضعنا لها هذا الفهرسَ على الترتيب الهجائى لسهولة المراجعة فى هذه الطبعة، والحروفُ الهجائيّةُ التى لم تُذكَر هنا لا يوجدُ منها شيءٌ للشاعر فى هذا الديوان .

ديوان صَـرَّدُرّ

أخرجتْ دارُ الكتب المصريّة هذا الديوانَ النفيسَ للشاعرِ المشهورِ، والكاتب المعروف "بصَرَّدُرّ" فى عصرِ حضرة صاحبِ الجلالة مليك مصر المعظَّم

"فـؤاد الأوّل"

حفِظـه الله وأقـرَّ عيـنَىْ جلالتـهِ بولىِّ عهـده المحبـوب

"أمـير الصـعيد"

صَـــرّ دُرّ

طالعنا طائفـةً كثيرةً من الكتب الأدبيّة والتاريخيّة لنقف منها على ما تحدّثنا به عن حياة هذا الشاعر، وإنا لنذكر من هذه الكتب "مرآة الزمان" و"النجوم الزاهرة، فى ملوك مصر والقاهرة" و"شذرات الذهب" وتاريخ ابن كثير المسمّى "البداية والنهاية"، وكتاب "وفيات الأعيان" و"المنتظم، فى تاريخ الملوك والأمم" و" الكامل " لابن الأثير. وقد ورد اسم هـذا الشاعر فى بعض هـذه الكتب مضبوطا بالقلم بفتح " الصاد " وورد فى تاريخ " الكامل " و" المنتظم " مضبوطا بضمّها . ويظهـر أنّ المرحوم البارودى كان من المرجّحين ضـبطه بالفتح إذ ضبطه كذلك فى غير موضـع من مختاراته . ونحن ليس لدينا ما نستيقن به وجه الصواب فى ضـبطه . بيْدَ أنّ البيتين اللذين قالها " الشريف أبو جعفر المعروف بالبياضىّ " وهو أحد الشعراء المعاصرين لصاحب الترجمة يهجوه بهما يرجّحان فتح " الصاد "، وهما :

لئن لقّب الناسُ قِدْما أباكَ وسمّوْه من شُحّه "صرّ بعرا"

فإنكَ تنـثُرُ ما " صَـرّه " عُقوقا له وتُسمّيه شِـعرا

* * *

وأمّا سيرة حياته فقد اتفقتْ هـذه الكتب على ترجمة كادت تكون متشابهةً فى جُمَلها وألفاظها، ونحن ننقُلُها هنا عن كتاب " وفيات الأعيان " قال :

"هو الرئيس أبو منصـور علىّ بن الحسن بن علىّ بن الفضل الكاتب المعروف والشاعر المشهور "بصرّ دُرّ"، أحد نجباء عصره، جمع بين جَودة السبك وحُسن المعنى،

وعلى شعره طُلاوةٌ رائقة، وبهجةٌ فائقة، وله ديوانُ شعرٍ صغير، وإنما قيل له "صرَّدُرّ" لأن أباه كان يُلقَّبُ "صرَّبَعْر" لشُحِّه، فلمّا نبغ ولدُه المذكور، وأجاد فى الشعر، قيل له: "صرَّدُرّ"[1].

وكانت وفاتُه سنة خمس وستين وأربعمائة هجرية؛ وكان سببُ موته: أنه تردَّى فى حُفرةٍ حُفرتْ لأسد فى قريةٍ بطريقِ خراسان، وكانت ولادته قبل الأربعمائة". اهـ.

* * *

وقد نُقلت هذه الطبعة عن نسخةٍ خطيّة كتبها لنفسه بقلمه المرحوم محمود سامى البارودى باشا، وهى محفوظةٌ بدار الكتب المصريّة تحت رقم ٥٠٨ أدب. وآحتفاظا بخطه رحمه الله نقلنا له بالتصوير الشمسىّ نبذة بخط يده لتكون خير أثر له على ممرّ الأيام، وهى النبذة المذكورة فى صفحة ٢٣٤

وقد شرحنا ما غمض من الكلمات شرحا وافيا يقرّب معانىَ الأبيات الى الأذهان. ولا يسعنا فى هذا المقام إلا أن نُهدىَ آىَ الشكر الى حضرتَى صاحب العزّة المربّى الكبير محمد أسعد برّاده بك مدير الدار، وصاحب الفضيلة السيّد محمد الببلاوى نقيب الأشراف ومراقب إحياء الآداب العربيّة، لما قاما به نحونا من إرشاد، وما شملانا به من رأيٍ تحيط به الإصالةُ والسداد. ونشير كذلك الى المعاونة التى لقيناها من حضرة الأستاذ أحمد زكى العدوى رئيس القسم الأدبىّ بدار الكتب المصريّة ومن حضرات العلماء والأدباء المصححين به، فلهم منا جميعا أجزل الثناء وأجمل الإطراء.

أحمد نسيم
بدار الكتب المصرية

(١) أول من لقبه بهذا اللقب نظام الملك، كما فى الكامل لابن الأثير.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الرئيسُ [أبو عليّ][1] أبو منصور عليّ بن الحسن بن عليّ بن الفضل الكاتب رحمه اللهُ يمدحُ الإمامَ القائمَ بأمرِ الله[2] — قدَّس اللهُ ضريحَه — :

كما قلتُما : بُرءُ الصبابةِ في اليأسِ ... وليس لنا غيرَ التجلُّدِ من آسِ[3]

فما في الهوى مَرعًى يطيبُ لذائقٍ ... ولا موردٌ عذبٌ يلَذُّ به حاسِ[4]

سؤالُ مغانٍ[5]، ربعُها أخرسُ الصَّدَى[6]، ... وشكوَى إلى مَن قلبُه ليِّنٌ قاسِ

أيبيضُّ فَرعى[7] والجوى في جوانحي ... كأنَّ الهدى ياقلب مسكنُه راسِي

وما هذه اللِّمَّاتُ[8] إلا صحائفٌ ... محاها بياضُ الشَّيبِ عن لونِ قرطاسِ[9]

كأنَّ الرُّقَى مما عدِمتُ شفاءَها ... تعلَّمها الراقون من بعدِ وَسواسِ

مَددتُ يدًا نحو الطبيب فردَّها ... إلى النَّحرِ واستغنى بإخبارِ أنفاسي

وما زال هذا البرقُ حتّى استفزَّني ... سَنًا[10] كلِّ وقّادٍ ولو ضوءُ نبراسِ[11]

وليلِ وِصالٍ أسرعَتْ خُطُواتُه ... بهجعةِ سُمَّارٍ وغفلةِ أحراسِ

---

(١) كذا بالأصل . ولم نجد في المظان ما يؤيد ثبوتها . (٢) القائم بأمر الله : اسمه عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله ، ولد سنة ٣٩١ هجرية وتولى الخلافة سنة ٤٢٣ ه ومات سنة ٤٦٧ ه ؛ ومكث في الحكم ٤٤ سنة . (٣) الآسي : الطبيب . (٤) الحاسي : الشارب .
(٥) مغان : جمع مغنى وهو المنزل . (٦) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت بمثل صوته .
(٧) الفرع : الشعر . (٨) اللمات : جمع لمة — بكسر اللام — وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن .
(٩) القرطاس : الصحيفة . (١٠) السنا : الضوء . (١١) النبراس : المصباح .

فمـا قُصَّ للنَّسرينِ فيـه قوادمٌ (١) (٢) ولا رُبطتْ ساقُ "الثريّا" بأمراسِ (٣) (٤)

ضحـوكٌ ثنيّـاتِ الصّباح تخالُه ضياءَ إمامِ الحقّ من آلِ "عبّاسِ"

هـو الوارثُ النُّور الذى كان آيةً لآبائه المـاضين من عهد "إلياسِ"

فلو لم يكن للنـاس فى الليل راحةٌ لضوّأ (٥) من لألائه كلَّ ديمـاسِ (٦)

كأن " رســولَ الله " ألقَى رداءَه من " القائمِ " الهادِى على جبلٍ راسِ

ضمـيرٌ جلاه صَيقلُ (٧) الحلم والتُّقَى وكفٌّ حباها الله بالجودِ والبـاسِ

ومحتجب بالعــزّ لولا مكانه لرُجَّت نواحى هذه الأرض بالناسِ

زمانُ الورى فى ظلّه وجنـابه كأيَّام تشريق (٨) وليـلاتِ أعراسِ

رعاهم بروض الأمن غِبَّ مخافـةٍ وألبسهم ثوبَ الغنى بعـد إفلاسِ

وراضَ الجَموحَ (٩) للـذَّلولِ (١٠) برفقــهِ فمـا بينهـم إلا موازينُ قِسطاسِ (١١)

حِماهُ هـو البيتُ العتيقُ ، ظباؤه حرامٌ على عَبلِ (١٢) الذراعَينِ فرّاسِ

---

(١) النسران : نجمان يقـال لأحدهما : النسر الطـائر ، وللآخر : النسـر الواقع .
(٢) القوادم : عشر ريشات فى مقـدّم الجناح ، وهى كبار الريش ، والخوافى صغاره وهى تحت القوادم ، واحدها : قادمة . (٣) الثريا : سبعة كواكب ، سميت بذلك لكثرة كواكبها .
(٤) أمراس : جمع مرس وهو الحبل . (٥) ضـوأ : أنار . (٦) الديمـاس : المكان العميق الذى لا ينفـذ إليه الضـوء ، وسمى سجن " الحجاج " بالديمـاس لظلمتـه .
(٧) الصيقل : شحاذ السـيوف وجلاؤها . (٨) أيام التشريق : هى ثلاثة أيام بعد يوم النحر ، لأن لحم الأضاحى يشرق فيهـا . (٩) الجمـوح : الذى لا يثنيه شىء .
(١٠) الذلول : المنقاد . (١١) القسطاس : العدل . (١٢) العبل : الضخم — والمراد به الأسد — .

فلو كان فيـه ناقـةَ اللهِ عاقرا ... أخو "وائِلٍ" ماذاق طعنة "جَسّاسِ" (١)

وما ضرَّ من كان الإمامُ سحابَهُ ... تقاعُـــدُ لَمّاعِ البـوارق رجّاسِ (٢)

لسيّارةِ المعـروف فى صُلبِ مالِهِ ... غنـائمُ لم تُقسم عليهـا بأخمـاسِ (٣)

له من صوابِ الظنِّ بالغيب مخـبِرٌ ... ولا خيرَ فى رأى آمرئٍ غيرِ حسّاسِ

وليس لأحقادٍ ذُكِرنَ بذاكرٍ ... ولا لحقوق الله يُنسَينَ بالنّاسى

ولولاه كانَ الدِّينِ فقْعـا (٤) بقَـرقرٍ (٥) ... يُداسُ بأظلافٍ (٦) ويُفرَى (٧) بأضراسِ

سقاه ميـاه العـــز فآخضرَّ مُورِقًا ... وأينعتِ الأفنـانُ (٨) فى عُودِه العاسى (٩)

فلا تنشُروا للبـاطلِ اليـــومَ رايَةً ... وهل يُنشَر المدفونُ فى قَعرِ أرماسِ (١٠)

---

(١) هو كليب بن ربيعة وهو الذى يقال فيه : أعز من كليب وائل ؛ والشاعر يشير إلى قصتـه وهى بإيجاز : كانت البسوس خالة جساس بن مرة نازلة فى بنى شيبان مجاورة لجساس وكان لهـا ناقة تسمى "سراب" فرت إبل لكليب بسراب هـذه وهى معقولة فى فناء بيتها جوار جساس بن مرة ، فلمـا رأت "سراب" الإبل نازعت عقالهـا حتى قطعته وتبعت الإبل واختلطت بهـا حتى انتهت إلى كليب وهو على الحوض معـه قوس وكنانة ، فلمـا رآها أنكرها ورماها بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهى ترغو ، فلمـا رأتها البسوس ألقت خمارها من على رأسها وصاحت : واذلاه وجاراه ، وأحمست جساسا فركب فرسا له حتى دخل على كليب فطعنه جساس فقصم صلبه ، فقامت الحرب بسبب ذلك وهى الحرب المشهورة بحرب البسوس ؛ والعرب تقول فى ذلك : أشأم من سراب ؛ وأشأم من البسوس . ويقال : إنها دامت بين بنى بكر وتغلب أربعين سنة وانتهت بقتل جساس . (٢) الرجاس : السحاب الشديد الصوت .
(٣) الأخماس : جمع خمس وهو نصيب يؤخذ فى الغنائم ، يقال : ربع فى الجاهلية وخمس فى الإسلام أى أخذ ربع الغنيمة فى الجاهلية وخمسها فى الإسلام . (٤) الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة ؛ يقال للذليـل : هو أذل من فقع بقرقر . (٥) القـرقر : الأرض المطمئنة اللينة .
(٦) أظلاف : جمع ظلف وهو خف البعير ، أو حافر الفرس . (٧) يفرى : يشق و يقطع .
(٨) الأفنـان : الأغصان واحدها فنن . (٩) العـاسى : الذى غلظ وصلب من النبات .
(١٠) أرماس : جمع رمس وهو القبر .

يؤيده الرحمن في كلّ موقف — بنصرٍ يعود الليثُ وهو به خاسِ (١)

جيوشٌ من الأقدارِ تُفني عُداته — بلا ضربِ إيشاخ ولا طعنِ أشناسِ (٢)

وكم شهدَتْ يوماً أغرَّ محجَّلا — تُخلِّده الأقلامُ ذِكرا بأطراسِ (٣)

يُشابِ كلُّ "بدرا" والملائكُ حُضَّرٌ (٤) — ويَذكُرُ جندا أُنزِلتْ يومَ "أوْطاسِ"

وقد علِم المصريُّ أنَّ جنودَه (٥) — سِنُو "يوسفٍ" منها وطاعونُ "عَمْواسِ"

أحاطتْ به حتّى استراب بنفسهِ — وأوجس فيها خيفةً أيَّ إيجاسِ

قصورٌ على "الفسطاط" أضحتْ كأنها (٦) — قفارُ ربوعٍ "بالسَّماوةِ" (٧) أدراسِ (٨)

سهامُ "أميرِ المؤمنين" مكايدٌ — ورُبَّ سهامٍ طرنَ عن غيرِ أقواسِ

هو المصطفِي التقوى متاعاً لنفسه — بجوهرِها حالٍ بسُندُسِها كاسِ

إذا وطِئت شُوسُ الملوك بساطَه — تضاءل منها كلُّ أغلبَ (٩) هِرماسِ (١٠)

تَخِـرُّ بِهِ شُمُّ الجماجم سُجَّدا — ويخشَعُ فيه كلُّ ذي خُلُقٍ جاسِ (١١)

(١) الخاسي : الصاغر الذليل . (٢) ايشاخ وأشناس : كذا بالأصل ولعل الأولى "أشباج" جمع شبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر ؛ والثانية لم نوفق الى مراد الشاعر منها . (٣) أطراس : جمع طرس وهو الصحيفة . (٤) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينة وبهذا الماء كانت الوقعة التي أظهر الله بها الإسلام وفرّق بين الحق والباطل . وأوطاس : واد في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين للنبي صلى الله عليه وسلم . (٥) يشير الشاعر الى الغلاء الذي حصل في مصر أيام المستنصر العباسي . وعمواس : كورة بفلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وفيها كان ابتداء الطاعون في أيام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم فشا في أرض الشام فأهلك خلقا كثيرا وذلك في سنة ١٨ من الهجرة . (٦) الفسطاط : مصر القديمة . (٧) السماوة : بادية بين الكوفة والشام . (٨) أدراس : بالية . (٩) الأغلب : الأسد الغليظ الرقبة . (١٠) الهرماس : الأسد الشديد . (١١) الجاسي : الجافي .

يُحَيُّون من جسم النبوّة بَضعَةً ... هي القلبُ في الحَيزوم[1] والعينُ في الراس

ويَغشَون قَرْما من "لؤيّ بن غالبٍ" ... يعـدِّد في أنسابه كلَّ قِنعاسِ[2]

من الخلفاءِ الرافعين بناءهم ... بأطولِ أعمادٍ وأثبتِ آساسِ

رعَتْ ذممَ الإسلام منهم كوالئٌ[3] ... وسيست أمورُ الملكِ منهم بسُوّاسِ

نجومٌ إذا السارون ضلُّوا هدتهمُ ... هـداية نيرانٍ رُفعن بقُرناسِ[4]

قداحُهُـمُ يومَ الفخار فـوائزٌ ... وأسهمُهم إن نازلوا غيرُ أنكاسِ[5]

همُ ملئوا الدنيا بطيبِ حديثهم ... كما ملأ الأسماعَ قعقاعُ[6] أجراسِ

كرهبانِ ليلٍ لا تلائمُ مضجعا ... وأُسْدِ صباحٍ ما تَقَـرُّ بأخياسِ[7]

وما منهمُ من ملَّك البِيضَ[8] قلبَه ... ولا طمعتْ في لُبّه وثبةُ الكاسِ

عَتادُهم في حجِّهم وجهادهم ... جراجرُ[9] أجمالٍ وتَصهالُ أفراسِ

أولئك آباء الإمامِ ورهطُه ... أصولُ كرامٍ زَيَّنَتْ خيرَ أغراسِ

عَمرتَ "أميرَ المؤمنين" بنعمةٍ ... وعيشٍ صفيقِ[10] الظلِّ أخضرَ ميَّاسِ

ولا زالت العلياءُ عندك وفدُها ... يروح بأنواعٍ ويغدو بأجناسِ

---

(١) الحيزوم : الصدر. (٢) القنعاس : الرجل الشديد المنيع . (٣) الكوالىء : الحفاظ .

(٤) القرناس — بكسر القاف وضمها — : شبه الأنف يتقدّم من الجبل . (٥) الأنكاس : السهام الضعيفة التي ينكسر فوقها، واحدها : نكس — بكسر النون — (٦) في الأصل هكذا "تقاع".

(٧) الأخياس : بيوت الآساد، واحدها خيس . (٨) البيض : الجوارى الحسان .

(٩) الجرجرة : ترديد صوت البعير في حنجرته ، والتصهال : الصهيل وهو صوت الفرس .

(١٠) الصفيق : الثخين المنسوج نسجا متينا ؛ وهو مجاز .

أبحتَ حِمَى الإحسانِ حتّى أصابه … معاشرُ من نَيــل المنى غيرُ أكياسِ

وما نعـــمةٌ إلا أفضتَ لباسَهــا … على من عهدناه لها غيرَ لبَّاسِ

مواهبُ فيهــا لابنِ حِصنٍ وحابسٍ … نصيبٌ، فهــلَّا مثلُه لابن مِرداسٍ، ؟

فــالى وبحرُ الفضل عنــدك زاخرٌ … يطاوَل فى دار المُقــامة أحلاسى[1] ! !

إذا رُفِعت نارُ القِرَى لك أُوقدتْ … مَصابيحُ لم يُستدنَ فيهنَّ مِقبــاسى

أعوذُ بواديك المقــدَّس أن أرى … فريسةَ قنّاصٍ من الدهرِ نهَّــاسِ[2]

بلا رِقبـــةٍ جَــورُ الزمان وعدلُهُ … وتحريجُــــه جارٍ على غيرِ مقياسِ

فإن تصطنـعْ نُعْمى فأنتَ وليُّهــا … وهيهات تُقضَى من رجائك أحلاسى[3]

تنال بأدنى القولِ منك مدَى العلا … ولا عجبٌ أن يُحضر الدُّرُّ بالمــاسِ

وإن كان ثدىُ الجود عندك حافلا[4] … فقـــد يُمترَى[5] دَرُّ اللَّبون[6] بإبساسِ[7]

تعامت لنــا الأيامُ عنك وأبلستْ[8] … نوائبُهــا عن قصــدها أىَّ إبلاسِ

فليست صروفُ الدهرِ ـ مادمت سالما … مُعاشرَ أهليهــا ـ بخــوفٍ ولا باسِ

---

(١) أحلاس : جمــع حلس وهو كل شىء ولى ظهر البعــير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج ، وفى الأصل : * ومالى وبحر الفضل عنــدى * الخ وحلاسى بدل أحلاسى ولعل ما رجحناه أقرب الى الصواب . (٢) النهاس — بالمهملة — : النهاش — بالمعجمة — (٣) أحلاس : جمع حلس وهو الرابع من سهام الميسر وله غنم أربعة أنصباء ؛ والحلس أيضا العهد والميثاق . (٤) حافلا : ممتلئا . (٥) يمترى : يحلب . (٦) اللبون : كثيرة اللبن . (٧) الإبساس : دعاء الناقة للحلب . (٨) أبلس : تحير ولم يهتد .

*
* *

وقال يمدح رئيس الرؤساء أبا القاسم بن المسلمة[1] :

لو كنتُ أُشفقُ من خضيبِ بنانِ ... ما زرتُ حيَّكُمُ بغيرِ أمانِ
يا صبوةً دبَّت إليَّ خديعةً ... كالخمر تسرقُ يقظةَ النشوانِ
أُنظرْ فما غضُّ الجفون بنافعٍ ... قلبًا يرى ما لا ترى العينانِ
ولقد محا الشَّيبُ الشبابَ وما محا ... عهدَ الهوى معه ولا أنسانى
فعلمتُ أن الحبَّ فيه غَوايةٌ ... مقتالةٌ للشِّيب والشُّبّانِ
ما فوق أعجازِ الركابِ رسالةٌ ... تُلهى، ففيمَ تحيّةُ الرُّكبانِ؟!
عذرا، فلو علموا جواك لساءلوا ... غِزلانَ "وَجرةَ"[2] عن غصون البانِ
قُولا لكُثبان "العقيق"[3] : تطاولى ... دون "الحِمَى" أقدُرْك بالطَّمَحانِ
وليَنسفَنَّ الرملَ زَفرةُ مدنفٍ ... إن لم يُعِنْهُ الدمع بالهملانِ
عَجِل الفريقُ وكلُّ طَرفٍ إثرَهم ... متعثِّرُ اللحظاتِ بالأظعانِ[4]
وكأنما رُدْناىَ[5] يومَ لقيتُها ... بالدمع قد نُسجا من الأجفانِ
كلَّفْ تجلُّدِىَ الذى يسطيعهُ ... هل فىَّ إلّا قدرةُ الإنسانِ

---

(١) هو على بن الحسين كان فى بيت رياسة ومكانة استكتبه القائم بأمر الله العباسى ثم استوزره ولقبه "رئيس الرؤساء" . ولد فى شعبان سنة ٣٩٩ هجرية وقتل سنة ٤٥٠ ، وله تاريخ طويل يرجع اليه فى مظانه . (٢) وجرة : موضع بين مكة والبصرة مكتظ بالوحش . (٣) الكثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل ، والعقيق : ناحية بالمدينة . (٤) الأظعان : الإبل تحمل النساء ، أو هى الهوادج يجلسن فيها . (٥) الردن : الكم .

ولئن فررتُ من الهـوى بحُشاشتى ... فالحبُّ شـرٌّ متالف الحيـوانِ

يدرى الذى نضح الفـؤاد بنَبْله ... أن قد رمى كَشحيْهِ (١) حين رمانى

لو لم تكن عينى على أطـلالهم ... عُقِرتْ لمـا سَفَحتْ بأحمرَ قانى

متأولين على الجفـون تجنِّيا ... فالدمع يُمطـرُهم بـذى ألوانِ

ولو آنـه ماءٌ، لقالوا : دمعُـهُ ... رِيقٌ، وجفنـا عينِـه شَـفَتانِ

ظمئى إلى ماء "النُّقَيْبِ" (٢) لأنَّـه ... وِرْدُ اللَّمَى (٣) ومناهـلُ الأغصـانِ

ولَنِعمَ هينمـة النسيم محـدّثا ... عن طِيبِ ذاك الجيبِ والأردانِ (٤)

إن لم يكن سهلُ "اللوى" (٥) وحزونُهُ ... وطـنى فإنَّ أنيسَـه خُـلَّانى

ولو آنهم حلُّوا "زرودَ" (٦) منحتُـهُ ... كَلَفِى وقلتُ : الدارُ بالجـيرانِ

عُلَقٌ تَلاعبُ بى ورُبَّ لُبانـةٍ ... "شاميَّةٍ" شغَفتْ فؤادَ "يمـانى"

هل تُبلِغنِّى دارَهُـمْ مزْمومـةٌ ... بالشـوقِ موقَرةٌ (٧) من الأشجانِ؟

فعسى أميلُ إلى القِبابِ مناجيا ... بضمائـرٍ ثقُلتْ عـلى الكتمانِ

وأطـاردُ المُقَـلَ اللـواتى فتكُها ... يَمْـلى عـلىَّ مَقاتل الفُـرسانِ

متجاذبين من الحـديث طرائفـا ... يُصغِى لطيبِ سماعِها النِّضوانِ (٨)

---

(١) الكشح : ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو أقصر الأضلاع . (٢) النقيب : موضع بين تبوك ومعان . على طريق حاج الشام . (٣) اللمى : سمرة فى باطن الشفة . (٤) الأردان : جمع ردن وهو الكم . (٥) اللوى : واد من الأودية وهو بعينه . (٦) زرود : اسم رمال بطريق الحاج من الكوفة . (٧) موقرة : مثقلة . (٨) النضو : المعيي المهزول من الإبل .

كرِّرْ لحاظكَ فى الحُدوجِ (١) فبعدها　　هيهات أنْ يتجاور الجيَانِ

من بعـــد ما أرغمتُ أنفَ رقيبهم　　حَنَقا وخُضتُ حميَّـــة الغَـــيْرانِ

وطرقتُ أرضَهُمُ ، وتحتَ سمـائها　　ــ عددَ النجومِ ــ أسنةُ الخُرصانِ (٢)

أرضٌ جَداولُها السـيوف وعُشبُها　　نَبْـعٌ (٣) وما ركزوا من المُـرّانِ (٤)

فى معشرٍ عشِـقوا الذُّحولَ (٥) وآثروا　　شُـــربَ الدماءِ بها على الألبانِ

قومٌ إذا حيَّا الضـيوفُ جِفـانَهم　　ردَّتْ عليهـمْ ألسنُ النـيرانِ

وإذَا شَـواةُ (٦) الرأسِ صـوَّحَ نبتُهـا　　نعلى قضاءِ مآربٍ منْ شانِ

ولتَعلَمنَّ البيـــدُ أنَّ جِباهَها　　موســـومةٌ بالنَّصِّ (٧) والوخَـــدانِ

يُزجَرْنَ أمثالَ القِـــداحِ ضَوامرا　　ويُرحْنَ أمثـالَ القِسىِّ حـــوانى

أو ينتهينَ إلى جنابٍ ترتـــمى　　فيـــه الوفودُ منابتَ الإحسانِ

ربُّ المآثرِ والمحـامـــدِ ربُّـــه　　وولىُّ بِـكرِ صـــنيعةٍ وعَـــوانِ (٨)

تلقَ الجبـابرةُ المصـاعبُ وجهَـهُ　　بجمـاجمٍ تحنـــو عـــلى الأذقانِ

متهافتـــين على الصَّعيدِ كأنَّهـــم　　شربـــوا بهيبتِـــهِ سُلافَ دِنانِ

وطِئُـوا سَنابكَ خيـــله بشفاههم　　قُبَـــلا وجلَّتْ عنهـم القَـــدمانِ

---

(١) الحدوج : مراكب النساء وهى الهوادج أو المحفات . (٢) الخرصان : الرماح ، واحدها خرص ــ بتثليث الخاء ــ . (٣) النبع : شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام . (٤) المران : الرماح . (٥) الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . (٦) الشواة : جلد الرأس . (٧) النص والوخدان : ضربان من السير . (٨) العوان : الثيب .

حتى إذا صدَعوا السُّرادقَ أطرقت ... تلك اللواحــظُ عن أغرَّ هِجانِ (١)

قـد أيقنتْ قِمَمُ (٢) المـلوك بأنه ... إن شاء طلَّقها من التيجانِ

خَطْـرًا أبا قَرْعَى (٣) الفِصال مُقاربا ... إن القُــروم (٤) أحقُّ بالخطَـرانِ

فذروا "الحمى" يرعَى بـه متخمِّطٌ (٥) ... تُخشَى بوِدارهُ عـلى الأقـرانِ

ما بين ساعده المصــورِ (٦) محـرَّمٌ ... فتعرّضــوا لفريســةِ السِّرحانِ (٧)

لا مَطعَـمٌ لبُغـاثِـكم فى مأزِقٍ (٨) ... حامت عليــه كواســرُ العِقبانِ (٩)

لمُجلس الشــرقىّ أبعـدُ غايــة ... فى يوم مَلحَمــةٍ ويــومِ رِهانِ

فركابُه ماتَنــثنى بأزِمّــةٍ ... وجيادُه ما ترعــوِى بعِنانِ

هِمَمٌ كما سرت الـبروقُ خواطفـا ... فى حاصبٍ (١٠) أو عــارِضٍ (١١) هتّـانِ

وعزائمٌ رُبِيَتْ وأطــرافَ القنا ... وظُبا الســيوفِ وارضِعت بلبـانِ

إن الورى لمـا دعــوْه "جَمالَهم" ... حلُّوا من العلياءِ خــيرَ مكانِ

وأتتْ به "عدنانُ" فى أحسابهـا ... حتى أقــرّ لهـا بنـو "قَحطانِ"

مجـــدٌ أطـلَّ على الزمان وأهـلِهِ ... متقيِّــلٌ فى ظِــلِّه الثَّقلانِ

---

(١) الهجان: الكريم. (٢) القمم: الرءوس. (٣) قرعى: جمع قريع والقرعى من الفصال: التى أصابها قرع وفى المثل: "إستنت الفصال حتى القرعى" يضرب للضعيف الذى يتشبه بالأقوياء. (٤) القرم: الفحل العظيم. (٥) المتخمط: الفحل الهادر. (٦) المصور: الكاسر. (٧) السرحان: الذئب. (٨) المأزق: المضيق. (٩) العقبان: جمع عقاب وهى طائر من الجوارح، وهى حادة البصر ولهذا قالت العرب: «أبصر من عقاب». (١٠) الحاصب: الريح الشديدة تحمل التراب والحصباء. (١١) العارض: السحاب المعترض فى الأفق.

ومفاخــــرٌ مشهودةٌ يَقضِى لهــا … يومَ النفار ســـواجِعُ الكُهّانِ
من ذا يحــاذبه الفخارَ وقــد لوى … أطنــابَه فى "يَذبُلٍ" "وأبانِ"[(١)]
طَلّاب ثأرِ المجــد وهـــو مدفَّعٌ … بين اللئــام مسَـــقَّه الأعوانِ
لم يرضَ ما سنّ الكرامُ أمامَـــه … حـــتى أتى بغـــرائبٍ ومَعـانِ
نسخت فضــائلُه خِلالَهـــم التى … نجحـــوا بهــا فى سالف الأزمانِ
فهى المنــاقبُ، لو تقــدّم ذكرُها … تُليتْ مَثانِيهن فى القـــرآنِ
يعطيـــك ما حَرَم الجــوادُ، ودينُه … أن الـــثراءَ وعُدْمَهُ ســـيّانِ
وإذا رجالٌ حصَّـــنوا أموالَهـــم … جعَـل المواهبَ أوثقَ الخُـــزّانِ
كم أزمــــةٍ ضحِكت بهــا أنواءُه … والغيثُ لا يــلوِى على ظمـــآنِ
من راحتيه نوافــلٌ[(٢)] ومنــائحٌ … ومن القـــلوب مطامــعٌ وأمانى
لحـذارِ أن يطغَى السؤالُ بطالبٍ … رفــدًا فيركــبَ غاربَ الطُّوفانِ
وأَصبْتُ، قد يَحكى السحابُ نوالَه … لكنَّ ذا ناءٍ وهـــذا دانِ
وقرنتُــه بالبحــر يقــذِفُ باللُّهَى[(٣)] … ونسيتُ ما فيه من الحَـــدَثانِ
وذكرتُ ما فى الليثِ من سَـطَواته … ولربّمــا وَلّى عن الأقـــرانِ
لا تعـــدَم الأزمانُ رأيَـــك إنه … فى ليلهــا ونهــارها القمـــرانِ

---

(١) يذبل وأبان : جبلان . (٢) النوافل : جمع نافلة وهى العطية . (٣) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا .

رأىٌ سقَى اللهُ الخــلافةَ صــوبَهُ ورمى بصاعقـــهِ ذوى الشّــنآنِ (١)

نُجْحا بنى "العبّاس" إن قنــاتَكم هُزّتْ بأحـــذقِ ساعدٍ بطعــانِ

جَــدٌّ أمـــدّ عديدَكم من غِيـــله (٢) بأشــدَّ من أسَــدِ العرينِ الجـانى

يحمى ذمارَكُــمُ بغـــير مســاعدٍ ويحـــوط سَرحَكُمُ بلا أعـــوانِ

وثباتُه العـــزم الذليق (٣) إذا ســطا وزئيره حُـــكْمٌ وفصـــلُ بيــانِ

مســتلِئم (٤) بجَنــانه وبنــانِهِ ولســانه ، مِضـــرابةٍ مِطعــانِ

لمـا رأى — والحزمُ ينفعُ أهلَه — عَوْدَ (٥) الخلافةِ ضــاربًا بجـــرانِ ،

والسيفَ لم يَرْكُضْ بكفّىْ ضاربٍ والرمحَ لم يَطمحْ بعينِ ســنانِ ، :

داوَى عيــاءَ الداءِ ساحرُ رفقِــهِ والنّقْبُ (٦) يَشـــفيه هِنَــاءُ (٧) الهـانى

حــتى إذا برح الخفــاءُ وسفَّهتْ حِلمَ الحلـــيمِ حفيظةُ الغضـــبانِ ،

ورأى الهَـــوادَةَ (٨) مَرْوَةً (٩) مقـــروعةً والسّـــلم مطعمةَ العـــدوّ الوانى ، :

نادَى فلبّــاه صهيلُ ســوابقٍ وأطيـــطُ (١٠) كلِّ حنيّـــةٍ مِرنانِ (١١)

وفوارسٌ يَصلَوْنَ نيرانَ الوغى ممــا تُثــيرُ جيــادُهم بدخانِ

---

(١) الشنآن : العداوة والبغض . (٢) الغيل والعرين : مربض الأسد ، ومن معانى الأول : الشجر الكثير الملتف ، والأجمة . (٣) الذليق : الشديد ، وفى الأصل : "الذلوق" . (٤) مستلئم : متدرع . (٥) العود : الجمل المسن ، والجران : عنق البعير من مذبحه إلى منحره . (٦) النقب : الجرب . (٧) الهناء : القطران ، والهانئ : الطالى بالهناء . (٨) الهوادة : اللين والرفق . (٩) المرو : حجارة صلبة براقة ، واحدها : مروة . (١٠) الأطيط : الصوت . (١١) الحنية المرنان : القوس التى ترن عند خروج السهم منها .

جَنَبوا إلى الأعـــداءِ كلَّ طِمِـرَّةٍ (١)	بُنِيت مفـاصِلُهـا على شَـيطانِ
مثـــل المَـراقِبِ (٢) تحتهـم وهُمُ على	صهواتهـا كالهَضْب (٣) من "ثهلانِ" (٤)
طلعوا طلوع الشمسِ يغمُرُ ضوءُها	هامَ (٥) الرُّبَى ومغَابِنَ (٦) الغيطانِ
وكأنمـا سجـــدتْ قِسِـــيُّهمُ إلى	لألاء وجهـك إذ أتتـك حـوانِى
من بعد ما ســدّوا الفضاءَ وحرَّموا	نَفَـــل (٧) الربيـع به على الغِــزلانِ
يتسابقون إلى المنــون فكلُّهم	يغشَى الردَى ما عُـــدّ فى الوِلدانِ
وإذا همُ عدِموا مَقَـاودَ خيلهـم	فتلوا لهـــنَّ ذوائبَ (٨) الفُـــرسانِ
فى كلِّ معـتَرَك تجيــلُ كماتُهـــم (٩)	قِدْحا (١٠) يفـــوز إذا آلتـقَى الجَمعَـانِ
فآسئلْ جبالَ "الروم" لمَّا طوَّقوا	أعناقهـا من جمعهـــم برِعانِ (١١)
ترعَى بهـا زُهرَ النجوم جيـادُهم	ومن الســـحاب يَرِدنَ فى غُدرانِ
فكأنَّهـــم يبغون فى فلَك الذُّرَى	أن يأسروا "العيُّـوقَ" (١٢) "للدَّبَرانِ"
تركوا المعـاركَ كالمنَاحِرِ من "مِنًى"	وجماجمَ الأعـــداء كالقُـــربانِ

---

(١) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٢) المراقب : جمع مرقب وهو الموضع المشرف .
(٣) الهضب : جمع هضبة وهى الجبل خلق من صخرة واحدة . (٤) ثهلان : اسم جبل .
(٥) الهام : جمع هامة وهى الرأس أو أعلى الشيء . (٦) المغابن : جمع مغبن وهو الأرض السهلة .
(٧) النفل : نبت أصفر طيب الرائحة تسمن عليه الخيل . (٨) الذوائب : شعور النواصى ، واحدها : ذؤابة . (٩) كماة : جمع كام وهو البطل . (١٠) القدح : سهم الميسر . (١١) الرعان : الجبال الطوال ، واحدها رعن — بسكون العين — .
(١٢) العيوق : اسم نجم يتلو الثريا ، والدبران : منزل للقمر .

فكأنّما فـــرَش النجيعُ تلاعَهـا[1] [2] ووهادَها[3] "بشقائق النُّعـــمانِ"[4]

فأتاك وفدُ بنى "الأُصيفرِ"[5] يرتمى بهـــمُ جنـاحَا ذِلّةٍ وهـــوانِ

جنحوا به مستسلمين وطالمـا شمَخـــوا بدينهـــمُ على الأديانِ

بذلوا الإتاوة عن يدٍ فكأنّهـم عقدوا بذاك الغُرمِ عَقْـدَ ضَمـانِ

فى كلِّ يومٍ تســتهلُّ كنوزَهم كرمًا بعَشـــرِ مجىءٍ من العِقيانِ

وبرزتَ فى حُلل الوقارِ بهيبـــة فقأتْ عيـــونَ الكفر بالإيمـانِ

وكفاك أن قُدتَ الضلالةَ بالهدى وجعلت دارَ الحـرب دارَ أمانِ

هذا "العراق" قد آنجلت شُبُهاتُه وصَـــفا من الأقـــذاءِ والأدرانِ

إن مسّـــه نصَبُ الورودِ فإنه ســيُنيخ من نعـــماك فى أعطانِ

نفّرت ذُؤبانَ[6] "الغضا" عن شِربِه فالأَمنُ يَسرحُهُ بـلا رُعيـانِ

ولّى "أَرَسْلانٌ"[7] يمسح فى الحشا قلبـا يشـــير عليـــه بالطـــيرانِ

وهوت "بنو أَسَدٍ" تَشُلُّ لقاحَها فتسيل بين "الحَزْنِ" "فالصَّمانِ"[8]

وجرى الغرابُ مع البوارحِ صائحـا بالبين بين منازل "الجَاوانِ"[9]

---

(١) النجيع : الدم . (٢) التلاع : واحدها تلعة وهى ما علا من الأرض . (٣) الوهاد : ما آنخفض من الأرض ؛ واحدها : وهدة . (٤) شقائق النعمان : نبات أحمر يشبه الدم به .

(٥) بنو الأصفر : الروم . (٦) ذؤبان : جمع ذئب وهو معروف . (٧) يشير الشاعر الى أرسلان التركى المعروف بالبساسيرى كان خصيصا عنـد القائم بأمر الله ، فتجبر وطغى بجفاه القائم فخطب ضـدّ القائم للستنصر ، وقد قتـل شر قتلة . (٨) الحزن والصمان : موضعان .

(٩) الجاوان : قبيلة من الأكراد سكنوا الحلة المزيدية من العراق .

وطوتْ "عقيلٌ" عَرضَ كلِّ تنوفةٍ (١) بذميلِ ذِعلبـةٍ (٢) وركضِ حِصانِ

"بالشام" ألّفَ خوفُ بأسك بينهم وقلوبُهم شـتّى من الأضغانِ

هيهاتَ لو ركبوا "النعائمَ" (٣) في الدجى وأردتَ لاقتنصاهُم (٤) النّسـرانِ (٥)

وكذا عدوّك إن نجا جُثمانه فالقلبُ في قِـدٍّ (٦) المخافةِ عانِ (٧)

ما بين "مصرَ" وبين عزمِك موعدٌ متـوقّعٌ لوفائـه الهـرَمانِ

إن صانهـا بُعْـدُ المـدى فلمثلِها تقتادُ كلَّ نجيبـةٍ مِـذعانِ

ماءُ الجـداولِ للأكفِّ وإنما ماءُ القَليبِ (٨) يُنال بالأشطانِ (٩)

من كان شرقُ الأرضِ طوعَ زمامِه لِمَ لا يصـرّفُ غربَها بعنانِ

والجيشُ مَجْـرٌ (١٠) والأوامرُ طاعـةٌ والنصـرُ مرجـوٌّ من الرحمنِ

* * *

وقال يمدحُه أيضا سنة ثمان وأربعين — أي بعد الأربعمائة — :

تزاوَرْنَ عن "أذرِعات" (١١) يمينا نواشـزَ (١٢) ليس يُطِعنَ البُرِينا (١٣)

---

(١) الذميل : ضرب من السير . (٢) الذعلبة : الناقة السريعة . (٣) النعائم : منزلة من منازل القمر وهى ثمانية كواكب أربعة فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة وتسمى الصادرة ؛ وهى أيضا جمع نعامى وهى ريح الجنوب . (٤) اقتنصاهم بالألف الدالة على التثنية على لغة من يلحقها الفعل المسند الى الفاعل الظاهر وهى لغة قليلة . (٥) النسران : كوكبان يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقع . (٦) القِد : القيد للأسير يقد من جلد . (٧) العانى : الأسير . (٨) القليب : البئر . (٩) الأشطان : الحبال . (١٠) المجر : الكثير . (١١) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ؛ تنسب اليه الخمر . (١٢) نواشز : مستعصيات . (١٣) برين : جمع برة وهى حلقة تجعل فى أنف البعير يكون فيها زمامه .

كَلِفنَ «بنجدٍ» كأنَّ الرياضَ ... أخذنَ «لنجدٍ» عليهـا يمينا

وأقسـمن يحملنَ إلا نحيـلا ... اليـه ويبـلغنَ إلا حزينـا

ولما ٱستمعن زفـيرَ المشوق ... ونوحَ الحمام تركن الحنينا

إذا جئتما بانة «الواديين» ... فأرخوا النسوع (١) وحُلّوا الوضينا (٢)

فـثَمَّ علائقُ من أجلهنَّ ... مُلاءُ الضحى والدجى قد طُوينا

وقـد أنبأتهـم مياهُ الجفو ... ن أنّ بقلبـك داءً دفينا

لعـلَّ تمائمَ ذاك الغـزال ... تُداوى وَلوعا وتَشـفِى جنونا

لقد شبَّ بينىَ هـذا الغرامُ ... وما بين قومك حَربا زَبونا (٣)

تُراهم يظنّون لمـا أغرتُ ... بلحظى عليهنّ أن قـد سُبينا

وماذا على مُسلِفٍ فى الظباءِ ... أُلطَّ (٤) به فتقـاضَى الديـونا؟!

تلوم على شـغَفى بالقـدود ... فهبْنَ وَرْقاءَ (٥) تهوَى الغصـونا

سـواءٌ نشيدى بهنّ النسيبَ ... وترجيعُها بينهنَّ اللُّحـونا

ألَا لحُيَ الحسنُ من باخلٍ ... أبىَ أن يصـاحبَ إلا ضنينا

وإنّ وَلوعى بأهـل «الحمى» ... يخيِّـل لى كلَّ سِربٍ قَطينا (٦)

---

(١) نسوع : جمع نسع وهو حبل يشد به الرحل . (٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للهودج بمنزلة الحزام للسرج . (٣) الزبون : التى يدفع بعضها بعضا فى الكثرة . (٤) ألط به : موطل فى دينه . (٥) الورقاء : الحمامة يضرب لونها الى خضرة . (٦) القطين : القاطن .

أينشُــدُ رُعيانُهــم أن أضلّوا بعــيرا ولا أنشُــد الظاعنينا؟!

وفى السِّربِ أحوَى إذا ما اَسترابَ بقنَّاصِــه أمَّ دارا شَــطونا (١)

ظللتُ أكــرّ عليــه الرُّقَى وتأبَى عريكتُه أن تلينا

يصون محاســنَه بالصــدو دِ إذ ليس يلقَى عليهـا أمينا

ودون البراقعِ مكحــولةٌ تعــلِّمُ طبعَ السهـام القُيونا (٢)

وما كنتُ أعلم من قبلهــنّ أن الأســنّة تُسمَى عيونا

صــوارمُ تَنهَرُ فتقَ الجِــراح وما خُلقتْ للضِّراب الجفونا

نودُّ النحورَ ونهــوَى الثغورَ ونعــلَم أنّا نحبُّ المنــونا

أقِلْنى من الوُخَّد الراسما تِ أكْفِك من حيِّهم أن يَبِينا (٣)

ألسنَ اللواتى هزَزن الحدُو جَ هزًّا يُطاير عنهـا العُهونا (٤)

فكلُّ فنيقٍ ببطن "العقيق" من الضُّمْر قد أخدَجتْه جنينا (٥) (٦) (٧)

عدِمتُ فتًى عند نقع الصريــخ يُقْعِى عــلى أَسْكَتيه بطينا (٨) (٩)

يعــدُّ المفــاخرَ والمكــرما تِ طرفا كحيلا ورأسا دهينا

---

(١) الأحوى : الذى فى شــفته سمرة . والشطون البعيدة . (٢) القيون : جمع قين وهو جلاء السيوف وصانعها ، ولعله يطلق على صانع السهام من باب التوسع . (٣) الوخد الراسمات : الإبل التى من دأبها الوخد والرسيم وهما ضربان من السير . (٤) العهون : جمع عهن وهو الصوف . (٥) الفنيق : الجمل الصعب المكرم . (٦) الضمر : الهزال . (٧) أخدجته : ولدته ناقصا لغير تمـام . (٨) يقعى : يجلس على إليته و يرفع فخذيه . (٩) الأسكتان ـــ وتكسر الهمزة ـــ : جانبا الاست .

فهل لكَ فى بسط أيدى المطىِّ تَطوى المهامــهَ (١) بِينًا (٢) فبِينا؟

إذا ما صُبغنَ بوَرسِ (٣) الهجيـ ـرِ حمرا تجلَّينَ بالليل جُونا (٤)

فشبَّهنَ لُجَّ السَّرابِ البحورَ وشبَّهنَ السرابُ السفينا

وما تستطيلُ المــدى أينُقٌ بحمدِ "جَمال" الورى قد حُدينا

وجدنا لديه ربيعَ الثنا ءِ غضًّا وماءَ المعالى مَعينا

تبوَّأ فى المجــدِ بُحبوحــةً على مثلها يكمَد الحاســدونا

ينادى النــجاحُ بأبوابه: ألا نِعْمَ ما قَرَعَ الطارقونا

وتحسبُ من بأسه والبها ءِ مجلسَــه فَلَكا أو عرينا (٥)

لكل مَــبزٍّ (٦) به سجــدةٌ تسابق فيــه الشفاهُ الجبينا

مقــامٌ تخاذَلُ من هوله خُطَى القوم حتى تراهم صُفُونا (٧)

طغتْ يدُه وعلَتْ فى السما حِ حتّى ذممنا السحابَ الهتونا

إذا ما آدّعت صوبَهُ المعصرا تُ ردَّت عليهنّ غُبْرُ السنينا

أيحكى بوارقَها والقطا رُ للعين عسجدَه (٨) والرَّقينا (٩)!

وما النــارُ من ذَهب المجتدين وما المــاءُ من فِضّــة الراغبينا!

---

(١) المهامه : جمع مهمه وهو المفازة . (٢) البين : القطعة من الأرض قدر مد البصر .
(٣) الورس : نبات يصبغ به . (٤) جونا : سودا . (٥) العرين : بيت الأسد .
(٦) المبز : اسم مكان من بز بمعنى غلب . (٧) صفون : جمع صافن ، وهو القائم .
(٨) العسجد : الذهب . (٩) الرقين : الفضة .

أفى دِية البخــــلِ لمّــا أماتَ | يؤدّى الألوفَ ويُعطى المئينا؟
بمـا شئتَ يسخو ولولا الحيا | ءُ من مجــده قسَّ المجــدَ فينا
ويأبَى على ســرَف الطـالبيـ | ـنَ ألّا يُصدِّق فيــه الظنونا
ومن يستدلُّ على المكرمات | يُمِــرّ من الشــكر حبلا متينا (١)
وما زال يَكذِبُ وعــدُ المنى | إلى أنـــ أقامت يداه ضمينا
وقد غَمزت عُودَه النـائباتُ | فـلم تجد الضارعَ المسـتكينا
وإنــ زعزعتْه فإن القنا | ةَ للطعن زعزعها الطاعنونا
سرى عزمه والكرى خمـرة | يُدير زجاجتَها الهـاجعونا
فبـات عـلى صهواتِ الخطو | ب أقنَى يقلِّب طَرْفًا شَـفونا (٢) (٣)
إذا ما ٱرتقى ظنُّــــه مرباً | من الغيب أوحَى إليــه اليقينا
وأفوهَ طارده بالجـــدال | نخرّ بغـــير العوالى طعينـا
وكـم خُطّــة أفردتْه الرجا | لُ فيهـا وولت شَعاعا عِضينا (٤)
أضـاء بجنــــدِسِها رأيُه | وكانــ له الله فيهـا مُعينا
ففى كـلّ يومٍ يُوافى البشيرُ | بفتــــحٍ مبينٍــ يُقرُّ العيونا
رمَى أهلَ "بابلَ" فى سِحرِهم | برقشاءَ تلقَفُ ما يأفِكونا (٥)

---

(١) أمر الحبل : أحكم فتله . (٢) الأقنى : الصقر . (٣) الطرف الشفون : الذى لا يفتر عن النظر من شدّة الحذر . (٤) شعاعا عضينا : متفرقة متجزئة . (٥) الرقشاء : الحية .

ألم تعلمــوا أنّــ فى أفقــه ... سحــائبَ، أمطارُها الدارعونا[1]،

وفتيانَ صــدقٍ تكون السهامُ ... طليعتَهــم والسـيوفُ الكمينا،

وجُرْدا[2] إذا وَجِيتْ[3] بالبطــا ... ح[4] أحذَى[5] سنابكَهن[6] الوَجينـا[7]،

فيــوما لنُعمَى تَلُسّ[8] الغَميرَ[9] ... ويوما لبؤسَى تَسُفُّ الدَّرينـا[10]

جرتْ سُنُحًا بنواصى "العراق" ... فأحجم عن زجرها العـائفونا

وحكّتْ على "واسطٍ" بَرْكَها[11] ... بيومٍ عســير أشـابَ القرونا

تصبُّ على الفئـةِ الناكثين ... لعهدك ســوطَ عذابٍ مُهينا

فتــلك جمـاجمُهم فى الصعيــ ... ـد تتّخِـذ الطيرُ فيها وُكـونا[12]

مَرَى[13] "آبنُ[14] فَسنجُسَ" من خِلْفها ... زُعافا وما كـلُّ خِلْف لَبونا[15]

فطــار على قادماتِ الفِــرار ... جريضًــا[16] وكان فِرارا حَرونا

زجتْه إليــك أكفُّ القضاءِ ... وتأتى بأقــدامها الحـائنونا[17]

وفى دار "بكرٍ" لهـا رجفـةٌ ... أزالت صياصِيهَــا[18] والحصونا

---

(١) الدارعون : لابسو الدروع . (٢) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . (٣) وجيت : حفيت . (٤) البطاح : الحصى الصغار، واحدها بطحاء . (٥) أحذى : ألبسها حذاء . (٦) السنابك : حوافر الخيل . (٧) الوجين : الحجارة . (٨) تلس : تتناول . (٩) الغمير : النبات الأخضر. (١٠) الدرين : يبيس الحشيش. (١١) البرك : الصدر. (١٢) وكون : جمع وكن وهو عش الطائر كالوكر . (١٣) مرى : حلب . (١٤) الخلف : الضرع الحافل باللبن . (١٥) الزعاف : السم القاتل السريع . (١٦) الجريض : المغموم . (١٧) الحائن : الذى حان حينه أى موته . (١٨) الصياصى : جمع صيصية وهى الحصن .

غداةَ زحمَت بها "عامرا" تخـوضُ قبـائلَها والبُطونا

لهـا غُرَرٌ إن رآها العد وّ لم يرَ أكفالهَـا والمتُـــونا

قضت من "عُبَادَةَ" أوطارَها وحكَّمت البيض حتى رضينـا

وما تركـت للـــوالى حِمى ولا للعقـائل خِدرا مصـونا

فتلك "عقيـلٌ" عقيلُ الفرا رُ تَحْرِش(1) بالدوّ(2) ضبًّا مَكونا(3)

جعلتَ من الخوف أفراسَهـا كأقتادِها(4) والفيـافى سُجُونا

ووافت "بنو أسَدٍ" كالأسود تخُـــطُّ الرماح عليهـا عَرينا

فدع فُرصـــة الثأر ممطولةً لذنبٍ أقـــرّ به المـــذنبونا

أليس "طُلَيْحةُ(5)" من عِيصهم أراغ(6) النبوّة فى النـاس حينا

فلمـا نَمَى الدينَ أشبالُه أناب وأطلقَ تلك الفنـــونا

ولاقت به "الفُرسُ" أمَّ اللُّهَيـ(7)ـم : وأْدَ البناتِ وذبحَ البنينـا

ولا بدَّ "للشـام" من نطحة تُحذِّر "زمزمُ" منها "الحَجُونا"

وأخرى "لمصرَ" تخُطُّ الرّوا ةُ فى الرقِّ منها الحديثَ الشُّجونا

جعلتَ الخـــلافةَ فى عصرنا تُفاخر "مأمونَها" و "الأمينا"

---

(١) تحرش : تصيد . (٢) الدو : المفازة . (٣) يقال : مكنت الضبة والجرادة ونحوهما إذا باضت أو جمعت بيضها فى جوفها فهى مكون و بيضها : مكنها . (٤) أقتاد : جمع قتد وهو خشب الرحل أو هو جميع أدواته . (٥) طليحة هو ابن خويلد بن نوفل الأسدى كان يعد بألف فارس ثم تنبأ ثم أسلم ؛ والعيص : الأصل . (٦) أراغ : طلب . (٧) أم اللهيم : الداهية .

وجاهدتَ فيهـا جِهادَ آمرئٍ ... له جمـَـعَ الله دنيا ودِينـا

إذا ما سلكتَ بهـا منهجا ... وثبتَ الجبالَ وجُبت الحُزونا

بسـطتَ لعَمرك كفَّ الزما ... ن يُحصى الليالى ويُفنى القرونا

ولا برِحتْ ألسنُ المكرما ... ت تُغْنيك عن ألسن المـادحينا

دعاءً إذا سمِعتْـــه العُـــدا ... ةُ قالت على الكره منها أمينـا

***

وقال يمدحُه أيضا فى سنةِ خمسين، وهى آخرُ ما أنشدَه :

من علَّم القلبَ ما يُمْـــلى من الغَـــزَلِ ... نوحُ الحمـام له أَمْ حَنَّـــةُ الإبـلِ؟

لا بل هو الشوقُ يدعو فى جوانحنـا ... فيستجيبُ جَنانُ الحـازم البطـلِ

لكلِّ داء نِطـاسىٌّ يلاطفـــهُ ... فهل شـفاك طبيبُ اللوم والعـذلِ؟

بينٌ وهجـرٌ يَضيع الوصـلُ بينهما ... فكيف أرجو خِصـام الحبِّ بالملَلِ

يُميت بَثِّى فى صـــدرى ويَدفِنـــه ... أنى أرى النَّفث بالشكوى من الفشلِ

هن اللآلئ حازتهـا حولهُـــمُ ... وإنمـا أبدلوا الأصداف بالكِللِ[1]

ولستُ أدرِى أبالأصداغِ قد كَحَلوا الـ ... أجفان أم صبغوا الأصداغَ بالكَحَلِ!

ما يستريب النقا أنَّ الغصون خطت ... عليـــه لكن بأوراقٍ من الحُلَلِ

من يشهد الركبَ صرعَى فى محلّهِـــمُ ... يدعوه رَمْسا ولا يدعوه بالطلـــل

(١) الكلل : جمع كلة وهى غطاء يغطى الهودج ؛ ويلاحظ أن "الباء" فى قوله "بالكلل" دخلت على غير المتروك .

قــد أَلِفَ الحىُّ من مسراكِ طـارقةً تبيتُ أحراسُهم منهـا على وجَـــلِ
أمسى شحـــوبى وإرهافى يُدلِّســنى على الرقيب بسُمرٍ بينهـــم ذُبُـــلِ (١)
لم يسألوا عن مقامى فى رحالهـمُ إلا أتيتُ على الأعـــذارِ والعِلـــلِ
لله قـــومٌ يُبيحون القِـــرَى كرما وينهرون ضيوفَ الأعينِ النُّجُلِ
لو عدِموا البيضَ والخَطِّىَّ أنجـــدَهم ضربٌ دِراكٌ (٢) ورشْـــقاتٌ من المُقَلِ
كأنمـا بين جَفْنَىْ كلّ ناظرةٍ ترنو كِنانةُ رامٍ من بنى "ثُعَـــلِ" (٣)
لا روضُ أوجههـــم مَرعَى لواحظنا ولا الَّلى مَـــوردُ التجميش (٤) والقُبَـــلِ
تحكى الغمامـــةَ إيمـاضا مباسمُهـــم وليس يحكينهـا فى جَوْدها (٥) الهطِـــلِ
خافوا العيونَ على ما فى براقعهـــم من الجمـال فشابوا الحسنَ بالبَخَـــلِ
يا رائد الركب يســـتغوى لواحظَهُ برقٌ يلاعب ماءَ العـارض الخَضِـلِ (٦)
هذا "جَمـال" الورى تُطفِى مناصلُه نارَ القِـــرَى بدماء الأينُق البُزُلِ (٧)
لا يسأل الوفـــدَ عمّـا فى حقائبهـــم إن لم يوافوا بهـا ملأَى من الأمـــلِ
وما رعين المطـايا فى خمـائله إلا سَخطن على الحَوْذان (٨) والنَّفَـلِ (٩)
إنِ امتنعتَ حيـاءً من مواهبـــه أولاكهـا بضروب المكرِ والحيـلِ

---

(١) السمر الذبل : الرماح الدقيقة . (٢) دراك : متتابع . (٣) بنو ثعل : قبيلة مشهورة بالرمى والإصابة . (٤) التجميش : المداعبة . (٥) الجود : المطر . (٦) العارض الخضل : السحاب الندى . (٧) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٨) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم . (٩) نبت من أحرار البقول له رائحة طيبة .

قصّرتِ يا سحبُ عن إدراك غايتــهِ فما بروقُك إلا حُمــرةُ الخجــلِ
(١)
ومصلح بين جدواه وراحتــه يسعى ويكدح فى صلح على دَخَــلِ
سيفٌ "لهاشمَ" مسلولٌ إذا خشُنتْ له الضرائبُ لم يَفــرَقْ من القَلَــلِ
(٢) (٣) (٤)
فى قبضة "القــائم" المنصور قائمُــهُ وشَفرتاهُ من الأعداء فى القُلَــلِ
(٥) (٦) (٧) (٨)
بيضُ القراطيس كالبِيضِ الرِّقاق له وفى اليراع غِنًى عن أسمــرٍ خطِلِ
وطالما جــدّلَ الأقرانَ منطقُــه حتى أقــرُّوا بأنّ القــولَ كالعملِ
يــودُّ كلُّ خصيمٍ أن يعمّمهُ فضــلَ الحسام ويُعفيــه من الجــدَلِ
(٩) (١٠) (١١)
ما البأس فى الصَّــعدة الصَّمّاء أجمعــه فى القول أمضى من الهندىِّ والأســلِ
(١٢)
ومستغرّين بالبغيا مزجتَ لهــمْ كيدا من الصَّابِ فى لفظٍ من العسلِ
(١٣) (١٤) (١٥)
ما آستعذبت لَهَوَاتُ السمع مشربَهُ حتى تداعت بنــاتُ النفسِ بالهبَــلِ
أطعتَ فيهــم أناةً لا يســوّغها حــلمٌ، وقد خُلق الإنسانُ من عجــلِ

---

(١) الدخل : الخديعة والمكر . (٢) القائم : مقبض السيف . (٣) الشفرة : حدّ السيف . (٤) القلل : الرءوس واحدها : قــلة . (٥) القراطيس : الأوراق . (٦) البيض : السيوف . (٧) اليراع : القلم (٨) الأسمر الخطل : الرمح المهتز . (٩) الصعدة الصماء : قناة الرمح الصلبة . (١٠) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (١١) الأسل : الرماح . (١٢) الصاب : نبات مرّ الطعم . (١٣) لهوات : جمع لهاة وهى لحمة مشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم — وقد استعارها هنا للسمع — . (١٤) بنات النفس : الهموم والخواطر . (١٥) الهبل : الثكل .

ثم آشتملتهم الصماءَ فانشعبوا (١) ... "أيدى سبا" (٢) فى بطون السهل والجبلِ

ليس الرُّقَى لجميع الداء شافيةً ... الكىُّ أشفى لجلدِ الأجربِ النَّغِلِ (٣)

قل للعُريبِ : أنيبى إنها دولٌ ... والطعنُ فى النحر دون الطعنِ فى الدولِ

هيهات ليس "بنو العباس" ظلُّهمُ ... عن ساحة الدين والدنيا بمنتقلِ

حَمَى حقيقتَهم مُرٌّ مَذاقتُه ... موسد الرأى بين الريثِ والعجلِ

موطَّأٌ فإذا لُزَّت (٤) حفيظتُه (٥) ... تكاشر الموتُ عن أنيابهِ العُصُلِ (٦)

إيها "عقيل" إذا غابت كتائبُهُ ... فُزتم وإن طلعتْ طِرتم مع الجَجَلِ (٧)

هلَّا وقوفا ولو مقدار بارقةٍ ... وما الفِرار بمنجاةٍ من الأجلِ

فالْهَ عن "الرِّيف" يا فَقْعًا (٨) بقرقرةٍ ... وآبغى التزولَ على اليَربوع (٩) والوَرَلِ (١٠)

نسجُ الخَدَرنَقِ (١١) من أغلَى ثيابكمُ ... وخيرُ زادِكمُ دَهْرِيَّة الجُعَلِ (١٢)

---

(١) الصماء : يقال : اشتمل الصماء وهى أن يرد الرجل الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ثم يرده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعا . (٢) أيدى سبا : يقال : تفرق القوم أيدى سبا : أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع بعده ، وذلك أن الله أرسل على أرض سبأ — وهو أبو عامة قبائل اليمن — سيلا أغرقها وانتزع سبأ وقومه فتبددوا فى البلاد فضرب بهم المثل . والمراد بأيدى سبا جنوده الذين كان يسطو بهم فى غاراته وحروبه . (٣) النغل : الذى فسد جلده . (٤) لزت : هاجت واجتمعت . (٥) الحفيظة : الغضب . (٦) عصل : جمع أعصل وهو الأعوج . (٧) الججل : طائر . (٨) الفقع : الرخوة من الكمأة ؛ ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة ، أى أذل من كمأة فى أرض منخفضة لأنها لا تمتنع على من جناها ، وقيل : لأنها تداس بالأرجل . (٩) اليربوع : حيوان من فصيلة الفار طويل الرجلين وقصير اليدين جدا . (١٠) الورل : دابة على خلقة الضب إلا أنه أكبر منه . (١١) الخدرنق : ذكر العنكبوت . (١٢) الدهرية : التى أسنت وطال عليها الدهر . والجعل : ضرب من الخنافس تؤذيه رائحة الورد ، قال المتنبى : * كما يضر أريج الورد بالجعل *

إن يعهَدوا العــزَّ فى الأطنابِ آونةً ... فذا أوانُ حلول الذلّ فى الحُلَــلِ

ترقّبوها من "الجُودى"[١] كامنــةً ... فى نقعها ككمون الشمس فى الطَّفَــلِ[٢]

إن عُطفتْ عنكُمُ يوما فإنّ غدًا ... مع الصباح توافيكم أو الأُصُــلِ[٣]

بكلّ مرتعــدِ العِرنين[٤] ما عرَفتْ ... حَــوْباؤه[٥] خُلُقَ الهيّــابةِ الوَكَلِ[٦]

تدعُو على ساعديه ، كلّمــا اشتملتْ ... على حنيّتــه ، الأرواحُ بالشَّــللِ

فى جحفــلٍ[٧] كالغمام الجَوْنِ[٨] ملتبسٍ ... بالـــبرق والرّعد من لَمعٍ ومن زَجَلِ[٩]

يُزجِى قَــوارحَ[١٠] فاتت باعَ مُلجِمِها ... كأنّ راكبهــا موفٍ على جبــلِ

عوّدها الكرَّ والإقــدامَ فارسُها ... فأنت تحسَبُها صـــدرا بلا كَفَلِ

أمَا سمعـــتم "لبولادٍ" وأســـرتِهِ ... أحدوثةً شَرَدت فوضَى مع المَثَــلِ

إذ حطّه الحَيْنُ من صمّــاء شاهقةٍ ... لا يلحَــق الموتُ فيهــا مهجةَ الوَعِلِ[١١]

نخــرَّ للفــمِ والكفّين منعفــرًا ... إنّ السيوفَ لمن يَعصيك كالقُبَلِ

تعافه الطـــيرُ أن تقتاتَ جثّتَــهُ ... لعلمهــا أنه من أخبث الأُكُلِ

الأرضُ دارُك والأيامُ تُنفقهــا ... على بقائك والأمــلاكُ كالخَــوَلِ[١٢]

متّـــع لواحظَنا حتّى نقــولَ لهــا : ... لقـــد رأيتِ جميعَ النــاس فى رجلِ

---

(١) الجودى : اسم جبــل . (٢) الطفل : احمرار الأفق قبيل غروب الشمس .
(٣) أصل : جمع أصيل وهو الوقت مابعد العصر الى المغرب . (٤) العرنين : الأنف .
(٥) الحوباء : النفس . (٦) الوكل : العاجز . (٧) الجحفل : الجيش العظيم .
(٨) الجون : الأسود . (٩) الزجل : الصوت . (١٠) القوارح : جمع قارح وهو من الخيل بمنزلة البازل من الإبل . (١١) الوعل : تيس الجبل . (١٢) الخول : الخدم .

*
* *

وقال يمدح الوزير أبا العباس بن فَسَنْجُس الملقب بعلاء الدين ، وكتب بها إليه بواسط ، ويذكر حربه لابن الهَيْثم أمير البطائح :

لا أعذِر المـــرءَ يصبو وهو مختـارُ ... الحبُّ يُجمَـــعُ فيــه العـارُ والنـارُ

فعـارُه سَـفَه العــذّال إن هجـروا ... ونارُه حُـــرَقٌ إنـ شطّت الدارُ

لــولا كَهانة عيني ما درت كبدى ... أن الخمـارَ(1) سحـابٌ فيـــه أقمـارُ

يُهْــوَى بيـاضُ محيّاها وحُمــرتُهُ ... كما يروقــك درهامٌ ودينـارُ

إيهِ(2) أحاديث "نعمانـ" وساكنــه ... إنّ الحديثَ عنـ الأحباب أسمـارُ

يا حبذا روضُه الأحوَى إذا احتجَبتْ ... عنّى الثغـــورُ حكاها منــه نُـــوّارُ

وحبّـذا البانُـ أغصانا كَمَنَ فمـا ... لهنّ إلا الحَمامُ الــوُرقُ أثمـارُ

ظِلتَ مُغْــرًى بذى عينين تعــذُله ... وقبـلَه قد تعاطى العشـــقَ "بشّارُ"(3)

عنــد العــــذول اعتراضات ومَعنفــةٌ ... وفى العتـاب جـــواباتٌ وأعـــذارُ

لا سَحَتْ بعدهم عُفـــرُ الظبـاء ولا ... ترجّحتْ فى الغصـــون الخُضْر أطيارُ

كأننى يومَ "سُـــلمانَينِ" قد علِقتْ ... بِى منـ أُسَامةَ(4) أنيـابٌ وأظفـارُ

---

(١) الخمـار : غطاء يوضع على رأس المرأة . (٢) إيه : اسم فعل للاستزادة من حديث معهود وإذا نونته كان للاستزادة من أى حديثٍ . (٣) بشار : هو ابن برد الشاعر الضرير المشهور، وفى هذا البيت إشارة الى قوله : * والأذن تعشق قبل العين أحيانا * (٤) أسامة : الأسد .

أفتّش الريحَ عنــكم كلّما نفحتْ ... من نحــو أرضــكم نكباءُ معطارُ
وأسال الركــبَ أنبــاءً فيكتمنى ... كأنّكم فى صــدورِ القــوم أسرارُ
حــتى الخيــال بدا جنبى ليوهمَــنى ... قُــربا ومن دونكم بيـــدٌ وأخطارُ
ما تطمئنُّ بــكم دارٌ كأنّ "عَلا ... ءَ الدّين" مطلبُـــه فى حيّــكم ثارُ
هــو الذى لوحمىَ مَرعًى لمـا سرَحتْ ... ســوائم الدهر إلا حيث يختـارُ
ولو تُجـاوره الأغصانُ ما خطَــرت ... ريحُ النُّعـامَى(١) عليهـا وهى مغــوارُ
يُحـكَى له فى المعـالى كلُّ مأثُــرةٍ ... تُصبى القــلوبَ وتُروَى عنه أخبارُ
عظَّمتُمُ مَن له فى المجــد مكرُمــةٌ ... وأين ممَّــن له فى المجــدِ آثارُ
أنَّى أقام فــذاك الشِّعبُ(٢) منتــجَعٌ ... وكلُّ يــومٍ يُحيّـا فيــه مختـارُ
لولا ضمانُ يديه رِىَّ عالَمِــهِ ... لجاءت السُّحبُ من كفَّيه تمتـارُ
يلقَى العُفـاةَ ببشرٍ شاغــلٍ لهــمُ ... عن الســؤال وللأنــواء أنوارُ
وحظُّــه فى العطايا أنّ راحتَـه ... بين العُفـاةِ وبين الرِّفــدِ سُمّـارُ
أخــو المطامــعِ يلقـاه بذِلَّتها ... وينثــنى وهو فى عِطفيـــه نَظّـارُ
أفــنَى الرجاء فمـا للخيــل ما نحتوا ... من الســروج ولا للعيس أكوارُ
لا يَنهَبُ الشــكرَ إلا من كتائبِه ... يــومَ التغـاورِ أضــيافٌ وزُوّارُ
إذا القِــرَى عقَرت أُمَّ الحُــوارِ(٣) له ... رأيتَــه وهــو للأموال عقّـارُ

(١) النعامى: ريح الجنوب. (٢) الشعب: الحى العظيم. (٣) الحوار: ولد الناقة إلى أن يفطم.

لله مقتبـــلُ الأيام همّتـــهُ ... لها من البأس والإقبال أنصارُ
ثِقْ بالنجاح إذا ما اجتاب سابغــةً (١) ... لها "الـثريّا" مسامـــيرٌ وأزرارُ
لا يتــوارى ضميـــرٌ عن سريرته ... كأنما ظنُّـــه للغيب مِســـبارُ (٢)
من الورى هــو، لكن فاقهــم كرما ... كذلك الدرُّ والحصباءُ أحجارُ
بأيِّ رأيٍ "أبـــو نصرٍ" يجاذبه ... حبـلَ الخلاف وبعضُ النقضِ إمرارُ (٣)
أما رأى أنّ ليثَ الغاب مجتمعٌ ... لوثبـــةٍ وفنيـــقَ (٤) النِّيبِ (٥) هـــدّارُ
ولا جُنـاحَ عــلى مُرسٍ كلاكلَه (٦) ... اذا تقـــدّم إعـــذارٌ وإنـــذارُ
بدأتَه بابتسـامٍ ظنَّـــه خـــوَرا ... فاغترَّ والكوكبُ الصبحيّ غرّارُ
الآن إذ كشفَتْ عن ساقها ورمت ... قناعَهـا الحـــربُ والفُرسان أغمـارُ (٧)
غـــدَا يمسّـــح أعطافَ الردَى ندما ... وكيف تنهضُ ساقٌ مُخُّها رارُ (٨)
يُغشِي الســـفائنَ نيرانَ الوغَى سـفَها ... والنـارُ أقـــواتُها الأخشابُ والقـارُ (٩)
إن كان للأجَـــم العـادىّ (١٠) مـــدّرعا ... فالليثُ بين يراع (١١) الخيس مِـذعارُ
أو كان يغـــترُّ بالأمـــواه طاميـــةً ... فإن بالقـاع من كفَّيه تيّـارُ

(١) اجتاب : لبس، والسابغة : الدرع . (٢) المسبار : أداة يعرف بها غور الجرح .
(٣) الإمرار : إحكام الفتـل . (٤) الفنيق : الجمـل الكريم على أهـله ولا يركب .
(٥) النيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٦) الكلاكل : الصـدور — والمراد بها هنا الأحمال والأثقال — . (٧) أغمار : جمع غمر وهو الكريم الواسع الخلق . (٨) الرار : الفاســد . (٩) القار : الزفت . (١٠) الأجم العادى : الشجر الملتف القديم .
(١١) اليراع : القصب، والخيس : مربض الأسد .

إذا تــرنَّم حَــولىَّ البعــوضِ له ... ترنَّمت فى قسيٍّ "الــتُّرْكِ" أوتارُ

أنجِــزْ مواعيــدَ عزمٍ أنتَ ضامنُهــا ... ولا يُنهنِهْــكَ إردبٌّ وقِنــطارُ

فإنمــا المــالُ رُوحٌ أنت مُتلفُهــا ... والذِّكــرُ فى فلواتِ الدهرِ سَــيّارُ

لا تــتْرُكْ نُهــزَةً عنَّتْ مســلَّمةً ... إلى عــلاك فإن الدهرَ أطــوارُ

وما ترشَّح يــومُ المِهــرَجانِ لهــا ... إلا وللســعدِ إيــراد وإصــدارُ

لمــا رآك نــوى نَــذرا يقــومُ به ... حتى أتاك وشــهرُ الصــوم مِضمارُ

وقــد زففنــا هــداياه مُنمنَمــةً (١) ... كأنهــا فى رقاب المجــد تِقصــارُ (٢)

ولستُ ارخصُ أقــوالى لسائمهــا ... إلا عليــك، وللأشعارِ أســعارُ (٣)

* * *

وقال يمدح الوزير أبا المعالى بن عبد الرحيم فى النيروز :

أَلَكم الى ردِّ الشباب سبيلُ ... أم عنــدكم لمشــيبه تأويلُ؟

نُورٌ من الشــعَراتِ ليتَ أفولَه ... فيهــا طــلوعٌ والطــلوعَ أفولُ

ما كان يشفع لى بجَــدِّد هجرةً ... فقــدانُهُ لكنّه تعليــلُ

يا ليتــه جَنبَ الغــرامَ وراءه ... فيقــالَ : لا غِــرٌّ ولا معــذولُ

ها تلك أشجانى كما خلَّفتها ... لعبَ الزمانُ بهــا وليس تحــولُ

---

(١) منمنمة : مزخرفة موشاة . (٢) التقصار : القلادة . (٣) فى الأصل "أشعار" وهو تصحيف .

يقتــادُنى البرقُ اليمــانِــ كأنه | من عند إيمــاضِ الثغور رســولُ
وكأنَّ قلبي — والمهامهُ بيننا — | حيٌّ على "وادى العِضــاه" حُلولُ
تُفتِي براقِعُهــم، وما آستفتيتُها، | أنّ اللَّحــاظَ إذا آختُلسنَ غُلولُ (١)
أُنظرْ خليلى من "قَرَارِ" (٢) هل ترى | قَطَنــا (٣) فطَرفُ العــامرىِّ كليــلُ؟
وحلفتُ ما بصَرى بأصدقَ منكما | نظرا ولكنَّ الغــرامَ دليلُ
قالوا : الديارُ وقد وقفت فزدانى | بثًّــا رســـومٌ رثَّةٌ وطـــلولُ
ونَشِقتُ خفَّاقَ النسيمِ فما شــفا | دائى ، وهل يشفِى العليلَ عليلُ؟!
وكَرَعتُ سَلسالَ الغديرِ وليس ما | بَلَّ الشــفاهُ به يُبَــلُّ غليــلُ
يا ضــالةَ الوادى أَحُثُّ مطيّتى | أم عند ظبيِك فى الكِناسِ (٤) مَقيلُ؟
عيناه أســلمُ لى ويُعجِبُ ناظرى | مُقَلٌ كأنــ لحاظَهنّ نُصــولُ (٥)
مُقَلٌ لغِــزلانِ "الحِجازِ" وسِحرُها | من "بابلٍ" مستجلَبٌ منقولُ
ولقــــد طرقتُ البيتَ يكره ربُّه | والشوقُ ليس يَعيبــه التطفيــلُ
أيظُنُّ منــ عَقَرِ النجائبَ قومُه | أنــ الدماءَ جميعَهــا مطلولُ
من دونِ سفكِ مدامعى ماشئتَ من | حِـــلْمٍ ودون دمِى تغولك غولُ
وأنا آمرؤٌ لو مُــدَّ من غُلَوائه (٦) | نطقٌ، لقيل : كلامُــه تنزيلُ

(١) غلول : جمع غل وهو القيد . (٢) قرار : واد قرب المدينة . (٣) القطن : جمع قطين بمعنى القاطن . (٤) الكناس : بيت الظبي . (٥) نصول : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح والسيف . (٦) الغلواء : — وقد تسكن اللام — الغلو فى الشيء .

لا يطمع العظماءُ فى مـدحى ولا طمَعى على أبوابهـم معقـولُ

ولو آستطعتُ لمـا آغتبقتُ بشَربةٍ مما يَمُدُّ "فُراتُهـم" "والنيلُ"

وإذا تأملتُ الرجالَ تفاوتت فيَما ومـيَّز بينهـا التحصيلُ

بعضٌ همُ غُرر الجيـادِ وبعضُهم بين السنابك (١) والصِّفاقِ (٢) حُجولُ (٣)

مثل الحُلِـى دماجٌ وخلاخلٌ منـه ومنـه التـاجُ والإكليلُ

لـولاهُمُ غرَبتْ شموسُ محاسنٍ وهوَى ببـدرِ المكرَمات أُفُـولُ

تبًّـا لهــذا الدهرِ لا ميزانُهُ قِسْـطٌ (٤) ولا فى قَسمه تعـديلُ

جَوْرٌ يسـاوى عالمـًا متعالمٌ فيــه ويُشبِهُ فاضــلا مفضولُ

لا درَّ دَرُّ المرءِ يقطـعُ دهرَه رِخْـوَ الإزارِ وعزمُه مفـــلولُ

آلبيـــدُ تزرعُهـا المناسمُ (٥) وهى لا تدرى أعرضٌ شوطُها أم طـولُ

واليَعْمَلاتُ (٦) سياطُهـا وحذاؤها نسبٌ نماه "شَدقمٌ" (٧) "وجديلُ"

فاذا "كمالُ الملكِ" سَحّ سحـابُهُ نبتَ الرجاءُ وأثمر المـأمولُ

سبقت مواهبُه المديحَ فظنَّ مَن عجِلتْ اليـه أنهـا بِرطيـلُ (٨)

---

(١) السنابك : حوافر الخيل . (٢) الصفاق : جلد البطن كله . (٣) الحجول : جمع حجل — بكسر الحاء — وهو البياض فى قوائم الفرس . (٤) القسط : العدل وهو من المصادر التى يوصف بها كما يقال : رجل عدل — ويستوى فيه الواحد والجمع — . (٥) المناسم : جمع منسم وهو الخف . (٦) اليعملات : النوق النجيبة المطبوعة على العمل . (٧) شدقم وجديل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنـذر يضرب بهما المثل فى النجابة . (٨) البرطيل : الرشوة، ومنه «البراطيل تنصر الأباطيل» .

عجِلٌ الى المعروف يَحسَب أنه ظـــلٌّ اذا لم يغتنمه يزولُ

كــثُر الكلامُ به ، وفى أمثالهم من قبـله : أنّ الكرامَ قليلُ

وإذا جرى فى غايةٍ شهدت له أن لا محلّقَ فى مَداه رسيلُ (١)

ضَلَّتْ ركائبُ من يؤمُّ طريقَه، إنّ العــلاءَ سبيلُه مجهـولُ

يتوارث المجــدَ التليــدَ بمعشر أدنَتْ فروعَــهمُ اليــه أُصولُ

جازوا على عَنَت الحسودِ فلم يجد عيبا، وماذا فى النجوم يقــولُ ! !

لهمُ، إذا كرُمُ الطبــاعِ هززْتَهُ، نصــلٌ وأنت الرونقُ المحــلولُ

وإذا انتهى نسبٌ إليــك فإنه فَلَقُ الصباح مع الضُّحى موصولُ

ولقد شــددتَ وَثاقَ كلِّ مُلمَّــةٍ يُلوَى عليهــا مُــبرمٌ وسحيــلُ (٢)

وحَميت أعطانَ الأمور وإنمــا كانت غمــاما بالدماء تسيلُ

وإذا التقت حِلَقُ البِطان فإنمــا يكفيك ثَمَّ رســالةٌ ورســولُ (٣)

بدلا من القُبِ العتاق ضــوامرٌ رُقشُ المتونِ صريرُهن صهيلُ (٤) (٥) (٦) (٧)

يَنْبُتْنَ مثـل الروض إلا أنّه ترعاه أسمــاعٌ لنــا وعقــولُ

ومن الصِّفاح البيضِ كل صحيفةٍ لنزاعهــا بالراحتيــن صليــلُ

---

(١) الرسيل : الفرس الذى يرسل مع آخر فى السباق . (٢) المبرم : الحبل المحكم الفتل ، والسحيل ضده . (٣) البطان : حزام الدابة . (٤) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٥) رقش جمع رقشاء وهى الحية المنقطة ببياض وسواد — والمراد بها هنا الأقلام — . (٦) المتون : الظهور . (٧) الصرير : صوت القلم عند الكتابة به .

سَحَبت لكَ الأيامُ فضلَ ردائهـا مَرَحا يدوم بقـاؤه ويطـولُ
وتتابعت حِجَجٌ يؤرِّخ عصـرَها عُمـرٌ به خُلدُ الزمان كفيلُ
يتتابك "النوروز" يجنُب إثرَهُ أعوامَ سـعدٍ كلُّهن صقيـلُ
هو خطةٌ همَّ المُصيفُ بقصـدها شـوقا ونادى بالشـتاء رحيـلُ
أخذ الربيعُ زمامه حتى آستوى فى عارضـيه نبتُه المطـلولُ
بك أشـرقت أيامـه فكأننـا فى عصر "كسرَى يَزْدَجِرْدَ" نُزولُ

* * *

وقال يمدحُه أيضا :

ما ضاع من أيامنا هل يُغرَمُ هيهات والأزمانُ كيف تقـوَّمُ؟!
يومٌ بأرواحٍ يبـاعُ ويشـتَرى وأخـوه ليس يُسامُ فيـه دِرهمُ
سيان قلبى فى المشيب وفى الصِّبا لو يسـتوى شَـعرٌ أغرُّ وأسحمُ (١)
لى وقفـةٌ فى الدارِ لا رجعت بما أهـوى ولا يأسِى عليهـا يُقدِمُ
لا تحسب الآثارَ لُعبـةَ هازلٍ نار آدكارك فى المعـالم تُضرمُ
أوما رأيتَ عِمـادَها فى نُؤيِهـا (٢) مثلَ السِّوار يجول فيـه المِعصمُ
وكفَاك أنى للنواعبِ عاتبٌ ولصُـمِّ أحجـارِ الديار مكلِّـم
ومن البـلادةِ فى الصبـابة أننى مستخبرٌ عنهنَّ من لا يفهـمُ

(١) الأغر : الأبيض ، والأسحم : الأسود .

(٢) النؤى : حفيرة حول الدار تمنع السيل ، وفى الأصل «عمارها فى ثوبها» وهو تحريف .

وأنا البليــغُ شكا اليها بثَّــه عبثا فما بالُ المطايا تُرزِمُ (١)

كلٌّ كنَى عن شــوقِه بلغاته ولربما أبكَى الفصيــحَ الأعجمُ

ترجُو سُلوَّكَ فى رسومٍ بينها الـ أغصانُ سَكرَى والحمامُ متيّمُ

هذى تميــلُ إذا تنسّمت الصَّبا والوُرق تذكر إلفَها فــترنَّمُ

فمتى تروع العيسُ غزلانَ النقا بعصابةٍ سِمْتُ العواذلُ منهــمُ

النُّسكُ عند عفيفهم دينُ الهوى والنصح عنـد لبيبهم لا يُفهَــمُ

حتّــام أرعَى وردةً لا تُجــتنَى فى الخــدّ أو تُفّاحــةً لا تُلثَمُ

أيُذادُ عن تلك المحاسنِ ناظرى وتريد منى أن يسَــوِّغَها الفمُ؟

فى كلّ يومٍ للعيونِ وقائعٌ إنسانُهـا الطمَّاحُ فيها يُكلَــمُ (٢)

لو لم تكن جَرْحَى غداةَ لقائهم ما كان يجرى من مآقيها الدمُ

ولو اقتدرتُ قسمتُها يومَ النوى: عينا تلاحظهــم وأخرَى تَسْجُمُ (٣)

دع لحظةً إن تستطع عُلَقَ الهوى فبـذاك تعلمُ كيف نام النوَّمُ

ولطالما اعتقب العواذل مسمعى فزجرتَ منه مُصْعَبا (٤) لا يُخطَمُ (٥)

ما كنتُ أولَ من عصاهُ فؤادُه وجنَى عليــه مقنَّعٌ ومعــمَّمُ

لم أدر أنّ الحبَّ حومةُ مأزِقٍ تُصلِى ولا أنّ اللواحظَ (٦) أسهــمُ

---

(١) ترزم : تحن وتئن . (٢) يكلم : يجرح . (٣) تسجم : تسح بدمعها كالقطر .

(٤) المصعب : الجمل الذى لا يركب لكرامته . (٥) يخطم : يوضع فى أنفه الخطام .

(٦) فى الأصل «المحاسن» وفى منتخبات البارودى «اللواحظ» وقد رجحناها .

أصفُ الأحبّةَ، واللسان يقول لى: وصفُ الوزير «أبى المعالى» أعظمُ
المستجير من المذمّة بالنّدى والمستجار إذا أظلّك مغرمُ
فى كلِّ يوم للمكارم عنده سوقٌ، "عُكاظُ" دونَها والموسِمُ
وكأنّما أموالُه من بَذلها نَهبٌ بأيدى الغانمين مقسَّمُ
فلو أنها وَجدتْ عليه ناصرا لرأيتها من كفّه تتظلّمُ
أسمعتَ قبلَ يمينه وشماله بسحائبٍ أو أبحرٍ تتختّمُ؟
فيهنّ من قِصدِ اليراع (١) أراقمٌ (٢) تَقضِى وتَمضِى والقنا يتحطّمُ
ماهنّ إلا موردٌ من فوقه طيرُ الرغائبِ والمطالبِ حُوّمُ
الجدُّ من عزماته متلقَّنٌ والمجدُ من أخلاقه متعلِّمُ
متهلِّلٌ للوفد يُحسَب أنه بدرٌ أحاط بجانبيه الأنجُمُ
تُثنِى عواذله عليه بعذلهم ولربّما نَشَرَ الثناءَ اللُّوَّمُ
خلعتْ عليه المكرُماتُ ملابسا مايزال ينقُشها المديح ويرقُمُ
عشِق المعالىَ فهْو من شغفٍ بها عند الرقاد بغيرها لا يَحلُمُ
بصوابه فى الرأى ثُقِّفت القنا وبعزمه صُقِل الحسامُ المِخذَمُ (٣)
يحمِى بسطوته مسارحَ لحظه فالعِزُّ فى أبياته مستخدَمُ

---

(١) قصد اليراع: كسر الأقلام. (٢) الأراقم: الحيات. — وهى هنا على التشبيه —. (٣) المخذم: القاطع.

وإذا تلمّح قلت : صقرٌ ناظــرٌ وإذا تغاضَى قلت : أطرقَ أرقمُ (١)

ثَبْتُ الجَنانِ كأنّما فى بُرده يومَ الزعازع "يذبُلٌ" "ويلَملَمُ" (٢)

رفعتْ له هِمّاتُه وزَماعُــه (٣) بنيانَ مجدٍ ركنُه لا يُهــدَمُ

طَسولٌ تشرَّد فى البــلاد فمنجدٌ يَروِى الذى يَرويه آخرُ متهِــمُ

لله أنتَ إذا تســلّبت الــرُّبَى وشــكا الأُحاحَ سِماكُها والمِرْزَمُ (٤)

لِيرُدَّ مَن جاراك رأسَ طِمرةٍ (٥) ما كلُّ طِــرْفٍ (٦) فى السّباقِ مطهَّمُ (٧)

للمجــد أثقــالٌ تعجُّ (٨) إفالُهُــم (٩) منهــا وينهَــزها (١٠) الفنيقُ المقَــرمُ (١١)

حاشاك أن يَثنِى طباعَك فى الندى ثانٍ وينقُضَ من خِلالك مُــبرِمُ

إن تَصنع الحسنَى فإنك زائدٌ أو تُســبغ النُّعمَى فأنت متمّــمُ

وأنا الذى سيّرتُ شكرك فى الدُّنَى (١٢) حتى تلاه مُعــرِقٌ أو مُشئمُ

وجلبتُ من بحر الثناء لآلئــا فى نحــرِ ما أو ليــتنيه تُنــظَّمُ

أو ردتُ آمالى غــديرَك آمنــا من أن يكون وراءَ شهــدٍ عَلقمُ

ورضعتُ ثدى نداكَ من دونِ الهوى ثقــةً بأنّ رضيعَــه لا يُفطَمُ

---

(١) الأرقم : الثعبان . (٢) يذبل و يلملم : جبلان . (٣) الزماع : المضاء .
(٤) الأحاح — بالضم — : العطش وحرارته ، والسماك والمرزم : نجمان . (٥) الطمرة : الفرس المستعدة للوثب والعدو . (٦) الطرف : الجواد . (٧) المطهم : التام الحسن .
(٨) تعج : تصيح وترفع صوتها . (٩) إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .
(١٠) ينهزها : ينهض بها ؛ والفنيق : الفحل لا يركب لكرامته . (١١) المقرم : المكرم الذى لا يحمل عليه . (١٢) الدنى : جمع الدنيا ، — واذا جمعت مع أنها واحدة فلاعتبار أقسامها ؛

أهدَى لك "النيروزُ" فى أغصانهِ زَهرا بأوراقِ العـــلاء يُكَمَّـــمُ

فى كلِّ يومٍ خيـــلُه وركـــابُه جَبَهاتُهنَّ بطيب ذكرك تُوسَمُ

لا زالت النَّعماءُ عنـدك، حَلْبُهـا ملءُ الإناء وبطنُهـا لا يُعقَـــمُ

والدهر مجنـــوبٌ وراءك كلّمـا واتاك أســـعده القضـــاءُ المبرَمُ

كالنِّقس(١) ليلتُـــه وطِـرسٍ يومُـــهُ والنُّجحُ يكتُبُ والسعادةُ تختِمُ

* * *

وقال يمدحُ بَرَكَةَ بن المقلَّد العُقَيليّ، ويلقب زعيم الدولة :

تُرى رائحٌ يأتى بأخبـار مَن غـــدا وهل يكتُمُ الأنبـاءَ من قد تزوّدا

أُحبّ المقـالَ الصدقَ من كلّ ناطقٍ ســوى ناعبٍ قد قال : بينُهُـمُ غدا

ألَا آستوهِبا لى الأرحبيّـــةَ(٢) هَبَّـــةً لنُحدثَ عهـــدًا أو لنضربَ موعدا

حرامٌ عـــلى أعجازهـنّ ســـياطُنا فيـا سائقيها آستعجِلاهنَّ بالحُـــدا

مـتى تَرِدا المـاءَ الذى وَرَدتْ به ظبـاءُ "سُلَيمٍ" تنقعا غُـــلّةَ الصدى

فلا تُشـغَلا عنـــه بلـــثمِ حَبـابهِ(٣) تظنّـانهِ ثغـــرا عليـــه تبـــدّدا

فقـد طـال ما أبصرتُمـا ظبيَ رملةٍ فشبّهتُماه ذا دَمالجَ أغيـــدا

فرشتُ بجنبِ الحبِّ صدرى وإنمـا تهابُ الهوى نفسٌ تخاف من الردى

---

(١) النقس : المداد الأسود . (٢) الأرحبية : الإبل المنسوبة الى الأرحب وهو فحل من الفحول النجيبة ؛ أو هو آسم قبيلة تنسب اليها . (٣) الحباب : نفاخات الماء والخمر التى تعلوهما .

ونفّرتُ عن عينى الخيالَ لأنه يحاولُ مَــدَّى نحو باطــله يدا
أرى الطيفَ كالمِرآة يخلُق صـورةً خداعا لعينى مثلما يَسحَر الصَّــدى (١)
أتزعمُ أنّ الصــبرَ فيك سجيّـــةٌ وتشجَى إذا البرق التِّهامىُّ أنجـــدا
وقالو : أتشـــكو ثم ترجِعُ هائمـا؟ فقلتُ : غرامٌ عاد لى منـــه ما بدا!
تُعـاد الجسومُ إن مرضنَ ولا أرى لهـذى القلوب إن تشكّين عُوَّدا
فلا تحسبوا كلّ الجوانح مُضـــغةً ولا كلّ قلبٍ مثـلَ قلــبىَ جلمدا (٢)
وحىٍّ طرقنـاه عــلى زوْرِ موعدٍ فما إن وجدنا عنـد نارهمُ هُدى
وما غفلتْ أحراسُهــم غــيرأنّنـا سقطنا عليهم مثلَما سقَط النَّـــدى
فلمـا آلتقينا حشّ قلـــبى فراقُهـم فلم ينكروا النـارَ التى كان أوقدا
نزحتُ دموعى بعـدَهم من أضالعى مخـافةَ أن تطغَى عليها فتجمُدا
وفى العيش مَلْهًى لآمرئٍ بات ليلَه يشـاور فى الفتك الحسامَ المهـنَّدا
إذا ما آشتكت قَرْحَ السهاد جفونُهُ أداف لهـا من صِبغة الليل إِثمِــدا (٣)
يظـــنّ الدجَى فــرعا أثيثـا نبـاتُهُ (٤) ويحسَبُ قَرن الشمس خـدًّا مورَّدا
ويرضَى من الحســـناء بالرِّيم إن رنا (٥) كحيـــلا مآقيــه وأتلعَ أجيـــدا

---

(١) يسحر : يخدع؛ والصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت بمثل صوته . (٢) الجلمد : الصخر . (٣) أداف : أذاب وخلط ؛ والإثمد : حجر يكتحل به . (٤) الفرع الأثيث ، الشعر الكثيف . (٥) الريم — ويهمز — الغزال؛ والأتلع الأجيد : الطويل الجيد .

كما "بزعيم الدولة" الأمم ارتضت ... على الدين والدنيا زعيما وسيدا
أقاموا بدار الأمن في عرصاته (١) ... كأنهم شدوا التميم المعقدا
رمى عزمه نحو المكارم والعلا ... مصيبا فكان المجد مما تصيدا
إذا أمّ السارون نور جبينه ... كفى الركب أن يدعو جديا وفرقدا (٢)
تلألأ في عرنينه نور هيبة ... تخر له الأذقان في الترب سجدا
أباح حمى أمواله كل طالب ... من الناس حتى قيل : ينوى التزهدا
له روضة في الجود أكثر روّدا ... من المنهل الطامى وأوفر وردا
تقاعس عن ساحاته السحب، إنها ... متى حاكته في الندى كان أجودا
وهل يستوى من يمطر الماء والذى ... أنامله تهمى لجينا وعسجدا (٣)
ومن برقه نار ومن برق وجهه ... تهلل مرتاح الى الجود والندى
قليل هجوع العين تسرى همومه ... مع الجاريات الشهب مثنى وموحدا
ومن كان كسب المجد أكبر همه ... طوى بردة الليل التمام مسهدا (٤)
متى ثوب الداعى ليوم كريهة ... تأزر بالهيجاء واعتم وارتدى
وقد علمت أشياخ "جوثة" (٥) أنه ... أسدهم باعا وأبطشهم يدا

---

(١) عرصات : جمع عرصة وهى ساحة الدار . (٢) جدى وفرقد : نجمان . (٣) اللجين والعسجد : الذهب والفضة . (٤) الليل التمام — بكسر التاء — هو أطول ما يكون من ليالى الشتاء، ويقال أيضا : ليل التمام — بالاضافة — . (٥) جوثة : قبيلة .

لهم واصلَ الطعنَ الخلاجَ [١] فأصبحت ... تَشَكَّى الردينيّاتُ [٢] منه تأوُّدا

رأى الودَّ لا يُجدى وليس بنافع ... سوى نقمات السيف والرمح فى العدا

فما يقتنى إلا حساما مهنّدا ... وأسمرَ عسّالا [٣] وأقودَ أجردا [٤]

متى يَرْمِ قوما بالوعيد وإن نأت ... ديارهمُ عنه أقام وأقعدا

وما الرمح فى يمنى يديه مسدّدا ... بأنفذَ منه سهمَ رأيٍ مسدّدا

صهيلُ الجياد المقرَباتِ [٥] غناؤه ... فلو شاء سمّاها "الغريضَ" و"معبدا" [٦]

ويُذكره بزلَ النجيع [٧] من الطُّلى [٨] ... عشارُ جلبنَ البابليَّ المبرَّدا [٩]

فلو لم يكن فى الخمر للبأس مشبهٌ ... وللجود لم يجعلْ له الكأسَ موردا

بعثت لسكّان "العراق" نصيحةً ... متاركةَ الرئبال [١٠] فى غيله [١١] سُدَى

ولا تأمنوا إطراقَه إنّ كيده ... ليستخرج الضبَّ الخبيثَ من الكُدَى [١٢]

أرى لك بالعلياء نارا فراشُها ... ضيوفُك يُقرَوْنَ السَّديفَ [١٣] المسرهَدا [١٤]

فلا تُفنينّ العِيسَ [١٥] بالعقر إنها ... متى تَفنَ تجزُرْهم إماءً وأعبُدا

(١) الخلاج : المضطرب المهتز. (٢) الردينيات : الرماح — منسوبة الى امرأة تسمى "ردينة" كانت تقوم الرماح ؛ والتأود : التثنى . (٣) الأسمر العسال : الرمح المهتز . (٤) الأقود الأجرد : الفرس الذلول المنقاد القصير الشعر . (٥) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٦) الغريض ومعبد : مغنيان معروفان . (٧) النجيع : الدم . (٨) الطلى : الأعناق ، واحدها طلية . (٩) البابلى المبرد : الخمر . — منسوب الى بابل — . (١٠) الرئبال : الأسد . (١١) الغيل : مربض الأسد . (١٢) الكدى : جمع كدية وهى الأرض الغليظة ؛ ويقال : ضب الكدية وضباب الكدية لولعها بحفرها . (١٣) السديف : شحم السنام . (١٤) المسرهد : السمين . (١٥) العيس : الإبل .

وكم موقفٍ أســكرتَ من دمِه القنا ... وأشـبعتَ فيــه السـيفَ حتى تمرّدا

ولو تجحد الأقرانُ بأسَــك فى الوغى ... أنتــك النســورُ بالذى كان شُهّــدا

إليــك نقلناهــا أخامصَ لم تجــد ... سوى بيتك الأعلى مُناخا ومَقصِــدا

ولو بعُــدَ المسرَى زجرنا على الوجَى (١) ... أغـــرَّ وجيهيًّـا (٢) ووجنــاءَ جَلْعَــدا (٣)

ومثلك من يرجــو الأسـيرُ فَكاكَه ... ولو كان فى جَــور الليــالى مقيّــدا

لئن كنتَ فى هــذا الزمان وأهـــلِه ... كبيرا لقد أصبحتَ فى الفضل مفردا

⁂

وقال وكتب بها إلى بعض أصدقائه :

حرامٌ عــلىَّ طُــروقُ الديا ... رِ ما دام فيهــا الغزالُ الربيبُ

أشاهــد فى جانبيهــا هـــواىَ ... لغــيرى ومالىَ فيــه نصيبُ

وقــد كان فوضَى فكان المنى ... تعــللنى، والتمــنِّى كذوبُ!

فلمّــا تصـــيّده قانــصٌ ... ألدُّ على ما حـــواه شَــغوبُ،

تداويتُ من مرضٍ فى الفـؤاد ... بيأسِىَ، واليأسُ بئسَ الطبيبُ!

فقد وهبَ الثأرَ ذاك الحريصُ ... ونام على الحقــدِ ذاك الطلوبُ

ومن عزَّ مطلبُــه مُهـــمَلا ... فكيف به وعليـــه رقيبُ؟!

فلا حظَّ فيــه سـوى لمحةٍ ... تُنافس فيهــا العيونَ القـــلوبُ

(١) الوجى : الحفا . (٢) الوجيــه : فرس تنسب اليه جياد الخيل . والوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين . (٣) الجلعد : الصلبة الشديدة .

وُجــود الأمـــير بأمثـاله فكلُّ بعيـدٍ عليـه قـريبُ
وهـوب الجيـادِ وبيضِ القيا ن والظبي يرتجُّ منه الكثيبُ (١)
وعَقّـار كُومِ الصَّفايا إذا (٢) (٣) تعـــذَّرَ عند الضُّروع الحليبُ
تَعيثُ الأخـــلّاءُ فى ماله كما عاث فى جانب السِّربِ ذيبُ
وما يسـحَرُ القـولُ أخلاقَـهُ ولكنّـه الكرمُ المستجيبُ

* * *

ظفرتَ ، وويلُ أمّها حُظوةً ، ببـدرٍ تُزَرُّ عليـه الجيوبُ
إذا رُدِّد الطَّـرفُ فى حسـنه أثار البـديعَ وماج الغريبُ
عُبـوسٌ يُوَلَّد منـه السرورُ ومن خُلُقِ الخندريس القُطوبُ (٤)
وتيـهٌ كأنْ ليس بدرُ السماء يُلمُّ الكسوفُ به والغُـروبُ
ولـولا حيـاءٌ تقمَّصـتُهُ لأجلكَ جمٌّ إليـه النسيبُ
سأطـوِى على لَهَبٍ غُلّـتى إلى أن يُعطَّــلَ ذاك القَليبُ (٥)
وأعلمُ أنْ سـيباحُ الحمى إذا أظهـر الشعَراتِ الدبيبُ
طِـرازٌ ينمـنِمُ فى العـارضَين يُزيّنُ منـه الرداء القشيبُ (٦)
فما ذلك الحسنُ مسـتقبَحا بشَـعرٍ ولو لاح فيه المشـيبُ

---

(١) الكثيب : تل الرمل — والمراد به هنا الكفل فى ارتجاجه — . (٢) كوم : جمع كوماء . وهى الناقة الضخمة السنام . (٣) الصفايا : جمع صفية وهى الناقة الغزيرة اللبن . (٤) الخندريس : الخمر . (٥) القليب : البئر — وفيه كناية حسنة — . (٦) القشيب : الجديد .

*
* *

وكتب إليه وقد بلغه عنه عتبٌ فى تأخرِ الزيارة :

قد طال للباطلِ أن يُقتضَى ... وأن يعافى الحبُّ من أَمرضا

سلُوا الذى حالفنى فى الهوى : ... بما الذى كفَّر إذ أعرضا؟!

ملآن غيظا وفؤادى به ... مقلَّبٌ فى جمَرات "الغضا"

نادِ على نفسك: هذا القِلَى (١) ... جزاءُ من حكَّم أو فوَّضا!

صاح ترى برقًا على "جاسمٍ" ... كأنه هنديَّةٌ (٢) تُنتضَى،

أذكرنى عهدَ "عقيقِ الحِمَى" ... ولا يُعيد الذكرُ ما قد مضَى

سرَى مع الطيف، فهذا لمن ... يسهرَ، والطيفُ لمن غمَّضا

إن لم يكن شجوى فقد شاقنى ... سيَّانِ من قاتَل أو حرَّضا

تالله لو تُضمرُ أحشاؤه ... ضميرَ أحشائى لَمَا أومضا

حىِّ غزالا بين أجفانه ... أسنَّةُ الحين وسيفُ القضا

رامٍ وما "القارةُ" (٣) آباؤه ... يَستغرق (٤) السهمَ وما أنبضا

إياك تلقاه بلا جُنَّةٍ ... خوفَ سلاحَىْ سُخطه والرضا

ما تجمعُ الأضدادُ، والرأس لِمْ ... قد جمَعَ الأسودَ والأبيضا!!

---

(١) القلى : البغض . (٢) الهندية : السيوف — منسوبة الى الهند . (٣) القارة : قبيلة مشهورة بالرمى : وفى الأصل : « القادة » وهو تحريف . (٤) استغرق السهم : بلغ به غاية المد . وأنبض : جذب وتر القوس لتصوت .

كأنّ فرعى حَلبــــةٍ[1][2] أرســـلوا ... دُهمـــا[3] وشُهبا[4] فوقها رُكّضا

طالبـــةً شــأوَ امرئٍ ســابقٍ ... كلُّ جَنــاحٍ خَلْقَــه هُيَّضــا[5]

شــيِّدتِ الاباء من قبـــله ... له البنــاءَ الأطولَ الأعرضــا

مَعــاشرٌ كانت مساعيهُــــمُ ... أغطيةَ الأرض وحشــوَ الفضا

مذ غمسـوا فى المــاء أطرافَهم ... ما أَجَنَ المــاءُ ولا عَرْمَضا[6]

لو وطِئـوا الصخر بأقدامهـم ... أو لَمَســـتهُ راحُهـــم رَوّضــا

لم تعـدَم الدنيــا ولا الدينُ من ... أبنائهـــم وزارةً أو قضــا

بينــا ترى أقلامَهــــم رُعَّفــا[7] ... حتى ترى أســـيافَهم حُيَّضــا

ولم يـــزل واطئُ أعقابهـــم ... ينهَض حتى لم يجـــد مَنهَضــا

طاب ثــراه فنما فـــرعُهُ ... ويُخـــرِج الزُّبدةَ من أمخضا

محكَّمٌ فى العــلمِ إن شــاء أن ... يختَــلَّ[8] فى مَرعاه أو يُحمِضــا

كِنانةُ[9] الآداب فى كــفِّه ... مـــتى رمَى أسهمَها أَغْرَضــا[10]

يَفهم مَغزَى القول من قبلِ أن ... يُرفَــعَ أو يُنصَب أو يُخفَضــا

---

(١) الفرع : الشعر . (٢) الحلبــة : الخيــل تجرى للسباق على رهان وهى هنا بمعنى ساحة الجرى . (٣) الدهم : السود . (٤) الشهب : البيض . (٥) هيض : كسر . (٦) عرمض : ظهر به العرمض وهو الطحلب . (٧) رعفا : قاطرة ؛ وأصل الرعاف خروج الدم من الأنف . (٨) يختل : يحتبس فى الخلة وهى نبات حلو ، ومنه : الخلة خبز الإبل والحمض فاكهتها . والحمض : ما ملح وأمر من النبات تأكله عند سآمتها من الخلة . (٩) الكنانة : كيس من أدم توضع فيــه السهام . (١٠) أغرض : أصاب .

إيهِ (١) "أبا نصرٍ" وأنت آمرؤٌ ... لا يستردُّ الدهرُ ما أَقرضا

منحتــنى الــودَّ بجازيتُــه ... بالشــكر والمُثنِى كمن عَوّضا

خــيمٌ فى قلــبى نظــيرٌ له ... مذ عقَــد الأَطنابَ ما قوّضا

مثــل خلال فيــك أثوابها ... أَبَى لها التطهيرُ أن تُرحَضا (٢)

وكلُّ ما يبنيــهِ هــذا الهوى ... بالنأيِ والتفــريقِ لن يُنقَضا

لا ينفَع القــربُ بجسمٍ اذا ... لم يك قلبٌ مُصْــغيا مُنغِضا (٣)

كم مِن بعيدٍ عاشــقًا وامقا ... ومن قــريبٍ شانئــا مبغضا

ما زُخرُفُ القول بمُجْــدٍ وقــد ... غُيِّض (٤) فى الأحشــاء ما غُيِّضا

والسيفُ إن كانَ كَهاما (٥) فهــل ... يُمضيــه أن أُذهِبَ أو فُضِّضا؟!

أُنبِئتُ رَيْبــا فىَّ جَمجَمْتَــهُ (٦) ... ويبلُغُ التصريحَ مَن عَرَّضا

مرَّ كما مرَّ نســيمُ الصــبا ... مزعزِعا بالرِّفــقِ ماءَ الأضى (٧)

دُعابةٌ ســاءت ظنــونى لها ... ما ألينَ السيفَ وما أَجْرضا (٨)

لم أدر : إنســانٌ به ناطقٌ ... أم حيّــة القُفِّ (٩) الذى نَضنَضا (١٠)؟!

لكنّ سمعِى قاء ما قاله ... كأنه بالصــاب قــد مُضمِضا

---

(١) إيه : بمعنى زد . (٢) ترحض : تغسل . (٣) المنغض : المتحرك ، والمراد به هنا المتحرك بالمحبة والود لا فتور فيــه . (٤) غيض : غار . (٥) الكهام : غير القاطع . (٦) جمجمته : أخفيته . (٧) الأضاة : الغدير وجمعه أضى . (٨) أجرض : أغص . (٩) القف : حجارة غاص بعضها ببعض لا تخالطها سهولة . (١٠) نضنض : حرك لسانه لينفث به .

يروعنى عتبُ خليلى ولا ... يروعنى الليثُ إذا قضقضا (١)

وتسكُن الأسرارُ منّى حشًى ... ليس بهنّ مُخدَجا مُجهَضا (٢)

هيهات ! ما الزورُ حُلَى شيمتى ... ولا لباسُ الغدر لى مَعرِضا

ولا لَبونى (٣) بالأسى حافلا ... ولا عِشارى (٤) بالمُنى مُخّضا

معترفٌ بالحقّ من قبل أن ... يوجَبَ للصاحب أن يُفرَضا

وكيف أجفو من هو الروح إن ... فارقتِ الجسمَ فُواقا (٥) قضى

ما الذنبُ إلا للزمان الذى ... إن ألبس الإنسان ثوبا نَضا

تقلّبتْ بى كلُّ حالاته ... وليس فيها حالةٌ تُرتَضى

إما على رَمضائه (٦) ماشيا ... أو راكبا شامسةً (٧) ريّضا (٨)

من يكن الدهرُ له ماتحا (٩) ... لا بدّ أن يشرب ما خوّضا

جُلْ فى طِلاب الرزق تَظفَرْ به ... فالسَّجلُ (١٠) مملوءٌ إذا خُضْخِضا (١١)

لطال جوعُ الأُسْدِ لو أصبحت ... وأعتمتْ فى خِيسها (١٢) رُبَّضا (١٣)

أذمُّ أيامى على أننى ... لأَحمَدُ الله على ما قضى

---

(١) قضقض الأسد : كسر فريسته بأسنانه . (٢) المخدج : الناقص الخلق و إن كان لوقته .
(٣) اللبون : الغزيرة اللبن . (٤) العشار : النوق التى نتجت أو هى التى ينتظر نتاجها بعد عشرة أشهر .
(٥) الفواق : ما يأخذ المحتضر عند النزع . (٦) الرمضاء : الأرض الحارة . (٧) الشامسة : الدابة الممتنعة . (٨) الريض : المنقادة الذلول . (٩) الماتح : نازح الماء من البئر . (١٠) السجل : الدلو : (١١) خضخض : حرك فى الماء . (١٢) الخيس : بيت الأسد . (١٣) ربض : جاثمة فى مرابضها .

*
* *

وقال يمدحُ الوزيرَ أبا الفرج بن فَسانْجُس الملقَّب بذى السعادات فى النيروز :

هو منزلُ النجوَى بخالى الأعصرِ … فـــتى تجاوزْهُ الركائبُ تُعقَـــرِ

أشـتاقُ دارَهُمُ وليس يشـوقنى … إلا مجـاورةُ الغـــزال الأحورِ

وأفضِّــل الطيفَ المُلمَّ لأنهـم … هجَـروا ، وأن طُيوفَهم[1] لم تَهجُـرِ

أرضَى بوعـــدٍ منهُمُ لم يُنتَظَـرْ … ومن الخيـال بزَورةٍ لم تعـــبُرِ

لا ماؤهم للشـــتكى ظمأً ولا … نيرانُهـــم للقـابس المتنـــوِّرِ

أثرَوْا ولم يقضُـوا ديونَ غريمهم … واللُّؤمُ كلُّ اللُّؤْم مطلُ الموسِـــرِ

هل ترعوون بأنَّةٍ مِن مدنفٍ … أو تسمحون لمطلبٍ من مُقــترِ؟

أو تتركون من الدموع بقيَّةً … يلقى بهـا يومَ التفــرُّق مَحْجرى؟

ما آجتاز بعضكمُ بأسرابِ المهـا … إلا آعترفن عليه مقـلةَ جُـؤذُرِ

يا من تبلَّد بين آثار الحِمَى … يقفــو مَعـالِمها بعيــنَىْ مُنكِرٍ ،

أُنشدْ قضيبَ البان بين مُروطِهم[2] … وآطلب كثيبَ الرمل تحت المئزرِ

وإذا أردتَ البدرَ فآبعث نظرةً … لمطالع بين "اللِّوى" "فمُحَجَّرِ"

أترُدُّ يا روضَ "العقيق" ظُلامةً … رُفِعتْ إليك من القِلاصِ[3] الضُّمَّرِ

---

(١) فى الأصـل " ظنونهم " وهو تحريف .

(٢) المرط : كساء يؤتزر به .

(٣) القلاص : جمع قلوص وهى الناقة الشابة .

إياك أن تطأ اللُّعاع (١) بمَنسِم (٢) … منها وأن ترعى الجَميم (٣) بمِشفَرِ (٤)

لولا النجاءُ (٥) من الرواقِص (٦) بالفلا … لم يُفجَع "النجدىُّ" "بالمتغوِّر"

فصمِمْنَ حتى لاوعت أسماعُها … تصهالَ رعدٍ فى حَبِيٍّ (٧) مُطِرِ

وعمِين حتى لا رأت أبصارُها … بَرقا كناصيةِ الحِصان الأشقرِ

إن كنتَ تنظرُ ما أرى فانظر الى … بانٍ على أكتادِ (٨) نخلٍ موقَرِ (٩)

وكأنما رفعوا قبابَهُمُ على … شجرٍ بربّات الهوادج مثمِرِ

أمتِّعى وحشَ الفلا بجمالهم … ما ذنب طرف الهائم المستهترِ (١٠) ؟!

خلَّفتُمُ خِلَّ الصفاء وراءكم … كالميْتِ إلا أنّه لم يُقبرِ

بمدامعٍ لمّا تَغِضْ ومكاسِرٍ … لم تَنجبر وجرائحٍ لم تُسبَرِ

وإذا العواذلُ أطفأت صبَواتِه … شبّت لظاها زفرةُ المتذكِّرِ

احذرْ عذارك والعذارُ مغلِّس (١١) … فاذا بدا صبحُ المشيب فأقصِرِ

وَضَحٌ (١٢) تجنَّبَهُ الغوانى خيفةَ الـ … عدوَى فإن يقرُبْ إليها تَنفِرِ

ما كنت أحسبُ أنَّ سيفَ ذؤابتى … ينبو بترديد الصَّقال الأزهرِ

---

(١) اللعاع : النبت الناعم الأخضر أول ما يبدو . (٢) المنسم : الخف . (٣) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٤) المشفر — بالكسر ويفتح — للبعير كالشفة للإنسان والجحفلة للفرس . (٥) النجاء : سرعة السير . (٦) الرواقص : النوق ترقص فى مشيها . (٧) الحبى : السحاب المعترض اعتراض الجبل . (٨) أكتاد : جمع كتد وهو الكتف . (٩) موقر : مثقل . (١٠) المستهتر : الذى يتبع هواه . (١١) مغلس : مظلم — كناية عن سواده — . (١٢) الوضح : ضوء الصبح .

صدأُ النُّصول(١) من الشعور(٢) أدلُّ من ... لونِ الجلاء على كريم الجوهرِ
أأسير فى الليــل البهيم فأهتدى ... وأضَــلُّ فى إدلاج(٣) ليــلٍ مقمرٍ؟!
ومدحتَ لى صِبْــغَ المشيبِ بأنه ... كافورةٌ ونسـيتَ صِبْغَ العنـبرِ
وإذا الثنــاءُ على الوزير قَرَنْتَــه ... بهما أقـرَّا للذكىِّ الأعطـرِ
"فلذى السعادات ابن جعفر" شيمةٌ ... من قرقفٍ(٤) صِرفٍ ومِسك أذفـرِ
فى الأرض سبعةُ أبحرٍ، ويمينُـه ... وشِمـالُه تجـرى بعشرةِ أبحــرِ
وهما سحـائبُ، ماؤهن جُبينُه ... وبروقُهن من النضار(٥) الأحمــرِ
قسمت أناملُه المواهبَ فى الورى ... فكأنهــم زَجَروا قــداحَ الميسرِ
وإذا عِشــارُ المــال عُذنَ بكفّهِ ... فلقـــد عقلن نفوسَهنّ بمَنحَرِ
ومعـــذّلٍ، أعيَـا على عُـــذّاله ... فى الجود قصَّ جناحَ ريحٍ صرصرِ(٦)
وهو السخىُّ وإنمـا حسدوا اسمَهُ ... فدعَـــوْه فيما بينهــم : بمبـــذّرِ
طلبوا الذى أجرِى إليــه فخُيِّبوا ... ومن العنـاء طِلابُ مالم يُقــدَرِ
والأكرمون حَكَوه فى أفعاله ... فعُـــزُوا الى كرمٍ عليـــه مزوّرِ
مازال يبحث عن سرائر وفده ... حتى أجاب إلى السؤال المضمَرِ

---

(١) النصول : خروج الشعر من خضابه . (٢) فى الأصل : «السعود» : وهو تحريف .
(٣) الإدلاج : السير أول الليل . (٤) القرقف : الخمر . (٥) النضار : الذهب .
(٦) الصرصر : الريح الشديدة الهبوب والبرد .

يغزو إليــه المُقترونَ لعلمهم أنّ النـوالَ لديه غــيرُ مُخَفَّرِ
فى كلّ يومٍ يُلجمون لغـارةٍ فسـنُوه غير محرَّماتِ الأشهــرِ
مستنشق عِطــرَ الثناء بسـمعه ما كلّ طيِّـبة تُشَــمُّ بمَنخِرِ
متيقّــظٌ فتى تُصِــبه نَفثـةٌ للشكر فى عُقَــدِ المطامع يُسـحَرِ
يسعَى و يكدحُ ثم يُتلفُ ماحوى، عاداتُ أروعَ للأنام مســخَّرِ
بالله نُقسِــمُ : أنه لا خـيرَ فى حسبٍ ولا نسبٍ لمن لم يُشكَرِ
لو كان مجهـولَ المغارس أخبرت عنــه شمائلُه بطيب العُنـصُرِ
قــد زان مَخبرَه بأجمــلِ مَنظرٍ وأعانَ مَنظرَه بأحسن مَخـبرِ
ما مَن تتوّج أو تمنطـقَ عسجداً كمطــوَّق بالمكرماتِ مســوَّرِ
تحـكى أنابيبُ الـيراع بكفّه فعلَ الرماح تخاطرت فى "سَمهرِ"(١)
وكأنهـا الخطباءُ فــوقَ بنـانه لكن بلاغتُهـا كلامُ المنــبرِ
لا تبعَــدنْ هِمــمٌ له لو أُودِعت عندالكواكبِ لآدّعاها"المشترى"
وعزائمٌ يَلحَمْن مثــلومَ الظُّبـا ويُقمنَ أصـلابَ القنا المتأطِّـرِ(٢)
إطـراقهُ يُخشَى، و يُرهَبُ صَمتُه، والسـيفُ محذورٌ وإن لم يُشهرِ
لولاك ما آنتبــه الثرَى بمَنـاسمٍ(٣) خُلطتْ بطونُ صـعيده بالأظهرِ

---

(١) سمهر : قرية فى الحبشة تنسب اليها الرماح . (٢) المتأطر : المثنى .

(٣) المناسم : الأخفاف .

وسواهمِ "لبنـات نعشٍ" لحظُها	وخِفافُها تفلى "بنـاتِ الأَوْبرِ" (١)
فأتتـك أمثالَ السَّعالِى (٢) زُوجتْ	أشـــباحَ رُكبانٍ بِجِنَّـةِ "عَبقرِ" (٣)
غصبَوا النجومَ على السُّرَى وتعلَّموا	خوضَ الظـلام من المطىِّ (٤) الزُّوَّرِ
لا ينظـرون وِصابَهـم (٥) وشحوبَهم (٦)	إلا بمِـرآة الصـــباح المُســـفرِ
لم يلبســـوا الأدراع إلا رِيبــةً	لا خيفـــةً من أبيضٍ أو أسمـرِ (٧)
إن لم يُنيخـوا فى ذَراك فإننى	لكفيلُ كـلِّ مهنِّئٍ ومبشِّـرِ
جدِّدْ "بنوروز" الأعاجم رتبةً	سَمَتَ "المجرة" أوفويقَ "الأنسُرِ" (٨)
وآسرَحْ سَوامَك فى رياضِ سعادةٍ	وعمِـــيمِ عُشْبٍ بالعـــلاء منوِّرِ
فاذا وردَت فماء أعذبِ مَـــوْرِدٍ	واذا صدَرتَ فرَوْح أفسحِ مَصدَرِ
أهـديتُ من كلِمى اليـك تحيَّـةً	غراءَ تسـترعى حنـينَ المِزهرِ (٩)
ولو آدخرتُ المـالَ أو أبقيتُـــه	يوما أثبتُ (١٠) بأبيـــضٍ وبأصـفرِ

---

(١) السواهم : النوق الضامرة؛ وبنات أوبر : ضرب من الكمأة تشبه القلقاس أو اللفت ولونها كلون التراب . (٢) السعالى : الغيلان . (٣) عبقر : أرض يقال إنها مملوءة بالجن . (٤) فى الأصل : « المط » . (٥) الوصاب : المرضى ، واحدها : وصب — بكسر الصاد — . (٦) الشحوب : تغير اللون من السفر . (٧) الأبيض والأسمر : السيف والرمح . (٨) يشير إلى كوكبين : هما النسر الطائر والنسر الواقع . (٩) المزهر : العود . (١٠) فى الأصل هكذا « أبث » والأبيض والأصفر : الفضة والذهب .

* * *

وقال يمدح عميــدَ المُلك أبا نصر [محمــد بن] منصور بن محمد الكُنْدرىّ(١) وزير طُغْرُلْبك عند وصوله إلى العراق فى محرم سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة] :

أ كذا يُجــازَى ودُّ كلِّ قــرينِ ... أم هــذه شـيمُ الظباءِ العِـينِ ؟ !

قُصُّوا علىَّ حديث من قتَلَ الهوى ... إن التأسِّىَ رَوْحُ كلِّ حــزينِ

ولئن كتمتم مشفقين فقُــدوتى ... بمصارع "العُذرىّ" و"المجنونِ"(٢)

فوق الركابِ ولا أطيل مشبِّهًا ... بَـلْ ثَمَّ شهوةُ أنفسٍ وعيــونِ ،

هَزَّت قدودُهُمُ وقالت للصَّـبا ... هُزءاً : أعند البان مثلُ غصونى ؟ !

وكأنما نقَلتْ مآزرُهـــم إلى ... جَدَدِ(٣) الحِمى "الأنقاءِ"(٤) من "يبرينِ"

ووراء ذياك المقبَّــلِ مــوردٌ ... حصــباؤه(٥) من لؤلؤ مكنونِ

إمّا بيوت النحل بين شفاههم ... مضــمومةً أو حانةُ الزَّرَجـونِ(٦)

تـــرمِى بعينيــك الفِجاجَ مقلِّبًا ... ذاتَ الشِّمال بهـا وذاتَ يمـينِ

---

(١) الزيادة عن وفيات الأعيان حيث استوعب تاريخ هذا الممدوح . (٢) العذرى والمجنون : عروة بن حزام عاشق عفراء بنت عمه ، المنسوب إلى بنى عذرة ، وقيس بن الملوح عاشق ليلى . (٣) الجدد : ما آسترق من الرمل . (٤) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل . و يبرين : موضع بأصقاع البحرين معروف بكثرة رماله . (٥) الحصباء : الحصى الصغار . (٦) الزرجون : الخمر — فارسى معرب — .

لو كنتَ "زرقاءَ اليمامة"(١) ما رأت ... من "بارق"(٢) حيًّا على "جَيْرونِ"(٣)

شكواك من ليـل التِّمام(٤) وإنمـا ... أرَقى بليــل ذوائبٍ(٥) وقـرونِ(٦)

ومعنِّفٍ فى الوجدقلت له: آتئد ... فالدمـعُ دمعى والحنـينُ حنينى

مانافعى — إذكان ليس بنافعى — ... جاهُ الصبا وشـفاعةُ العشرينِ

لا تُطــرِقن خجلا للومة لائم ... ما أنت أوّلُ حازمٍ مفتــونِ

أأسومهم — وهم الأجانب — طاعةً ... وهواى بين جوانحى يُصــبينى؟(٧)

دَيْنى على ظَبَيَاتهـم ما يُقتضَى ... فبأىِّ حُكْمٍ يقتضون رهـونى؟!

وخشيتُ من قلبى الفِـرارَ اليهمُ ... حتى لقــد طالبتُــه بضمينِ

كلَّ النّـكال أطـيق إلا ذِلّةً، ... إنَّ(٨) العـزيزَ عذابُه بالهونِ

يا عينُ مثلُ قَذاكِ رؤيةُ معشرٍ ... عارٍ عــلى دنيـاهُمُ والدّينِ

لم يُشـبهوا الإنسانَ إلا أنهـم ... متكوّنون من الحَمـا(٩) المسـنونِ

نَجُسَ العيون فإن رأتهـم مقلتى ... طهَّرتُهـا فنزحتُ ماءَ جفـونى

(١) زرقاء اليمامـة: امرأة مشهورة بحـدّة بصرها وكانت ترى ما بعـده ثلاثة أيام واسمها حذام — بالبناء على الكسر —. (٢) بارق: ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من أعمال الكوفة. (٣) جيرون: اسم دمشق قديما — وفى ذلك أقوال كثيرة يرجع اليها فى مظانها —.

(٤) ليـل التِّمام: — بالكسر — أطـول الليالى. (٥) الذوائب: شعر النواصى.

(٦) القرون: الغدائر. (٧) كتب بجانب هذه الكلمة على الهامش: «أصل هـذه القافية لم يكن ظاهرا». وهذا يدل على أن الناسخ أثبت هذه الكلمة من عنـده، ونحن نرجح أن تكون «يعصينى» لمطابقتها لكلمة «طاعة» فى الشطر الأوّل. (٨) فى الأصل «إلا» وهو تحريف.

(٩) الحمأ: الطين، — وسهلت الهمزة للضرورة —.

أنا إن هُمُ حسِبوا الذخائر دونهم   وهُمُ إذا عدّوا الفضـائلَ دونى

لا يُشمِت الحسّـادَ أنَّ مطالبى   عادت إلىَّ بصـــفقةِ المغبونِ

لا يستديرُ البـدرُ إلّا بعـد ما   أبصرتُه فى الضُّـمر[1] كالعُرجونِ

هذا الطريقُ اللَّحْبُ[2] زاجرُ ناقتى   واليمُّ قاذفُ فُلكىَ المشـــحونِ

فاذا "عميدُ الملك" حلَّا ربعـه   ظَفـــرًا بفـال الطائر الميمونِ

مَلكٌ إذا ما العــزمُ حثَّ جيادَه   مرحتْ بأزهرَ شامخِ العِـرنينِ[3]

يا عزّ ما أبصرتُ فوق جبينه   إلا اقتضانى بالسـجودِ جبينى

يحـلو النواظرَ فى نواحى دَسْته[4]   والسرج بدرُ دجًى وليثُ عرينِ

عمَّت فواضـــلُه البريّةَ فالتقى   شــكرُ الغـنىِّ ودعوةُ المسكينِ

قالوا — وقد شنّوا عليه غارةً — :   أصِلاتُ جودٍ أم قضـاءُ ديونِ؟

أمّا خزائنُ مالِه فمبـاحةٌ   فاستوهِبوا من علمه المخــزونِ

كرمٌ إذا استفتيته بجوابهُ:   منــعُ اللُّهى[5] كالمنـع للماعونِ!!

ما الرزق محتاجا بعرصـــته[6] إلى   طلبٍ وليس الأجرُ بالممنـــونِ

لو كان فى الزمن القديم تظلَّمت   منه الكنوزُ الى يدَىْ "قارونِ"

---

(١) الضمر : الهزال ، والعرجون : أصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا . (٢) اللحب : الواضح . (٣) العرنين : الأنف . (٤) الدست : المجلس ، أو هو صدر البيت . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا ، والماعون : الزكاة . (٦) العرصة : ساحة البيت .

وإذا ٱمرؤ قعدت به همّـاته ... خلّى سـبيلَ رجائه المسـجونِ

أقسمتُ أن ألقَ المكارمَ عالمـا ... أنّى برؤيتــه أبرّ يميــنى

شهدتْ علاه أنّ عنصرَ ذاته ... مِســكٌ وعنصرَ غيره من طـينِ

ساس الأمورَ فليس تَخلَى رغبةٌ ... من رهبـة وبسـالةٌ من لينِ

كالسيف رونَقُ أَثْرِه(١) فى متنــه ... ومضاؤه فى حــدّه المسـنونِ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا نصر محمـد بن محمد بن جَهِـير، ويهنّئه بوزارته للخلافة، وأنفذها اليه من واسـط فى سنة خمس وخمسين [بعد الأربعمائة]، ويعرِّض بآبن دارست الوزير وآبن حُصَيْن الكاتب :

لِحَـاجةُ قلبٍ ما يُفيــق غُرورُها ... وحاجةُ نفسٍ ليس يُقضَى يسيرُها

وعينٌ الى الأطلالِ تُزجِى سحابَهـا ... إذا لوعةُ الأحشاءِ هبّ زفــيرُها

أكلّفهـا هطـلا على كلّ مــنزلٍ ... فلو أنهـا أرضٌ لغـارت بُحـورُها

وما تجمع العينُ التوسُّمَ والبــكا ... فهـل تعـرفانِ مقـلةً أسـتعيرُها

وقفنا صــفوفا فى الديار كأنهـا ... صحائفُ ملقـاةٌ ونحن سـطورُها

يقول خليــلى والظّباء سـوانحٌ : ... أهذِى التى تهوى؟ فقلت : نظيرُها!

لئن أشبهتْ أجيـادُها وعيونُهـا ... لقد خالفت أعجـازُها وصدورُها

---

(١) الأثر : جوهر السيف .

فيا عجبى منها يَصُـدّ أنيسُها ويدنو على ذُعرِ الينا نَفُورُها
وما ذاك إلا أنّ غِزلانَ "عامرٍ" يثقنَ بأنّ الزائرين صُقورُها
ألم يكفِها ما قد جنتهُ شموسُها على القلب حتى ساعدتها بدورُها
نَكَصنا على الأعقاب خوفَ إناثها فما بالها تدعو : نَزَالِ، ذُكورُها
ووالله ما أدرى غَداة نظرننَا أتلك سهام أم كئوسٌ تديرُها؟
فإن كنّ من نَبلٍ فأين حَفيفُها(١) وإن كنّ من خمرٍ فأين سرورُها!؟
أيا صاحبىّ آستأذنا لىَ خُمْرَها(٢) فقد أذنتْ لى فى الوصول خدورُها
هباها تجافتْ عن خليلٍ يروعُها فهل أنا إلا كالخيال يزورُها؟
وقد قلتما لى : ليس فى الأرض جَنّةٌ أما هذه فوق الركائب حُورُها!؟
فلا تحسَبا قلبى طليقا فإنما لها الصورُ سجنٌ وهو فيه أسيرُها
يعزُّ على الهِيم الخوامسِ(٣) ورِدُها إذا كان ما بين الشفاه غديرُها
أراكَ "الحمى" قل لى : بأىّ وسيلة وصلتَ الى أن صادفتك ثغورُها
وما لى بها علمٌ، فهل أنت عالم : أأفواهها أولى بها أم نحورُها؟!
يطيب النسيمُ الرطبُ فى كلّ منزلٍ وما كلُّ أرض يستطابُ هجيرُها
وأنّ فروعَ البان من أرض "بِيشَةٍ"(٤) حبيبٌ إلىّ ظلُّها وحَرورُها

(١) الحفيف : دوى صوت السهام . (٢) خمر : جمع خمار وهو كل ما غطى الرأس .
(٣) الهيم الخوامس : الإبل العطاش ترد فى اليوم الرابع لظمئها . (٤) بيشة : موضع معروف بكثرة الأسود .

أَلَذُّ من الورد الجنيّ عِرارُها (١) وأحلى من الشهد المصفّى بريرُها
على رِسْلكم (٢) فى الحبّ، إنّا عصابةٌ إذا ظفرتْ فى الحبّ عفّ ضميرُها
سَواءٌ على المشتاق — والهجرحظّه — أألقت عصاها أم أجدّ بُكورُها
لعمرُك ما سحرُ الغوانى بقادرٍ على ذات نفسى والمشيبُ نذيرُها
وما الشَعَراتُ البيضُ إلا كواكبٌ مطالعُها رأسى وفى القلب نُورُها
ضياءٌ هدانى فاهتديتُ لماجدٍ سُهولُ المعانى طُرقُه ووُعورُها
أجابَ به اللهُ الخلافةَ إذ دعت وزيرا فكان من أجنّ ضميرُها
به غصّ ناديها وأشرقَ سعدُها وأُفعمَ واديها وسُدّت ثُغورُها
تَباهَى به يومَ الرحيل خيامُها وتُزهى له يومَ المقام قصورُها
وقد خفيتْ من قبله معجزاتُها فأظهرها حتى أقرّ كَفورُها
فما رأيه إلا سُموطُ لآلئٍ يرصّع منها تاجُها وسريرُها
ولا عجبٌ أن تستطيلَ عِمادُها وهذا الهمامُ الأريحىّ وزيرُها
فقل للّيالى : كيف شئتِ تقلّبى ففى يدِ عبلِ (٣) الساعدينِ أمورُها
يدٌ عبِقت بالمكرُمات وضُمّخت وما الطيبُ إلا مِسكها وعبيرُها
إذا كان خاتامُ (٤) الخلافة حَلْيَها فأىّ افتخار يستزيد فَخورُها

---

(١) البرير : أول مايظهر من ثمر الأراك . (٢) الرسل : الرفق والتؤدة .

(٣) العبل : الضخم . (٤) الخاتام : الخاتم .

وما صيغ لولا معصماه سوارُها ... ولا صين لولا مَنكِباه حريرُها

أمانيُّ فى صدر الوزارة بُلِّغتْ ... به كُنهَها حتى استحقَّتْ نُذورُها

لوتْ وجهها عن كلّ طالب مُتعةٍ ... إلى خاطبٍ حِلٍّ عليه سُفورُها

ومن ذا "كفخر الدولة" استامها له ... وما كلُّ نجم فى السماء منيرُها

آلانَ(1) رأينا فى مجالس عزِّها ... مجالسَ تُملَا بالعَلاء صدورُها

كأنَّ على تلك الأرائك ضيغما ... له تأَماتٌ(2) لا يجابُ زئيرُها

إذا مَثَلَ الأقوامُ دون عَرينه ... تساوَى به ذو طيشها ووقورُها

تكاد لِما قد أُلبست من سكينة ... ترِفُّ على تلك الرءوس طيورُها

دعوا المجد للتراقى إلى كل قُلَّةٍ(3) ... يشُقُّ على العَوْدِ(4) الذلول حُدورُها

لذى الخَطَراتِ المخبراتِ يقينَه ... بمستقبَلِ الحالاتِ ماذا مصيرُها!

ألم تعلموا أن النعائمَ فى الثرى ... وأن البُزاةَ فى الشِّعاب وُكورُها

وقد علمت أبناءُ "هاشمَ" كلُّها ... بأى ابن هَمٍّ قد أُمِرَّ مَريرُها(5)

بمكتهِلِ الآراء لو زاحموا به ... جبالَ "شَرَوْرَى" لارجحَنَّتْ(6) صُخورُها

مقيم بأطرافِ المكارم سائل ... ركابَ بنى الحاجات : أين مسيرُها؟!

(١) يريد « الآن » نخفف للضرورة . (٢) التأمة : صوت الأسد . (٣) القلة : رأس الجبل . (٤) العود : الجمل المسن؛ والحدور : الانحدار . (٥) المرير : الحبل المحكم الفتل . (٦) ارجحنت : مالت واهتزت .

جزى اللهُ ربُّ الناس خــيرَ جزائه ... ركائبَ تحَــدى بالمكارم عِــيرُها

وأسقَ جيادا سِرنَ بالبأس والندى ... من الساريات الغـاديات غزيرُها

تناقلن من عليـاءِ دارِ "ربيعـةٍ" ... و"بَكـرٍ" بأنواءٍ يفيض نميرُها (١)

تخطَّت شُعوبا من ذؤابة "عامرٍ" ... لهـا العــزُّ حامٍ والنجاحُ خفـيرُها

وساعدها من آلِ "جُوثَةَ" (٢) عصبةٌ ... إذا ثوّب الداعى يعــزُّ نصيرُهـا

حمـاةُ السـيوف والرماح حِمـامُها ... وأحشاءُ ذؤبانِ (٣) الفلاة قبورُها

قِبابهــم السـمرُ الطوالُ عِمـادُها ... ومُقَرَبَةُ الخيل العتـاقِ سـتورُها

وأفنيــةٌ مثــلُ الروابى جِفانُـهـا ... ومثــلُ الجبـال الراسيات قدورُها

إذا طَرَقَ الأضيافُ غنَّت كلابُهـا ... وناحت بشـجوٍ شاتُهـا وبعـيرُها

فماخَطَت "الجُودِى" (٤) حتى تراجفتْ ... اليمنَ آكام "العراقِ" وقُورُها (٥)

وكادت لها "بغدادُ" يوم تطلّعت ... تسـيرُ مغانيهـا وتجمـحُ دورُهـا

فلم تك إلا هِجــرةٌ "يثربيَّــةٌ" ... حقيقٌ على رهطِ "النبىّ" شُكورُها

فلله شمسٌ، مغربُ الشمسِ شرقُها ... وفى حيثما شـاءت طُلوعا ذُرورُها (٦)

أعدْتَ الى جسم الوزارة رُوحَــهُ ... وما كان يُرجَى بعثُهـا ونُشـورُها

---

(١) النمير : العذب الصافى . (٢) جوثة : موضع أوحى ؛ وبنو جوثة منسوبون اليهم .

(٣) ذؤبان : جمع ذئب . (٤) الجودى : جبل فى الجانب الشرقى من دجلة من أعمال الموصل . (٥) قور : جمع قارة وهى الجبل المنقطع عن الجبال أو هى الصخرة العظيمة .

(٦) الذرور : الطلوع .

أقامت زمانا عنــد غيرك طامثـا (١) وهـــذا الزمان قُرءُهـا وطَهورُها (٢)

من الحقّ أن يُحبَى بهـا مستحقُّها ويُنزَعهـا مردودةً مســتعيرُها

إذا ملك الحسناء من ليس كفؤها أشار عليهـا بالطـلاقِ مُشــيرُها

أظنّ ابنَ "دارستَ" الوزارةَ تَلعةً (٣) "بفارسَ" قد عُدّتْ عليه بُدورُها (٤)

وإن هضاب المجد ليست بمَزلَقٍ؛ لأحنفَ كابى الحافرين عُثــورُها (٥)

ألمَّا يكن فى نسجِ "تُوَّجَ" (٦) شاغلٌ له عن تعاطى رتبــةٍ لا يطورُهـا (٧)

أقول وقــد واراه عنّـا حجابُه : رويدَكَ دون الفاحشات سُتورُها

وأعلقه بابن "الحُصين" سفاهةٌ ألا خابَ مولاها وســاء عشيرُها

فأعدَى إليــه رَأيَهُ فأباده كما أهلك "الزّبّاءَ" (٨) يوما "قَصيرُها"

وهل نجمه الهـاوى سوى دَبَرانهـا (٩) وهـل ريحُــه الهوجاءُ (١٠) إلا دَبورُها

وأطــربه تحت الرِّواق نُهـاقُه (١١) وليس يروق الأُتْنَ (١٢) إلا حَميرُها

وما كان ظنّى أن للــذئب وقفــةً وقـد جرَّ أرسانَ (١٣) الأمورِ هَصورُها (١٤)

---

(١) الطامث : الحائض . (٢) القرء : الطهـر من المحيض ، وفى الأصـل « قرها » وهو تحريف . (٣) التلعة : ما ارتفع من الأرض . (٤) بدور : جمع بدرة وهى كيس فيه عشرة آلاف درهم . (٥) الأحنف : الذى تميل قدماه كل واحدة الى أختها بأصابعها . (٦) توج : مدينة بفارس تصنع فيها ثياب من الكتّان ذات ألوان حسنة . (٧) لا يطورها : لا يقرب منهـا . (٨) الزباء : لقب ملكة الجزيرة وقصتها مع قصــير بن ســعد مشهورة . (٩) الدبران : منزل للقمر . (١٠) الهوجاء : الريح التى لا تستوى فى هبوبها ؛ والدبور : الريح الغربية . (١١) فى الأصل «نهامة» وهو تحريف . (١٢) الأتن : جمع أتان وهى الأنثى من الحمير . (١٣) الأرسان : الحبال، واحدها رسن . (١٤) الهصور : الأسد .

فأرضُ رُعاءِ البَهْـــمِ إلا تُقــرّه ... يُعقّرُ بنـابٍ لا يُبِــلُّ عقــيرُها

ولا تُلقينّ البأسَ عنـد احتقاره ... ألا ربمـا جرَّ الخطـوبَ صـغيرُها

بودّىَ لو لاقيتُ مجــدَك تاليًـا ... مناقبَ أُســديها (١) له وأُنيرُهـا (٢)

ولكنني أبعدتُ فى الأرض مذهبى ... لإعزاز نفسٍ قد جفاها عَذيرُهـا (٣)

وهجهجَ (٤) بى عن أرض "بغدادَ" ذِلّةٌ ... كوخزِ سنانِ السـمهرىّ (٥) حُصورُها (٦)

لأمثالهـا تعــلو الجيـادَ سُروجُها ... ويلتقم الحَرْفَ (٧) العَلَنْــداةَ كُورُهـا (٨)

فـكدت بأن أنسى لذاك فصاحتى ... سوى أنّ طبعا فى الحَمـام هديرُها

تركنا رُبَى "الزوراء" ينزو (٩) خلالَهـا ... جَنادبُ يعلو فى الهجير (١٠) صَريرُهـا (١١)

وقلتُ : بـــلادُ الله رحبٌ فسيحةٌ ... فهل معجزى أُفحوصة (١٢) أستجيرُها

وقد تترك الأسـدُ البـلادَ تنزّهًـا ... إذا ما كلابُ الحىّ لجَّ هريرُهـا

أقامت بمثـــواك الليـالى مُنيخةً ... مكرّرةً أيامُهـا وشُهورُهـا

يؤرِّخُ من ميلاد سعدك عَصْرُهـا ... وتُحصَى بأعمـار النسور دُهورُهـا

فدونكها للتـاج يُبتـاعُ دُرُّهـا ... "فرزدقُها" غوّاصها و"جريرُها"

وقــد زادها حســنا لعينيك أنهـا ... على مسمعَىْ "داود" يُتلَى "زَبورُها"

---

(١) أسدى الثوب : جعل له سدى . (٢) أنار الثوب : جعل له نيرا وهو ضد أسدى . (٣) العذير : النصير . (٤) هجهج بى : زجرنى . (٥) السمهرى : الرمح — منسوب الى سمهر وهى بلدة بالحبشة — . (٦) الحصور : الأسر . (٧) الحرف العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . (٨) الكور : الرحل . (٩) ينزو : يثب ؛ والجنادب : الجراد . (١٠) الهجير : شدّة الحر . (١١) صريرها : صوتها . (١٢) الأفحوصة : مجثم الدجاجة والنعامة .

*
* *

وقال يمدحه، ويهنئه بعوده الى الوزارة بعد أن عُزِل عنها :

قـد رجـعَ الحقُّ الى نِصـابِهِ ... وأنت من كلّ الورى أولَى بهِ

ماكنت إلا السـيفَ سلّه يدٌ ... ثُمّ أعادتــه إلى قِـرابه (١)

هزّتهُ حتى أبصـرتْهُ صـارما ... رونقُــه يُغنيه عن ضِرابهِ

أَكرِمْ بهـا وزارةً ما سلَّمت ... ما آستُودِعت إلا الى أربابهِ

مشـــوقة إليـك مذ فارقتَها ... شوقَ أخى الشَّيب إلى شَبابهِ

مثلُك محسـودٌ ولكن معجز ... أن يُدرَكَ البـارقُ فى سحابهِ

حاولهـا قومٌ ومن هـذا الذى ... يُخرِجُ ليثا خادرا من غابهِ

يُدمِى أبو الأشـبال من زاحمَـهُ ... فى خِيســهِ بظُفــره ونابهِ

وهـل سمعتَ أو رأيت لابسا ... ماخلَع الأرقمُ من إهـابهِ (٢) (٣)

لا تحسَـبا لهوَ الحديث ماحيا ... حَـتما قضـاه الله فى كتابهِ (٤)

مرُّ النســيم غاديا ورائحـا ... لا يُزلقُ الأعصمَ عن هِضـابهِ (٥)

وليس يُعطى أحـدا قيـادَه ... أمرٌ، لسـانُ المجد من خُطَّابهِ

تيقَّنـوا لمـا رأَوهـا صـعبةً ... أن ليس للجـوِّ سـوى عُقـابهِ

(١) القراب : غمد السيف . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الإهاب : الجلد .
(٤) فى الأصل «ختما» وهو تصحيف . (٥) الأعصم : تيس الجبل يعتصم به .

إن الهــلالَ يُرتجى طــلوعُه ... بعــد السَّرارِ[1] ليــلةَ احتجابه

والشمس لا يُؤيَس من طُلوعِها ... وإن طواها الليــلُ فى جِلبابه

ما أطيبَ الأوطــانَ إلا أنهــا ... للمــرءِ أحــلَى أثرَ اغــترابه

كم عَودةٍ دلَّت عــلى دوامها، ... والخُــلْد للإنسان فى مآبه

لو قُرِّبَ الدُّرُّ عــلى جالبــه ... ما لجَّجَ الغــائصُ فى طِــلابه

ولــو أقام لازما أصــدافَه ... لم تكــن التيجانُ فى حســابه

من يعشق العلياءَ يلقَ عنــدها ... ما لقِىَ المحبُّ من أحبــابه

طورا صــدودا ووصالا مرّةً ... ولذّةُ الــوامقِ فى عتــابه

وربّمــا اعتاص[2] الذى تأمُلُه ... وأصبحَ الخوفُ من أسبابه

ما لــؤلؤ البحــر ولا مَرجانُه ... إلا وراءَ الهول من عُبــابه

ذلَّ "لفخر الدولة" الصعبُ الذُّرَى ... وعــلَّم الأيام من آدابه

واستخدم الدهرَ فما يأمره ... إلا أتى الطــاعةَ فى جوابه

يكاد من تهذيبــه أخلاقَه ... أن يســتردَّ الغــدرَ من ذئابه

قــد طأطأتْ أيامُه أعناقَها ... خاضــعةً تســير فى رِكابه

كأنهــا عصائبٌ من طالبى ... ثــوابِه أو خائــفى عِقــابه

---

(١) السرار : آخر الشهر .

(٢) اعتاص : صعب وصار عويصا ، وفى الأصل : «اعتاض» وهو تصحيف .

إن أخطأتْ واصلت آعتذارَها | وإن أصابت فهو من صوابهِ
يا ناشد الجُود وقد أضلّه | مالك لا تبغيه فى جَنابهِ؟
حيث أقام أبصرَ الناسُ الندى | تُشير كفاه الى قِبابهِ
ترى وفودَ الشكر حولَ بيته | كأنها الأوتادُ فى أطنابهِ
ما ثوّروا[1] الآمال عن صدورهم | إلا أناخت بِفناء بابهِ
وكيف لا يهوَى الرجاءُ رَبعَه | وليس مَرعاه سوى أعشابهِ
قَلَّد أيدى المكرُماتِ إذنَهُ | فرفَعتْ من طَرَفَىْ حِجابهِ
لا تسئلنّ عن مدى معروفه | أو تسل الوسمىَّ[2] عن مَصابهِ؟!
يكفيك ما يبسُطه من بِشره | أن تطلبَ الإذن الى حُجّابهِ
يطغَى بتكرير السؤال رفدُه | والدَّرُّ جيّاشٌ[3] على آحتلابهِ
هو الذى أفعالُه من حسنِها | كأنما آشتُقِقن من ألقابهِ
مَن حسَبُ السؤددِ فى صميمهِ | ونسبُ العلياء فى لُبابهِ
كالسمهرىّ عزمُه لو لم يكن | ينقُص عنه الرمحُ بآضطرابهِ
شكرا وزير الوزراء تسترد | أضعافَ ما بُلّغتَ من وَهابهِ
قدمتَ كالغيث أصاب ظامئا | سوّفه الخدّاعُ من سَرابهِ
كم ساجدٍ لمّا سموتَ طالعا | كأنه صلّى الى محرابهِ

(١) ثوروا الآمال : هاجوها وجعلوها ثائرة. (٢) الوسمى : أول المطر. (٣) جياش : متدفق.

وصائم رؤياك قـد أغنته عن ... طعـامه طِيبـا وعن شرابه
ولو أطاق الدَّستُ سـعيا لسعى ... مسـتقبِلا يختـال فى أثوابه
كان حشاه قلِقا حتى آحتبى ... فى صـدره من كان من آرابه
أقمت فى نعماءَ مطمئنـةٍ ... تُحكِّم الفـؤادَ فى إطـرابه
تسـاعد الدنيـا عـلى زينتها ... وتغلب الدهر عـلى أحقـابه
ألقت عصاها وآرتمت ركابُهـا ... فى سُرَرِ الوادى وفى شِـعابه
قد أُعفىَ المـارنُ(١) من خَشاشـه(٢) ... ورُوِّحَ الغـاربُ(٣) من أقتـابه(٤)
عـلى يديك المرتجَى إنعـامُها ... تابَ غرابُ البين من نُعابه

⁂

وقال أيضا فيه ، ويذمّ آبن دارست، ويذكُر مصيرَ هذا الى العراقِ من البلاد العُليا، وهذا من السفلَى :

قالوا : وزيرانِ، هوَى نجمُ ذا ... ونجمُ هـذا قـد علا طالعـا
كذلك الدهرُ يُرَى خافضـا ... طورا وطورا قد يُرَى رافعـا
قلتُ : قياسٌ ويحكم زِبْرِجٌ(٥) ... جوهرُه لا يقبـلُ الطابعـا(٦)

---

(١) المارن : الأنف . (٢) الخشاش : خشبة تعترض أنف البعير . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) أقتاب . جمع قتب وهو الرحل على قدر السنام . (٥) الزبرج : الذهب .
(٦) فى الأصل «الطائعا» وهو تصحيف .

هذا أتى من "آمِدٍ"(١) سامياً ... وذا أتى من "فارسٍ" خاضعاً

كم بين من وُلِّىَ من فوقها ... فقــرَّ فى مركزها وادعاً،

وبين من رُقِّىَ من تحتهـا ... نخــرَّ من ذِروتهـا واقعـا

نطَّرِحُ الباطنَ ما بيننـا ... ونستفيدُ الظـاهرَ الذائعـا

ابنُ "جَهيرٍ" وابنُ "دارستِكم" ... بأىِّ لفظٍ يُعجِبُ السـامعا

أليس مطبــوعا على قلبــه ... من ظنَّ تيسـا أسـدا رائعـا!

* * *

وقال يمدحُ ولدَه عميدَ الدولة، ويهنئُه بالخِلَع عليه وآستخلافِه على الوزارة :

قــد بانَ عذرُك والخليطُ مودِّعُ ... وهوَى النفوسِ مع الهوادجِ يرفَعُ

لك حيثما سمت الركائبُ لفتــةٌ ... أتُرى البــدورُ بكل وادٍ تَطلُعُ!

لله مُطــوىٌّ عــلى زفَــراته ... لم يقضِ من ظمأ ولا هو ينقعُ

قرُبت أمانىُّ النفـوس وعنــده ... أمــلٌ تُخَبُّ(٢) به الركابُ وتوضِعُ

ونأتْ مطارحُ قلبــه عن سمعــه ... فالعـاذلون بهنّ حَسرَى(٣) ظُلَّــعُ(٤)

ما خاف فى ظُـلَمِ الصـبابةِ ضلّةً ... إلا ودلَّتْــه الــبروقُ اللُّـــمَّعُ

فى الظاعنين من الحِمى ظبىٌ له الـ ... أحشـاءُ مرعًى والمآقى مَكرَعُ

---

(١) آمد : بلد قديم حصين يحيط بأكثره نهر الدجلة كالهلال . (٢) الخبب والإيضاع : ضربان من السير . (٣) حسرى : معياة . (٤) الظلع : التى فى مشيها غمز يشبه العرج .

ممنوعُ أطرافِ الجمال، رقيبُــه حذرٌ عليـه، والغيــورُ البرقُـعُ

عهِـدَ الحبـائلَ صائداتِ شبِهِهُ وآرتابَ، فهو لكلِّ حبلٍ يقطعُ

لم يـــدرِ حامِى سِربهِ أنّى اذا حُرِمَ الكلامُ له، لسـانى الإصبعُ

وإذا الطُّيوفُ الى المضاجع أُرسِلت بتحيــةٍ منه فعيـــنى تســمعُ

ويح الألى آنتجعوا الغمامَ وعندهم بين المحـاجرِ ديمــةٌ (١) ما تُقلعُ

لجئوا الى عزِّ الخدور وفى الحشا بيتٌ أعزٌّ من الخـــدور وأمنعُ

هـــل فى قِبابهم اللواتى رفّعـوا مبنيـــةٌ أطنـابهُنَّ الأضــلُعُ؟!

لهمُ مَصيفٌ فى الفؤاد ولو سُـقِى ماءَ الوصـال لكان فيـه مَربَعُ

يا كاسرَ النَّجلاءِ تُرســـل نظـرةً خَطفا كلحظ الريم (٢) وهو مروَّعُ

لسوى أسنّتك المِجنُّ مضـاعَفٌ ولغير أسهمك الســوابغُ (٣) تُصنَعُ

لى حيـــلةٌ فى كلّ رامٍ مُغرِضٍ (٤) لو أنه فى غـــير قوســـك ينزِعُ

أطيِبْ بأطلالِ "الأراك" ونفحةٍ باتت بمسراها الرجالُ تَضَـــوَّعُ

ومواقفٍ لم ألقَ مولًى راحمـا فيهـا ولم أظفر بخِـــلٍّ يشــفعُ

لولا الذين البيـــدُ من أوطانهم ما كان يملِكنى الفضـاءُ البلقعُ (٥)

آنستُ من أطلالهم ما أوحشوا وحفِظتُ من أيّامهم ما ضـيّعوا

---

(١) الديمة: المطرة الدائمة. (٢) الريم — ويهمز — الغزال. (٣) السوابغ: الدروع. (٤) المغرض: الذى يصيب الغرض وهو الهدف. (٥) البلقع: القفر.

ورضيتُ بالمُهدى إلىّ نسيمَهم ... إنّ المحب بما تيسّر يقنَعُ

ولقد حللتُ حُبَى الظلام بفتيةٍ ... ألِفَتْ وجوهَهم النجومُ الطُّلَّعُ

قرَوُا الهمومَ جسومَهم ونفوسَهم ... وبطونُها بسواهُمُ ما تشبعُ

وسَرَوا بأشباحٍ تجاوَزها الردى ... إذ لم يكن فيها له مستمتَعُ

لاقتْ بهم خُوصُ المهارَى[1] مثلما ... لاقى بأربعِها الثرى واليَرمَعُ[2]

في حيثُ لا زَجَلُ[3] الحُداة مردَّدٌ ... خوفَ الهلاك ولا الحنينُ مرجَّعُ

قلِقت بهم قلقَ اللديغ كأنما ... ظنَّت سياطَهُمُ أراقمَ تلسعُ

فتَل الدُّءوبُ لحومَها بشحومِها ... فتشابهت[4] أثباجها[5] والأنسُعُ[6]

متباريات بالنَّجاء[7] كأنما ... وضَعت رهونا سُوقُها والأذرعُ

وإلى "عميد الدولة" اعتسفت بنا ... أنضاؤها[8] حتى هناها المربَعُ

من عندَه الظلُّ الظليلُ ومنهلُ الـ ... ـعذب المصفَّق والجنابُ المُمرِعُ

والغادياتُ الساريات بريقُها ... ولبانُها يسقى الرجاءَ ويُرضعُ

ما زال يفهمنا العلاءُ صنيعَه ... حتى علمنا ما الأغرُّ الأروعُ

---

(١) خوص: جمع أخوص وخوصاء وهى التى غارت عينها. والمهارى: جمع مهرية وهى الإبل المنسوبة الى مهرة بن حيدان وهى نجائب تسبق الخيل. (٢) اليرمع: حصى بيض تلمع وهى رخوة إذا فتتت انفتت. (٣) الزجل: الصوت. (٤) فى الأصل "فتشابهن". (٥) أثباج: جمع ثبج وهو ما بين الكاهل الى الظهر. (٦) أنسع: جمع نسع وهو المفصل بين الكف والساعد، والساق والقدم (٧) النجاء: السير السريع. (٨) أنضاء: جمع نضو وهو المعيا المهزول من السير.

يخشى سهـامَ الذمّ فهـو مسالمـا ... ومحـاربا بنـــواله يتـــدرّعُ
غرسَ الصــنائعَ فاجتنى ثمراتِهـا ... شـــكرا، وكلٌّ حاصـدٌ ما يزرعُ
عيدانُ مجـدٍ لا تلين لغـامزٍ ... وجبـالُ عزٍّ مَرْوُها ما يُقــرَعُ (١)
ومنـاقبٌ يقـضِى لهـا متعنتٌ ... فى حكمــه ويجيزها متتبِّــعُ (٢)
كم أزمةٍ خَرِسَــتْ رواعدُ سُحبِها ... وسحـابةٍ فيهـا خطيبٌ مِصـقَعُ
وإذا المطالبُ باللئـام تعثّرت ... ظلّت مواهبُـه بهنّ تُدَعدِعُ (٣)
تبِعــوا مساعيَهُ فلمّـا أبصروا ... بُعـــدَ المسـافة أفردوه وودّعوا
إنّ المعـالىَ صعبــةٌ لا تُمتطَى ... والمـأثُراتُ ثنيّـــةٌ ما تُطــلَعُ (٤)
يقِف الثناءُ عليــه وقفـــةَ حائرٍ ... ممّـا تسُنُّ له يداه وتَشــرَعُ
إن قصّرت مُدّاحه عن وصفـــه ... فعجائب البحرين ما لا تُجمــعُ
فلَقُ اللواحـــظ أو تقـــرُّ بزائرٍ ... كالمضرحىِّ لصـــيده يتـــوقّعُ (٥)
فهنـاك أبلجُ ما وراء لثـامهِ ... ملآنُ من ماء البشاشـــةِ مُترَعُ
هو قِبــلةُ المجـــد التى ما مِلّةٌ ... إلا وتســجُدُ نحوها أو تركَعُ
تتنـاسب الأهواءُ فى تفضيـــله ... والقـــولُ فى أديانهـا يتنـــوّعُ

(١) المرو : حجارة براقة صلبة، واحدها مروة. (٢) فى الأصل «ويجيرها» وهو تصحيف.
(٣) تدعدع : تقول لها : دع دع وهى كلمة — ساكنة الآخر — تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش، كما يقال : لعا.
(٤) الثنية : طريق العقبة وهى المرقى الصعب فى الجبال. (٥) المضرحى : الصقر، أو النسر الطويل الجناح، وكلاهما مشهور بحدّة البصر.

عِلمًا بأنّ الشمس ما فى عينها ... رمَدٌ ولا ثوبُ السماء مرقَّعُ

يا دهرُ لا تَعرِض لمن آراؤه ... فى مَفصِل الحُلَّى تَحُزُّ وتَقطعُ

لطُفَت وجلّ فعالها ولطالما ... نزَحَ النجيعَ (١) من العروق المِبْضَعُ (٢)

وله عزائمُ ضاق عنها ذَرعهُ ... كالسيل غصّ به الطريقُ المَهيَعُ (٣)

شوسٌ (٤) إذا استدعتْ أنابيبَ القنا ... أبصرتَها من سُرعة تتزعزعُ

إياك تحتَ فى جوانبِ كُدْيةٍ (٥) ... بالحارِشين (٦) ضِبابُها لا تُخدعُ

أنسيتَ إذ قارعتَه عن مجده ... فرجعتَ مفلولا وأنفُك أجدعُ (٧)

أيّامَ جاهدَ فى أبيه بهمّةٍ ... هجعَ الظلام وعينُها ماتهجَعُ

حتى اطمأنّ من الوزارة نافرٌ ... وثُنى إليه لِيتُها (٨) والأخدعُ (٩)

واسترجعتْ عذراءَ لم يَنعَمْ بها ... بعلٌ كما ارتجع الوديعةَ مودِعُ

ومشى أمام جياده مستقبِلا ... من كان أمسِ وراءهنّ يُشيِّعُ

بالرفق تحطُّ الوعولُ (١٠) من الذُّرى ... ويصاد يَربوعُ (١١) الفلا المتقصِّعُ (١٢)

هذا أميرُ المؤمنين وظنّه ... بالغيب مِرآةٌ تضىء وتلمعُ

---

(١) النجيع : الدم . (٢) المبضع : المشرط . (٣) المهيع : الواسع .

(٤) شوس : جمع أشوس وشوساء وهو الجرئ على القتال الشديد . (٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب . (٦) الحارش : صائد الضب من كديته التى حفرها . (٧) أجدع : مقطوع . (٨) الليت : صفحة العنق . (٩) الأخدع : عرق فى الرقبة .

(١٠) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (١١) اليربوع : حيوان أشبه بالفأر إلا أنه كبير عنه قصير اليدين . (١٢) المتقصع : الداخل فى القاصعاء وهى جحر اليربوع .

لما تنسّم من شمائل عِطْفه ارجَ الكفاية فائحا يتضوّعُ،
ناجاه بالوادى المقدّس نابذا كَلِمًا تلين لها القلوبُ وتخشعُ
وكساه من حُلل الدِّمَقْسِ (١) جلاببا كالروض بل منه أغضُّ وأنصعُ
فكأنها نُسجَت بجنّةِ عبقرٍ (٢) أو ظلَّ يرقُمها الربيعُ ويطبَعُ
لو أنها دِمَنٌ أقامت بينها وُرْقُ الحمائم تستهِلُّ وتسجَعُ
إن أُكمِلتْ حسنا فقد زُرِّت على جسدٍ يكلَّل بالعلا ويرصَّعُ
وأعاضه من تاج "فارس" عِمّةً إذ عنده تاجُ الأعارب أرفعُ
كالليل إلا أنها قد طُرِّزت شفقا على آفاقها يتشعشعُ
ما أشرقُ الألوان إلا سُودُها ولأجل ذا لونُ الشبيبة أسفعُ (٣)
أمثالُها فوق الرءوس وهذه فوق الرزانةِ والحصانة (٤) توضعُ
وحباه من قُبِّ العتاقِ (٥) بضامرٍ كالذئب زعزعَ مَنكِبيه مَطمَعُ
لا تُثبِت العينانِ أين مقرُّه فى الأرض لولا نقعُه (٦) المترفِّعُ
يقظانُ تحسَب سَرجَه ولجامَه فى لُجّةٍ أمواجُها تتدفّعُ
يخطو فيختصر البعيدَ من المدى بقوائم مثلِ البليغ تُوقِّعُ
بالسبق منفردٌ بلَى فى مَتنه منه الى طُرُق المعالى أسرعُ

(١) الدمقس : الحرير . (٢) عبقر : موضع تنسب اليه الجن . (٣) الأسفع : الأسود . (٤) كذا فى الأصل ويحتمل أن تكون «الحصافة» . (٥) قب العتاق : الخيل الضامرة البطن، واحدها : أقب وقباء . (٦) النقع : الغبار .

إن الخليفــةَ للزمان وأهــلِهِ طَودٌ من الحَــدَثانِ لا يتضعضعُ

هو فى الدجى بدرٌ ينير وفى الضحى شمسٌ لهــا فى كل أفْــقٍ مطلعُ

و"بنو جَهِــيرٍ" دَوحةٌ فى ملكه أفنانُهــا وغصونُهــا تتفــرّعُ

بوزيرها وعميــدِها وزعيمِهــا و"جهــيرِها" أبدا يُضَرّ ويُنفَعُ

القــارحُ[1] المــوفى عليهــا سابقٌ ورَباعُهــا[2] وثَنِيُّهــا[3] والمُجــذِعُ[4]

كلٌّ له يــومَ الفخار مناقبٌ ثمَّ الأكابرُ فضلُهــا لا يُدفَــعُ

لله أربعــةٌ بهــم هــذا الورى وكذا حكَوْا أن الطبائع أربعُ

"أمحمــدُ بن محمــدِ بنِ محمــدٍ" وعُلاكَ منصِتةٌ تجيبُ وتَسمَعُ،

لا كان هــذا الدهرُ إن عطاءَهُ بالله يسمُجُ فى العقول ويفظُعُ

ما بال أقــوامٍ به لو أُنصِــفوا رُدّوا على باب النجاح ودُفِّعــوا

ما كان قطُّ لهم على دَرَجِ العــلا مرقًى ولا عند الصنيعة موضِــعُ

وأرى المعــايشَ بينهم مقســومةً كالغُــنْمِ[5] يُخمَسُ[6] تارة أو يُربَعُ

وأعابهم[7] نفــرٌ بلا سببٍ ســوى أن المعــايبَ بين قومٍ تُجمَعُ

---

(١) القــارح : من الخيــل بمنزلة البازل من الإبل . (٢) الرباع : — من الخيل — ما استتم السـنة الرابعة . (٣) الثنى : — مرن الخيــل — ما استتم السـنة الثالثة . (٤) المجذع : الذى صار جذعا وهو ما قبل الثنى . (٥) فى الأصل « كالنيم » وهو تصحيف . (٦) يربع ويخمس : يؤخذ ربعه وخمسه . (٧) كذا بالأصل ، والوارد فى المعاجم « عاب » بغير التعدية بالهمزة ، ولعلها « قد عابهم نفر ... الخ » .

أُذادُ عن بَرْدِ الحياض ومثلُهم ... يُدعَى إلى العَذبِ الزلالِ فيكرَعُ

فآبذُرْ عوارفَك الجسامَ بتُربةٍ ... يزكو بها ثمرُ الجميلِ ويونعُ

هذا مقالى إن هززت فعنده ... ما يَحسُنُ المطبوعُ والمتطبِّعُ

ويدى إذا آستخدمتَها وبسطتَها ... حسدتْ أناملَها الرياحُ الشُّرَّعُ

ما بى إلى الشفعاء عندك حاجةٌ ... ولسانُ فضلك شافعٌ ومشفِّعُ

* * *

وقال يودِّعه عند توجُّهِه فى الرسالة إلى خراسان :

من رأى المجدَ يُثيرِ القِلاصا (١) ... والعُلا تُزجى العِتاقَ (٢) الخِماصا؟! (٣)

والقِبابَ البيضَ قد وعَدُوها ... بالمعالى فآستطالتْ خِراصا (٤)

"بعميد الدولة" الأرضُ تُطوَى ... حين (٥) لا ترجو النجومُ خَلاصا

وبِجاجُ السعى بين يديه ... تشترى الآمالَ منه رِخاصا

مذ رأيناهُ سحابا عجيبا ... كيف يحتلُّ ويأوى العِراصا (٦)

كمْ فاضَ فما آختصَّ أرضا ... دون أرضٍ بنداه آختصاصا

من يحبَّ العزّ يدأبْ إليه ... وكذا من طلب الدُّرَّ غاصا

قرّت الأعينُ بالقربِ منه ... فأراد البعدُ منها القِصاصا

(١) القلاص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل . (٢) العتاق : الخيل النجيبة .
(٣) الخماص : الضامرة البطن . (٤) خراص : جمع خريص وهو السحاب . (٥) فى الأصل «حيث» . (٦) العراص : جمع عرصة وهى ساحة الدار .

لو ملكنا الأرضَ أو لو أطقنا ... لسَدَدنا بِرُباها الخَصاصا (١)

وعقلنا النّاجياتِ (٢) خَلاءً ... وربطنا المُقْرَباتِ (٣) ٱرتهاصا (٤)

فهمتْ ما حمَلتْ فى ذُراها ... من جمالٍ فٱرتقصنَ ٱرتقاصا

ماجدٌ إن خاف أسهمَ ذمٍّ ... لبس الجودَ عليه دِلاصا (٥)

أدواتُ الفخرِ ألفَّنَ فيه ... حسَبا عِداً (٦) وعِرقا مُصاصا (٧)

رُبَّ عزمٍ إن يُحكِّمْ [به] (٨) لم ... تجد الأقدارُ عنه مَناصا

ساهرُ القلب اذا رامَ عُظمَى ... إن كَرَى النومِ للأعينِ حاصا (٩)

قذفتْ منه الليالى بقِرنٍ ... تنكُص الأبطالُ عنه ٱنتكاصا (١٠)

محسنٌ بالرأى ضربا وطعنا ... يُخجل البيضَ ويُخزِى الخِراصا (١١)

ساحرُ الألفاظ لوشاء ظبيا (١٢) ... أسر الوحش بهنَّ ٱقتناصا

كلما أبصرَه حاسدوه ... كُلِّلتْ تلك العيونُ حُصَاصا (١٣)

كشعاع الشمسِ ترجع عنه ... مَضْرحيّاتُ (١٤) العيونِ عِماصا

(١) الخصاص : كل خرق أو خلل فى باب أو غيره ، — والمراد : كل ما انفــرج من الأرض ، وفى الأصل : «الخضاص» وهو تصحيف . (٢) الناجيات : الإبل تنجو بصاحبها . (٣) المقربات : الخيل التى يقرب مربطها ومعلفها لكرامتها . (٤) الأرتهاص : الرص وذلك بأن يكون بعضها بجانب بعض . (٥) الدلاص : الدرع الملساء اللينة وجمعها دلاص أيضا وقيل : دلص — بضم الدال واللام — . (٦) العد : القديم . (٧) المصاص : الخالص من كل شىء . (٨) ليست بالأصل . (٩) حاص : خاط . (١٠) القرن : الشجاع ؛ والانتكاص : الرجوع . (١١) الخراص : الرماح . (١٢) كذا فى الأصل ولو خيرنا لقلنا « صيدا » ليكون المعنى أعم . (١٣) الحصاص : داء يتناثر منه الشعر — والمراد به هنا تناثر شعر أهداب العيون لشدة ما يبهرها من الضوء — . (١٤) المضرحى : الصقر أو النسر — وكلاهما يوصف بحدة البصر — .

ففـــداه كلُّ جَهـــمِ المُحَيَّـا (١) مانـعٌ عســـجدَه والرَّصـاصـا (٢)

كالشَّموسِ (٣) الصَّعبِ إن ذلَّلـوه زادهـم ذُعرا ولَجَّ قِمـاصـا

مســـتهامٌ بالغـــوانى اذا ما صقَلَتْ خـدًّا وأرختْ عِقاصـا (٤)

أينَ تبغى؟ قد زحَمتَ الثريّا فى مَـــداها وٱنتعلتَ النِّشاصـا (٥)

غايةٌ لـــو ذو جَناحٍ اليهـا طار لٱعتاصت عليـــه ٱعتياصا (٦)

أنتمُ آلُ "جَهِـــيرٍ" عـــديدٌ لا رأتْ فيـــه البنـانُ ٱنتقاصا

كلّمـا قيـل: الرحيـــلُ قريبٌ غَصَّ بالبـارد حَلْقِى ٱغتصـاصا

وأرى قلـــبى سيقتصُّ، إمّا سـرتَ، آثارَ المطىِّ ٱقتصاصا

اقْضِ فى أمرى بمـا أنتَ قاضٍ فبإنعامك أرجـــو الخَـــلاصا

ردَّك الله إلينـا ســـليما بـــك أيامُ الزمانِ تَواصَى (٧)

⁂

وقال يمدحُه عندَ عودِه من هذهِ السَّفرة، وقد صاهرَ نظامَ المُلك فى شـعبان سنة ٱثنتين وستين [بعد الأربعمائة] :

اذا نثرَ النـاسُ "الهِرَقْلِيَّةَ" (٨) الصُّـفْرا نثرتُ على عليـائك الحمـدَ والشُّـكرا

(١) الجهم : العابس غير الطلق . (٢) العسجد : الذهب . (٣) الشموس : الأبى الممتنع . (٤) عقاص : جمع عقصة — بكسر العين — وهى الضفيرة . (٥) النشاص : السحاب . (٦) اعتاص : صعب واشتد . (٧) يريد : تتواصى أى يوصى بعضها بعضا ، ويقال : تواصى النبت أى ٱتصل بعضه ببعض . (٨) الهرقلية : دنانير منسوبة الى هرقل ملك الروم .

وصغتُ[١] من الذهن المصفّى بدائعـا ... أقرِّط أسمـاعَ الرُّواة بهـا شَـذْرا[٢]

فـلا تحسبَنَّ الدُّرَّ فى البحـــرِ وحدَه ... فقــــد تُخرِج الأفواهُ من لفظها دُرَّا

ومن كان جسمَ المكرمات وروحَهـا ... تحـــلَّى ثنـاءً لا لُجَينـا[٣] ولا تِـــبرا

يُحيَّـا برَيحانِ المحامدِ سمعُـــه ... ويكفيـهِ أن كانت مناقبـــه عِطرا

ولست براضٍ غيرَ وصفك تحفـــةً ... ولا قاضـيـا إلا بمدحتك النَّـــذرا

بلغتَ "عميـدَ الدولة" الغـايةَ التى ... ركائبُ أبنـاءِ المنى دونَهـا حَسرَى[٤]

وما زلتَ تُغلى[٥] المجـــدَ حتى جعلتَه ... عليـك حبيسا لا يبـاعُ ولا يُشرى

وكـم طالبٍ فيـــه نصيبا وإنه ... لَيقبِضُ كفَّيـه إذا عرَف السِّـــعرا

تطيعـك فى المعروف نفسٌ حييَّـــة ... إذا سُئلتْ جدواك تستقبحُ العُـذرا

أظنُّـــك فى الدنيـا تُريد زهادةً ... فلستَ بمستبقٍ لعاقبـــةٍ ذُخـــرا

وقـــد كانت النَّعماءُ جادت بنفسها ... فأنشأتَهـا فى عصرك النشأةَ الأخرى

مواهبُ يُعطين الغـــنىَّ على الغِـــنَى ... مَزيدا ويتركن الفقـــيرَ كمن أثرى

يوافين[٦] سرًّا والســحابُ برعدها ... تبوح بمـا توليه إن أرسلتْ قَطــــرا

فدًى لك صـيفىُّ الغمامة فى النـدى ... يَظُنّ ســـؤالَ السائلين به مكـــرا

اذا حامت الآمالُ حول حِياضــــه ... سمعنَ بهـا من كلِّ ناحيـــةٍ زَجرا

---

(١) فى الأصل «وضعت» وهو تصحيف . (٢) الشذر : اللؤلؤ الصغير وهو أيضا الذهب .

(٣) اللجين : الفضة . (٤) حسرى : كليلة معياة . (٥) فى الأصل « تعلى » .

(٦) فى الأصل « توافيك» وهو تحريف .

ألستَ من القــوم الذين نداهُـمُ حبائلُهم ، والراغبون بهـا أسرى
يبيتون فى المشتى خمـاصًا وعنـدهم (١) من الزاد فضلاتٌ تُصان لمن يُقرى (٢)
خشَوا أن يضِلَّ الضيفُ عنهم فرفَّعوا من النـار فى الظلماء ألويةً حُمـرا
أفادوا الذى شاءوا وأفنَوه عاجـلا فقـد جمعتْ أيديهم العُسرَ واليُسرا
تواليـك حبَّاتُ القـلوب كأنمـا خُلقتَ سرورا فى الضمائر أو سِرّا
فإن كانت العينان داعيـةَ الهوى فقدأبصرتْ من شخصك الشمسَ والبدرا
وإن كان للنفس الطروبِ تُتيِّمُ فأجدرُ أن تهـوَى خلائقَك الزُّهرا
فقـد جنَح الأعداءُ للسِّلم رغبـةً إليك، وأىَّ الناس لا يعشـق البِرّا؟
فأما سَـقام الحـاسدين فـا له شـفاءٌ وقـد كادتهُـمُ نِعمٌ تَترَى
تساوت يداك بسـطةً وسمـاحةً فلم تفخر اليمنى بفضـل على اليسرى
ومعترَكٍ للقـوم مزَّقتَ جمعَـه بحـدٍّ لسانٍ يُحسن الكرّ والفرّا
وفحشاءَ أدّتها إليـك جهـالةٌ جعلتَ رتاجَ الحلم من دونها سِترا (٣)
سمـا بك فوقَ العـزِّ قلبٌ مشـيَّعٌ (٤) اذا ركب الأهوالَ لم يستشر فكرا
وهمّـةُ وثّابٍ على كلِّ ذِروةٍ ينـال على أكتادها النَّهىَ والأمرا (٥)
ألا ربَّ ساعٍ فى مَـداك كَبَتْ به مطاياه أو قالت له رِجـلُه : عَثْرا

(١) الخماص : الجياع . (٢) يقرى : يضاف . (٣) الرتاج : الباب العظيم المغلق ؛ وفى الأصل «رياح» وهو تصحيف . (٤) المشيع : الشجاع . (٥) الأكتاد : الأكتاف .

وملتمِسٍ فى عــدِّ فضــلك غايةً ... ومن يَشبُرُ[1] الخضراءَ أو ينزف البحرا؟!

خذوا عن غُبار الأعوجيَّات[2] جانبـا ... وإلا فقــد ضيعتمُ خَلفها الحُضرا

وخلُّوا لهـذا البـازلِ القَرمِ[3] شَــولَه[4] ... فإنكمُ لم تحذقوا الهَــدْر والخَطْـرا

فتًى سالَبَ الأعداء حِرصا على العـلا ... فأجلَوا له عنهـا وما عقَــد الأُزْرا[5]

وهــل يُعجب الروضُ المنوّرُ أعينا ... رعَتْ فى محيّاه الطــلاقةَ والبِشرا

كأنَّ الحيـاءَ أنهلَّ فى وجَنـاته ... فكانَ لهـا ماءً وكانت له غُــدْرا[6]

تحــدّثه الغيبَ الخـفىَّ ظنــونُه ... فتحســبُها قد أودِعتْ صُحُفا تُقرَا

وقالوا : هو الغيث الذى يغمُر[7] الربَى ... فقلت لهــم : ما زدتمونى به خُبرا

فقالوا : هــو الليثُ المعفَّر قِــرنَهُ ... فقلت : بحــقّ الله أيُّهــما أجرا[8]؟

حلفت بهـا تهــوِى عـلى ثَفِناتهـا[9] ... من الأين[10] مرخاةً أزمَّتُهـا صُعراء[11]

تجــرِّر أذيالَ الرياح وراءَها ... إذا كتبتْ سطرا محتْ قبـلَه سطرا،

تنزَّهُ عن حَمل الأوانس كالدُّمى ... وتحمِل فى كِيرانهـا[12] الشُّـعثَ والغُـبْرا،

إلى حيث لا تُجزَى بحسن صنيعهـا ... إذا ما قضَوا نُسكا جزَوها به نحـرا،

---

(١) يشبر : يقيس بالشبر . (٢) الأعوجيات : النجائب من الإبل المنسوبة الى أعوج وهو فحل، والحضر : العدو . (٣) البازل القرم : الفحل الكريم . (٤) الشول : جمع شائلة — وهى من الإبل — : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها . (٥) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٦) غدر : جمع غدير وهو النهر . (٧) فى الأصل : «يعمر» وهو تصحيف . (٨) يريد أجرأ . (٩) ثفنات : جمع ثفنة وهى ما يقع على الأرض من البعير اذا استناخ . (١٠) الأين . الجهد . (١١) صعرا . مائلة . (١٢) كيران : جمع كور وهو الرحل .

وبالبيت محفـوفا بمن طاف حـوله ... إطافةَ سِمطيْ لؤلؤ قـلّدا نحـرا،

تُفـاضُ سجـوفُ الرَّقـم فى جنباته[1] ... على ماثلٍ تَعرَى السيوفُ ولا يعرى،

حمًّى لا يخـاف الطـيرُ فى شجـراته ... قنيصا ولا تخشى الظبـاءُ به ذُعرا،

وبالحجـرِ الملثـومِ سمعـا وطاعـة ... ونعـلم أنّ ما يملك النفـع والضـرا،:

لأنت إذا صَكّوا القِداح على العلا ... أحظُّهـمُ سهـما وأسرعُهـم قَمْـرا[2]

وأعلاهُـمُ كعبا وأحلاهُمُ جَـنًى ... وأوفاهُـمُ عهـدا وأرفعُهم ذِكرا

كفاك نجاحُ السعى فى كلّ مطلب ... همْمتَ به أن تزجُرَ الأُدْمَ والعُـفرا[3]

بعـزمٍ كما أطلقت أُنشـوطةَ الحُبَى ... وجِدٍّ كما نفّـرتَ عن مَربإٍ صَـقرا

رأيتـك طـودا للخليفـة شامخـا ... وسيفا على شانيه يختصر العمـرا

إذا عرَضتْ حَوجاءُ كنتَ قضاءَها ... وإن طرَقتْ غمّـاءُ سـدّ بك الثغرا

دعاك لأمرٍ ليس يُحكِـم فتـلَه ... سـواك وهِجِّـيراك[4] أن تُبرِمَ الأمرا

فأرسلتَهـا من « بابلٍ » وكأنمـا ... تُقلقِلُ من تحت السروج قَطًا كُدْرا

صدمتَ بهـا الأجبالَ والقُـرُّ[5] كالحٌ ... تجلّلُهـا ثلجا وتُنعلهـا صخـرا

تَذكّرُ مَرعًى « بالعـراقِ » وموردا ... وهل ينفع المشـتاقَ ترديدُه الذكرا

---

(١) سجوف الرقم . ستائر الخز . (٢) قمرا : مصدر قمره — بفتح الميم — لاعبه فى القمار فغلبه .

(٣) الأدم والعفر : — من الخيل والنوق والظباء — البيض والتى لونها كلون العفر وهو التراب .

(٤) هجيراك : بمعنى دأبك وشأنك . (٥) القر . البرد .

إذا رَبأتْ (١) فى قُنَّـــةٍ (٢) خلت أنها ... خُدارِيّةُ (٣) العِقبانِ طالبـــةً وَكرا
فزاحمن فيها الشُّهب حتى طمعن أن ... يحلِّين منهنّ القلائدَ والعُـــذْرا (٤)
بكلِّ منيفٍ يقصُـــر الطـــيرُ دونه ... ولا تجـد النكباءُ من فوقه مجرى
وطـودٍ بحـولىّ الجليـــد معمَّمٍ ... كما زار لونُ الشيب فى هامةٍ شَـعرا
كأنا كشـــطنا عنــــه جِـلدةَ بازلٍ (٥) ... كسا شحمُه جنبيـــه والمتنَ والظهرا
أقامت به الأنواءُ تُهـدى لك القِرى ... ولم تقتنــع بالمـاء فٱحتلبت دَرّا
فرشنَ بكافورِ السماء لك الربَى ... فشابهنَـــه لونا وخالفنَــه قِشرا
اذا خلَصت منها الجيـادُ رأيتها ... وما خالطت لونا محجَّلةً غُرّا
وقاسمها بُعـــدُ المدى فى جسومها ... فأفنى بها (٦) شـطرا وأبقى لها شـطرا
ولما دَحَت قُود (٧) الهضاب وراءَها ... ورنّحها طـــولُ القيادِ لها سُكرا،
رمتْ صحصحانَ (٨) "الرِّى" (٩) منها بأعين ... تردّد فى أعطافه نظـــرا شَزرا (١٠)
هناك دعا داعٍ من الله مسمِعٌ ... فلبَّاك من ضمَّتْ معالمُها طُـــرّا
يحيُّون ميمـونَ النقيبـــةِ ماجدا ... ويَلقون بالتعظيم أعظمَهم قـدرا

---

(١) ربأت : اتخذت مربأ . (٢) القنة ؛ رأس الجبل . (٣) الخدارية : العقاب السوداء . (٤) العذر : جمع عذار وهو ما سال من اللجام على خد الفرس . (٥) البازل : الجمل المسن . (٦) فى الأصل «به» وهو غير واضح . (٧) قود . جمع قائد ؛ وهو المستطيل من الجبل على وجه الأرض . (٨) الصحصحان . ما آستوى من الأرض . (٩) الرى : بلدة بفارس ، ـــ والنسبة اليها : رازى . (١٠) النظر الشزر : أن يكون بجانب العين كنظر الغضبان .

ولاقيتَ ربَّ التـاج يرفـعُ حُجْبَـهُ ... ويطرُد ، ما ناجيتـه ، التيهَ والكِبرا

وحاورتَه حـتى شغفتَ فـؤادَه ... ألا ربّمـا كان البيانُ هـو السحرا

رأى فيـك ما يهواه مجـدا وسؤددا ... فما كنت إلا فى مجالسه صـــدرا

وحسبُك فخرا ان تجهّزتَ غاديا ... فقضّيتَ أوطار النبوّة من "كِسرى"

مليـــكٌ حَمى الرحمنُ بيضـةَ مُلكه ... فمـا فى الورى من يستطيع لها كَسرا

كتائبُـــه فى كلّ شرق ومغرب ... مدرّعـــةٌ فتـــحا ، مؤيّدةٌ نصـــرا

كفاه "نظـامُ الملك" أكبرَ همّه ... وأتعبَ فى آرائه السرَّ والجهـــرا

همـامٌ إذا ما هزّ فى الخطب رأيَهُ ... فلا عجبٌ أن يُخجل البيضَ والسُّمرا (١)

إذا هو أمضَى نعمةً قـــد تعنّست (٢) ... تخيّر أُخرى من مواهبه بِكرا

ومن رأيه الميمونِ عقدُ حبـالهِ ... بحبلك حتى قد شـــددتَ به أَزْرا

لئن كنتَ أنت "المشترِى" فى سمائه ... علوًّا لقد قارنتَ فى أفقه "الشِّعْرَى"

فأصـــبحتُما "كالفرقدَيْن" تناسُـبًا ... فأكرِمْ بذا حَمْوًا وأكرم بذا صِهرا

وقضّيتَ ما قضّيتَ ثم عطفتَهـا ... تَبارَى كما ينسابُ فى الشَّعر المِدرى (٣)

وأُبت كما آبَ الربيـــعُ الى الثرى ... يَخيـــط على أعطافـه حُلَلا خُضرا

ففى كلّ يوم ما أغبَّ مبشِّر ... يؤدّى إلى "بغدادَ" من قربك البُشرى

---

(١) البيض والسمر : السـيوف والرماح . (٢) تعنست : طال مكثها بلا زواج حتى خرجت من عداد الأبكار . (٣) المدرى : المشط .

ولما اطمأنّت فى "جَلَوْلاءَ"(١) عالجتْ ... بذاك النسيم الرطبِ أكبادَها الحرَّى

فأقسمتَ لا تنفكّ تحت لُبــودِها(٢) ... إلى أن توافى حَلبــةَ(٣) القصْرِ والقصرا

وعُجتَ بهــا تطوِى منــازلَ أربعــا ... إلى منزلٍ، يا بعدَ ذلك من مَسرَى!

ولله فينــا نِعـــمةٌ إثرَ نعـــمةٍ ... وعَــوْدك محروسا هو النعمة الكبرى

فلا كان يومٌ لستَ فى صــدره ضُحًى ... ولا كان ليـــلٌ لستَ فى عَجْزه فجرا

* * *

وقال يمدحُه ويهنئــه بالنيروز الفارسىّ، وأهــدَى إليــه كُتُبًا عِوضَ الدرهم والدينار :

ودِدتُ التصابى فيك إذ كان عاذرى ... وعاديتُ حلمى إذ غدا عنك زاجرى

ومالى سوى قلبٍ يضلّ ويهتدى ... فإما الهوى فيـــه وإما بَصائرى

وإنى لأدرِى أنمــا الغُنْــجُ(٤) واللَّمَى(٥) ... وبيضُ الطُّلَى(٦) هنّ القذى(٧) فى المحاجرِ(٨)

ولكنّهــا نفسٌ تروضُ طباعَها ... بما حملته من عذاب الجآذِرِ(٩)

عدِمتُ فؤادى يبتغى الآنَ رشدَه ... فهــلّا قُبيل الحبّ كان مشاورى!

---

(١) جلولاء : قرية بفارس على بعد سبعة فراسخ من بغداد . (٢) لبود : جمع لبد، وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج . (٣) الحلبة : محلة واسعة فى شرقى بغداد ؛ والقصر : اسم لجملة مواضع ؛ فنها : قصر الأحمرية فى نواحى بغداد ؛ وقصر أم حبيب بنت الرشيد من الجانب الشرقى من بغداد .
(٤) الغنج : الدلال . (٥) اللمى : سمرة فى باطن الشفة — وهى مستحسنة عند العرب — .
(٦) الطلى : الأعناق . واحدها : طليــة . (٧) القــذى : ما يقع فى العين فيوجعها .
(٨) محاجر : جمع محجر وهو ما دار بالعين . (٩) الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية .

فما بالنا نُعطَى الدنيَّة فى الهوى ... وفى الروع لا نعطَى ظُلامةَ ثائرِ

كأنا جميمُ(١) الروض يقطُف نَوْرَه الـ ... ـظباءُ ولا يحلو لأُسْدٍ خوادرِ(٢)

وإنّ انقيادى طوعَ ما أنا كارهٌ ... يدلُّك أنّ المرءَ ليس بقادرِ

لواحظُنا تجنى ولا علمَ عندَها ... وأنفسُنا مأخوذةٌ بالجرائرِ

ولم أرَ أغبَى من نفوسٍ عفائفٍ ... تصدّق أخبارَ العيون الفواجرِ

ومن كانت الأجفانُ حُجّابَ قلبه ... أذِنّ على أحشائه للفَواقِرِ(٣)

اذا لم أفز منكم بوعدٍ فنظرَةٍ ... اليكم، فما نفعى بسمعى وناظرى؟!

وما زال لى عند الظباء ظُلامةٌ ... تُردُّ الى قاضٍ من الحبّ جائرِ

لعمرُك مابى فى الصبابة حيرةٌ ... تقسّم فكرى بين ناهٍ وآمرِ

تصاممتُ عن عذل العذول لأنه احـ ... ـتجاجٌ لسالٍ واعتذارٌ لعاذرِ

وكيف بنسيانى الذى حفظ الصِّبا ... وبات به طيفُ الخيال مسامرى

بلى إنّ بَردَ اليأس يطفئُ حُرقةً ... ولو سُقيت منه قلوبُ الهواجرِ

وإنّا اذا ضلّت من "الحَزْن" نفحةٌ ... فزِعنا الى نِشدانها بالمناخرِ

أصعِّد أنفاسى اذا ما تمزّغت ... على تُربه هُوجُ(٤) الرياح الخواطرِ

---

(١) الجميم : النبت الناهض المنتشر . (٢) الخادر : اللازم لعرينه والمقيم به .

(٣) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تقصم الظهر . (٤) هوج : جمع هوجاء، وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت .

وأذكرُ يوما قصّر الوصلُ عمرَهُ ... كأنا ٱلتقينا منـــه فى ظلّ طائرِ

متى غنّت الورقاءُ كانت مدامتى ... دموعى، وزفراتى حنينَ مَزاهرِى (١)

خليلىَّ هذا الحُلْمُ قد أطلق الأسى ... وبثَّ حُبولَ (٢) الشوق بين الضمائر

ولم يبق فى الأحشـاء إلا صُبابة (٣) ... من الصبر تجرِى فى الدموع البوادرِ

فَلَيْـا بأعنـاقِ المطىِّ فربّمـا ... أصبنا الأمانى فى صدور الأباعرِ

وإن لم يكن فى ربّة الخدر مَطمعٌ ... قنعنـا بآثار الرســوم الدوائرِ (٤)

مَرابط أفــراس ومَبرك هَجمةٍ (٥) ... وملعب ولدانٍ ومجلس سامرِ

وسُـــفعٍ (٦) أثافٍ (٧) كانَ رَمادَها ... حمـائمُ لكن هنَّ غيرُ طوائرِ

ويا حبّـــذا تلك النُّـئىّ (٨) وليتها ... تروح خلاخيلى وتغدو أساورى

اذا أنتَ لم تحفَظ عهــودَ منازلٍ ... فلستَ لعهـد النازلين بذاكرِ

سقاها الذى أضحت ينابيعُ فضلهِ ... تمُــدُّ شآبيبَ الغيوثِ البواكرِ

بجودُ "عميدالدولة" العُشبُ والحيا ... ومقــتَرَحُ الراجى وزادُ المسـافرِ

كُفيتَ به أن تطلبَ الرزقَ جاهدا ... على زعمهم بالســعى أو بالمقـادرِ

---

(١) مزاهر : جمع مزهر وهو العود . (٢) حبول : جمع حبل وهو معروف والمراد الحبائل . (٣) الصبابة : البقية . (٤) الدوائر : البوالى . (٥) الهجمة : قطيع من الإبل ما بين السبعين والمائة . (٦) سفع : جمع أسفع وسفعاء وهى السوداء . (٧) الأثافى : جمع أثفية وهى ثلاثة أحجار توضع عليها القدر . (٨) النؤى : جمع نؤى وهو الحفير حول الخيمة يمنع عنها السيل .

تظَلُّ قَلوص الجُود ترقُص تحتَـهُ (١) اذا حُديثْ يوما بنغمة شاكـرِ
تحدَّثْ ولا تحرَجْ (٢) بكلّ عجيبـــةٍ من البحر أو تلك الخلال الزواهرِ
فما ذاق طعمَ الرىِّ من لم تُسَـقِّه أناملُه من صـــوبها المتواترِ
وكم من كســـير لليالى قد ٱلتقت عليـــه أياديه ٱلتقـاءَ الجبـائرِ (٣)
ومنتَهب الجـدوى يُريك سحابُه زمانَ الربيع السكبِ فى شهر "ناجرِ" (٤)
يسـابقُ بالفـــعلِ المقـالَ كأنه يرى الوعدَ فنًّا من مطال الضمائرِ
فأنت تراه ماطـــرا غـــيرَ بارقٍ ولست تراه بارقا غيرَ ماطـــرِ
مواهبُ سمّاها العفاةُ صنائعـا وهنّ نجومٌ فى سمـاء المآثرِ
ملوم على بذل البضائع فى النـدى وما تاجرٌ فى المكـرُمات بخاسرِ
قَطوبٌ وأطرافُ القيانِ عوابثٌ ضحوك وأطرافُ القنا فى الحناجرِ
به ٱزدانت الدنيـا لنـا وتلفّتت الينا الليـالى بالخـــدود النواضرِ
تعلّمت الأيامُ منـــه بشاشـــةً أعادت إلىّ الدهرَ هَشَّ المَكاسرِ (٥)
يذيبُ السؤالُ شَحمةَ الرفدِ عنده وهل يجُمد العنقودُ فى كفِّ عاصرِ
أبَى أن تهُـــزَّ العُنجُهيَّـةُ (٦) عِطفَهُ يقيناً بأنّ الكبرَ إحـدى الكبائرِ
ولا عيبَ فى أخلاقه غيرَ أنهـا فـــرائد دُرّ مالهـا من نظـائرِ

(١) القلوص : الفتية من الإبل . (٢) تحـــرج : تأثم . (٣) الجبائر : جمع جبيرة وهى عيدان تجبر بها العظام . (٤) ناجر : الشهر الواقع فى صميم الحر . (٥) المكاسر : غضون الوجه . (٦) العنجهية : الجفاء والكبر والعظمة .

وما النـاسُ إلا كالبحور فبعضُها — عقيـمٌ وبعضٌ معـدنٌ للجواهرِ
فتعساً لأقـدام السُّعاةِ وراءه — ألم ينتهـوا عنـه بأول عاثرِ!
يُقِـرُّ له بالفضـل كلُّ منازعٍ — اذا قيل يومَ الجَمع: هل من مُفاخرِ؟
أخو الحزم ليست فى نواحيه فرصةٌ — لنُهـزةِ مغتالٍ ونَفثـةِ سـاحرِ
اذا ركَضتْ آراؤه خلفَ فائتٍ — تدارك منـه غائبـا مثـل حاضرِ
متى تأته مستشـفعا بصنيعه — اليـك فقـد لاقيتـه بأواصرِ
تتبَّع أوسـاطَ الأمور مجانبـا — تورُّطَ عجـلان ووَنيـةَ قاصرِ
وقـد علم النُّزَّاعُ أن ديارَه — اذا انتجعـوها نِعم دارُ المُهاجرِ
تسلَّوا عن الأوطان بالأبطح الذى — يلائم مَرعاه لبـادٍ وحاضرِ
يطاول بالأقـلام ما تبلغ القنـا — ويفضُل أفعـالَ الظُّبَا بالمخـاصرِ (١)
من العصبةِ الغُرِّ الذين سـعودُهم — بآرائهـم لا بالنجوم السـوائرِ
فوارسُ هيجاءٍ وقولٍ، ركوبُهـم — ظهورُ الجيـادِ أو ظهورُ المنـابرِ
يظن الضيوفُ أن دارهمُ "مِنًى" — ودهرَهُمُ عيـدٌ لعُظْم المنـاحرِ
وما أوقدوا النيرانَ إلا ليفضَحوا — بها الليلَ إن أخفى مسالكَ زائرِ
وقد علمتْ تلك (٢) المكارم والعـلا — وقـد ولدتهـم أنهـا غـيرُ عاقرِ

(١) مخاصر: جمع مخصرة وهى عصا صغيرة يشير بها الملك . (٢) فى الأصل: «أن» ، وفى مختارات البارودى «تلك» فرجحناها لوضوح المعنى بها .

أيا "شرفَ الدين" المشرِّف عصره ومن حلَّ فيه ، بالعطايا البواهر (١)

تناولْ "بنيروز" الأكاسرِ غبطةً تضاحك أفـواهَ الأمانى الفواغرِ

هو اليومُ لا فى حُلَّةِ الصيف رافلٌ ولا فى سرابيـل الشـتاء بخاطرِ

يكاد لسانًا طيبــهِ واعتــداله يبينـان أنّ الدهرَ ليس بجـائرِ

ولمـا رأيتُ المـال عندك هيِّنـا جعلتُ هـداياه رياضَ الدفاترِ

فإنك من حمـد الرجال وشكرهم (٢) كثيرُ (٣) الكنوزِ واللُّهَى (٤) والذخائرِ

⁂

وقال يمدحُه، ويشكرُه على تعهُّدهِ بالعيادةِ من ألمٍ نالَه :

أبَى اللهُ إلا أن تجـودَ وتُنعـما خلائقُـك اللائى تفيضُ تكرُّما

لك المثَـلُ الأعلى بكلِّ فضيلةٍ إذا ملأ الراوى بها النَّجدَ أتهـما

لآلىءُ من بحـر الفضائلِ إن بدت لغائصِها صـلَّى عليها وسلَّما

ولـو ملَكتْها الغانيـاتُ بحيلةٍ لزِنَّ بها جِيـدا وحلَّين معصـما

وكم لك فى غُمّاتِهـا من عزيمـةٍ تُسابق بالنصـر الخميسَ العَرمرَما (٥)

يُفـلِّل حدَّاها الحسـامَ مصمِّما ويُخجِل عِطفاها الوشيـج (٦) مقوَّما

وما الجـودُ إلا ما قتلتَ به اللُّهَى (٤) فلم تُبـق دينارا ولم تُبـق درهما

---

(١) كذا فى مختارات البارودى، وفى الأصل : «الطواهر» ولعلها "الظواهر". (٢) فى الأصل : «فان يك» وبها لا يستقيم المعنى فرجحنا ما وضعناه. (٣) فى الأصل هكذا «كير» (٤) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا. (٥) العرمرم : الكثير. (٦) الوشيج : شجر الرماح.

فما يتعاطاك السحابُ اذا همى — ولا البحرُ يحكى ضَفَّتيك و إن طما

وهل يقدر الأقوامُ أن يتكلّفوا — مكارمَ قد أعيتْ "سماكا"[1] و"مرزَما"

نهضتَ بأثقالِ المعالى ولو دُعِى — إلى حملها العَودُ[2] الدِّيافىُّ[3] أرزما[4]

فسيّان من يبغى عُلاك وطالبٌ — ليبلغَ أسبابَ السمواتِ سُلَّما

وما المدحُ مستوفٍ علاك وإنما — حقيقٌ على المنطيق أن يتكلّما

ألم ترَ أنّ الأرضَ رحبٌ فسيحةٌ — ونحن نولّيها قلائصَ[5] سُهَّما[6]

أتتنى[7] "عميدَ الدولة" المِنّةُ التى — نفختَ بها رُوحا وأحييتَ أعظما

كأنّ الرسولَ المُسمِعِى نغماتِها — رسولٌ تلا وحيًا من الله مُحكما

فأُلبِستُ منها صِحّةً هى جُنَّتِى — إذا ما قِسِىُّ الدهرِ فوّقن أسهُما

ودارتْ [بها][8] كأسُ الشفاء وعُلِّقتْ — علىَّ رُقًى منها تُداوِى المتيَّما

فقد كدتُ فى عَجزى عن الشكرِ أن أرى — لسانىَ مجروما[9] وقلبى مُفحَما

ولكنّها ريحُ الثناءِ إذا جرت — بذكرك لم أملكْ لسانا ولا فما

وأفضالُك الروضُ الربيعىُّ إن دعا — بزَهرته وُرقَ الحمام ترنّما

---

(١) السماك والمرزم : كوكبان من أنواء المطر . (٢) العود : الجمل الشديد .

(٣) الديافى : منسوب إلى ضرب من إبل قرية بالشام يقال لها دياف ، وأهلها نبط الشام .

(٤) أرزم : صات من ثقل ما يحمله . (٥) القلائص : الفتيات من النوق . (٦) السهم : الهزيلة المتغيرة اللون . (٧) فى الأصل : « أسنى » . (٨) ليست بالأصل .

(٩) المجروم : المقطوع .

فلا ضحِك الإصباحُ إلا تخلّتـهُ ببهجتِـك الغـرّاءِ ثغـرا ومبسِما
ولا دجتِ الظلمـاءُ إلا أعرتَهـا شمـائلَك الغُـرَّ اللوامـعَ أنجُـما
تطيعـك أيام الزمان مصـيخَةً (١) بأسماعِهـا حـتى تقـول وَترسُمـا
ستأتيك من مدحى قوافٍ بديعـةٌ ينـافس فيهـا الجـاهلىُّ المُخَضرَما (٢)
وإنى بمنثـورِ الكلام لعـالمٌ ولكنَّ حسـنَ الدرّ فى أن يُنظَّـما

⁂

وقال يمدحُه :

أَبَيْنـا أن نطيعَكُمُ أَبَيْنـا فلا تُهـدوا نصيحتَكُم إلينـا
ركِبنا فى الهـوى خطَـرا فإما لنـا ما قـد كسَبنا أو علينـا
فمـا تسآلُكم عن كلّ صبٍّ كأنّ لكم على العشاق دَينـا !
ولـو لم يَرضَ ربُّك ما رضينا لَمـا أنشَا لنـا قلبـا وعينـا
بنفسى راميـاتٍ ليس تفـنَى نُصـولُ سِهامهنّ اذا رمينـا
كأنّهـمُ أعـدّوا للـرزايا بكلِّ كحيـلةٍ زيرا (٣) وقَينـا (٤)
تعوّضنَ الخيامَ من المطايا وحسبُك بالخيـام قِلًى (٥) وبَينـا
ولوّينَ البنانَ فقلتُ زجرا بميعـادى وآمالى لـوَينـا
عجـائبُ فى الصبابة لو عقلَنـا نحبُّ محـاسنا فتصـير حَيْنَا

(١) مصيخة : مصغية . (٢) المخضرم : الذى عاش فى الجاهلية والإسلام . (٣) الزير : الذى يحب مجالسة النساء ومحادثتهن . (٤) القين : العبد . (٥) القلى : البغض .

نسائلُ عن ثُمـامات "بُحزَوى"(١) ... وبانُ "الرمل" يعلم مَن عَنَينا

وقـد كُشِفَ الغطاءُ فما نبالى ... أصرَّحنا بذكـرك أم كَنَينا

ولو أنى أنادى : يا "سُليمَى" ... لقالوا : ما أردتَ سوى "لُبَينَى"

ألا لله طيفٌ منـكِ يسقى ... بكاسات الردى زُورا ومَينـا

مطيَّته طَـوالَ الدهرِ جفنى ... فكيف شكا اليكَ وَجًى(٢) وأينـا(٣)

فأمسينا كأنا ما آفـترقنا ... وأصبحنا كأنا ما آلتقينـا

ولـولا نُورُ أزهرَ شمَّـرِىٍّ(٤) ... تبلَّج(٥) فى الظلام لما آهتدينـا

"عميد الدولة" المعطِى القوافى ... رُهونَ سباقهنَّ اذا جرَينـا

فتًى يبنى على الغُـلَواء(٦) بيتـا ... اذا نزل المقصِّر بينَ بينـا

يقـول لإبله : مُـوتى هُزالاً ... ولا تَـرعَىْ بأكناف الهوَينَى

إذا ما السُّحبُ بالأمواهِ سَحَّتْ ... تهـلَّل عسجدا(٧) وهَمى لُجينا(٨)

بكلِّ قـرارةٍ وبكلِّ ربـع ... رياضٌ من نداه قـد آنتشينا

غصـونُ مكارم قَيظا وقُـرًّا(٩) ... نُصيب بها ثِمـارا يُجتَنَينـا

وما سلبَ الشـتاءُ الأرضَ إلا ... تسربلنَ المحامـدَ فآكتسينا

جَرَى والسابقُـون إلى المعـالى ... فجاء فُوَيقهـا وأتَـوا دُوَينـا

---

(١) الثمام : نبت ضعيف له خوص . (٢) الوجى : الحفا . (٣) الأين : التعب والنصب . (٤) الشمرى : الماضى فى الأمور المجرب . (٥) تبلج : أضاء . (٦) الغلواء : الغلو فى الشىء . (٧) العسجد : الذهب . (٨) اللجين : الفضة . (٩) القر : البرد .

***

وكتب إليه وقد عَرَض عليه تقليدَ عملٍ من أعمالِ العراقِ لم يُرضِـه، ويَزرِى على جماعةٍ من العمال :

قــد حصَلنا من المعــاش كما قيـ ـلَ قديما : لا عطرَ بعد عَروسِ [1]

ذهبَ القــومُ بالأطايبِ منـــه ودُعينـا الى الدّنىّ الخســـيسِ

لا جميــلٌ بمثله يحسُنِ الذكـ ـرُ ولا عامرٌ خرابُ الكيسِ

وإذا ما عدِمتُ فى الأمرِ هــذيـ ـن فســيّانِ نهضتى وجلوسى

عُرِضَت قبلَنـا "تَبـالةُ" [2] "للحـ جّاج" فأعافهـا بوجهٍ عَبــوسِ

وتولَّى أمرِ "العــراقين" صالِ نارَحربٍ تُزْرِى بحربِ "البسوس" [3]

جلســةٌ فى الجحيم أحرَى وأولى من رحيــلٍ يُفضِى إلى تدنيسِ

ففــرارا من المــذلّة فى "آ دَمَ" كان الفــرارُ من "إبليس"

أتــرانى مزاحمًا لأناسٍ قُلِّدوهـا بالســيف والدبّوسِ

بين ذى عُجــمة وآخرَ منقـــو صٍ وذى جِنّــةٍ وذى تمييسِ [4]

وبطينٍ وأبرصٍ وهبـــا دا ءانِ غضّـا من قــدرِ كلّ رئيسِ

---

(١) مثل يضرب لمن لا يؤخر عنه نفيس . (٢) يشير الشاعر الى تولية الحجاج بن يوسف الثقفى على تبالة وهى أول عمل وليه فسار اليها ، فلما قرب منها قال للدليل : أين تبالة ؟ فقال : تسترها هذه الأكمة ، فقال : لا أرانى أميرا على موضع تستره عنى أكمة ؛ أهون بها ، وكر راجعا ، فقيل فى ذلك : أهون من تبالة على الحجاج . (٣) أنظر صفحة ٣ شرح ١ (٤) التمييس : التلبيس .

معشر ليس يبلغ الذمُّ فيهم حدَّه إن وصفتهم بتيوسِ
غايةُ العلمِ عندهم وتمامُ الـ ـفضل حسنُ المركوب والملبوسِ
ما افتخار الفتى بثوبٍ جديدٍ وهو من تحته بعرضٍ لبيسٍ؟! (١)
والغنَى ليس باللُّجَيْنِ وبالتِّبـ ـر ولكن بعزَّةٍ فى النفوسِ (٢)
عادة للزمان يَجرى عليها أن تصير الأذنابُ فوق الرءوسِ
قد حويتُ الذى به ينجح السعـ ـيُ فمن لى بحظِّىَ المنحوسِ
وإذا صحَّ لى هوى "شرف الديـ ـن" تولَّى النعيمُ قتلَ البوسِ
قد توثَّقتُ يا صروفَ الليالى من أياديه فاْحمَقى أو كيسي (٣)
لىَ ما شئتُ روضةٌ وغديرٌ ومراحٌ من ربعه المأنوسِ

* * *

وقال يمدحُه ويهنّئه بعيد الأضحى والمهرجان :

يا صحابى وأينَ منِّىَ صحبى صرَعتهم عيونُ ذاك السِّربِ
يومَ أبدَوا تلك الوجوهَ علمنا أنما يُشهَر السلاحُ لحربِ
لحظاتٌ أسماؤهنّ استعارا تٌ وما هنّ غير طعنٍ وضربِ
إن أُجبْ داعىَ الهوى غيرَ راضٍ فالصدَى بالنداءِ كُرْهًا يلبِّى (٤)

---

(١) اللبيس : الخلق الممزق . (٢) اللجين : الفضة . (٣) كيسى : أى كونى كيسة ذات عقل . (٤) الصدى : ما يرده الجبل وغيره على المصوت فيه بمثل صوته .

هل أرى فى السهادِ صُبحًا بعينى ... من أرى فى الرقاد ليـــلا بقلبى
أمـلٌ كاذبٌ : قِطافُ ثمـارٍ ... من غصونٍ ملتفـــةٍ بالعصْبِ (١)
كلّمـا رنّح النسيمُ فـروعَ الـ ... ـبان هزّت أعطـافَها بالعُجبِ
إنّ روضَ الخـدودِ ليس لرعيٍ ... وخمـــورَ الثغور ليست لشُربِ
أرنى مِيتَـــةً تطيبُ بهـا النفـ ... ـسُ وقتـــلًا يلَذُّ غـــيرَ الحبِّ
لاتَزُلْ بى عن "العقيقِ" ففيهِ ... وطـــرى إن قضَـــيتُه أو نحبى
أجميـــلٌ ألّا أزورَ ديارا ... يوم بانوا دفنتُ فيهـا لـــبّى!
لا رعيتُ السوامَ إن قلتُ للصُّحـ ... ـبةِ : خفّى عنه، وللعيس : هُبّى
وقفـــةٌ بالركابِ تُجمِـعُ فيهـا ... فرحـــةٌ لى وراحةٌ للرَّكْـبِ
فى كِناسِ (٢) "الأَرْطَى" (٣) شبيهةٌ لعسا (٤) ... ءَ حَماهـا العفافُ مثـلَ الحُجْبِ
يتمـارَى أهـذه من نِتـاجِ الـ ... ـوحش أم تلك من بناتِ العُربِ؟!
قبلما آستضحكَتْ لنا ما طمعنا ... أن نرى الدُّرَّ فى الزلال العذبِ
طلعتْ وجهـةً وقابلهـا البـــد ... رُ فسوّت ما بين شرقٍ وغربِ
كلُّ شيءٍ حسبتُه من تجنّيـ ... ـها سوى عدّها الصبابةَ ذنبى
وســدادٌ رأىُ العـذول ولكن ... ليس يُعفِى الغرامُ من قال: حَسبى!

---

(١) العصب : ضرب من الثياب يصبغ ثم ينسج . (٢) الكناس : بيت الظبى .
(٣) الأرطى : شجر ثمره كالعناب . (٤) اللعساء : التى فى شفتها سواد — وهو مستحسن عند العرب — .

ربّما أقلع المتيَّمُ بالعذ ... رِ وزاد آستهامةً بالعتبِ

مثلما آزداد فى الندى "شرفُ الـ ... ـدين" لجَاجًا على الملام الصعبِ

مشرقُ الوجه باذل الفم بالنَّيـ ... ـل،وحسنُ الغديرِ زهرُ العُشبِ

كاد أن يرفع الموازينَ إعلا ... مًا لنا أنَّ ماله للنهبِ

واهب الخُرّد[1] العطابيلِ[2] والكو ... مِ[3] المطافيلِ[4] والعتاقِ[5] القُبِّ[6]

وبُدورِ[7] النُّضار أعجلها الطا ... لبَ تبرا عن سبكها والضربِ

شرفٌ صغَّر الذى عظَّموه ... من كرامِ أخبارُهم فى الكُتْبِ

غمَس الشكر فى سلاف أياديـ ... ـه فحَيَّاه باللسان الرَّطْبِ

لا سقَى الله معشرا وهو فيهم ... لم يرجُونَ بارقاتِ السُّحبِ!!

عرفَت فضلَه الرجالُ فألقت ... بالمقاليدِ لخُشاشِ[8] النَّدبِ[9]

طبَعوا بَهرَجَ[10] المعالى ليحكو ... هُ وليس النبىُّ كالمتنبى

من له رِحلتا "قريشٍ" الى المجـ ... ـد تؤوبان من علاءٍ بكسبِ

كيف لا يملأُ الحقائبَ شكرا ... وهو فى متجَرِ المكارم يُربى

---

(١) خرد : جمع خريدة وهى المرأة الحيية . (٢) عطابيل جمع عطبول : وهى المرأة الجميلة الطويلة . (٣) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٤) مطافيل : جمع مطفل وهى ذات الطفل . (٥) العتاق : الخيل النجيبة . (٦) القب : جمع أقب وقباء وهى الفرس الضامرة البطن . (٧) بدور : جمع بدرة وهى كيس توضع فيه النقود . (٨) الخشاش : الشجاع ، وفى الأصل «الحشاش» وهو تصحيف . (٩) الندب : الماضى السريع الى الفضائل . (١٠) البهرج : الزائف .

شنّ غاراته على عازبِ السـؤ(1) ددِ ما يقترحْ يحـوز ويَسبى

همــمٌ لا ترى العلوّ علوّا أو تُدلَّى على النجوم الشُّهبِ

طاعناتٌ فروعُها فى الدّرارِى(2) ضارباتٌ عروقُهـا فى التُّربِ

سابقاتٌ وفـدَ الرياح اذا يو مُ رِهانٍ أجراهما من مَهبِّ

شرفٌ دلّ حاسدُوه عليـه ودليلُ القِرَى نُباحُ الكلبِ

إنّ هـذا الهمامَ قـد عطّل الرمـ حَ وأبدَى كَهامةً(3) فى العضبِ(4)

صقَل الرأىَ بالتجاربِ حتى هو أنقى مَتنٍ(5) وأذلقُ(6) غربِ(7)

وحَمى فى رِباعـه غابةَ الليـ ث بتـدبيره وبيتَ الضبِّ

ذو هبـاتٍ يُدنى لمحتلبِ(8) الخيـ رِ لَبـوناً(9) تدرُّ من غير عَصبِ(10)

من صريحٍ يعطيك زبداً بلا مخـ ضٍ ويُغنيك عن تعنّى الوَطبِ(11)

ومتى يعـترضه محتطبُ الشـ رّ يجدْ عنـده وَقـودَ الحـربِ

أسمرا(12) كالرشاءِ(13) يُرسـله الرا ئُ(14) فى كلّ طعنـةٍ كالجُبِّ

وغموضَ الحدين من جوهرِ الـ موت مُوَلَّى على النفوس لغصبِ

---

(١) العازب : الشارد . (٢) الدرارى : النجوم . (٣) الكهامة : الكل ، يقال : سيف كهام أى كليل غير قاطع . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) المتن : الظهر . (٦) أذلق : أحدّ . (٧) الغرب : الحد . (٨) فى الأصل : «لمجتلب» ، وهو تصحيف . (٩) اللبون : الغزيرة اللبن . (١٠) العصب : شدّ فخذى الناقة لتدر . (١١) الوطب : إناء يحلب فيه . (١٢) الأسمر : الرمح . (١٣) الرشاء : الحبل . (١٤) الرائح : حامل الرمح .

وسَبوحا (١) قَـوداءَ (٢) تحتلب الجـر ... يةَ فى حافرٍ كمثلِ القعبِ (٣)

لوذعىٌّ تهيـج منـه الأعادى ... قانئَ الظُّفـر من فـؤادٍ وخِلْبِ (٤)

عنـدَه للأمور أشـفَى دواءٍ ... وعلاجُ الشـئون خـيرُ الطِّبِّ

أبدا حزمُـهُ برغـم الليـالى ... غُدَّةٌ أمسكتْ لَهَـاةَ (٥) الخَطْبِ

هو إما الذُّعافُ (٦) رقـرقه الصـ ... ـلُّ (٧) لحـاويهِ أو هِنـاءُ (٨) النُّقْبِ (٩)

تقتضِى المشكلاتُ منـه مقالا ... يتولَّى حـكَّ القلوب الجُربِ

حِـكَمٌ لو أصابهـا حىُّ "عَدوا ... نَ" (١٠) أدْعوها "لعامرِ بنِ الظَّرْبِ"

إنمـا أنت يا "محمدُ" للنـا ... سِ شبيهُ المبعوثِ من "آل كعبٍ"

ذاك كان الربيـعَ إذ قَحَط الـ ... ـدِّينُ وأنت الربيعُ عامَ الجـدبِ

أطلـعَ الله للخـلافةِ نجمـا ... منك عن سعدك المخلَّدِ يُنْبِى

دولةٌ مذ دُعيتَ فيها "عميدا" ... غَنِيتْ عن عَمودِهـا والطُّنْبِ (١١)

فلهـا السَّـرحَ بالبسالةِ يحمِى ... ولهـا الفىءَ بالأمانةِ يَجْـبى

وإذا رايـةٌ أُمدّتْ بإقبـا ... لك سارت (١٢) منصـورةً بالرُّعبِ

---

(١) السبوح : الفـرس . (٢) القوداء : المنقـادة الذلول . (٣) القعب : القدح الضخم الغليظ ، و يقال : حافر مقعب أى مدوّر كالقعب . (٤) الخلب : حجاب الكبد أو هو غلاف البطن . (٥) اللهاة : لحمة معترضة فى أعلى سقف الحلق . (٦) الذعاف : السم . (٧) الصل : الثعبان . (٨) الهناء : القطران . (٩) النقب : الجرب . (١٠) عدوان : قبيـلة من العرب منها عامر بن الظرب — بكسر الراء وسكنت هنا للضرورة — وهو من حكماء العرب المشهورين و يقال : إنه أول من قرعت له العصا . (١١) الطنب : حبـل يشدّ به سرادق البيت . (١٢) كذا فى الأصل ، وفى مختارات البارودى : « صارت » .

كيفَ لم تلبَس السِّوارَ حُلِيًّا … في يدٍ أُولعت بكشفِ الكربِ

قرَّ عينًا بمهرجانٍ وعيــدٍ … أتحفـا بالحبيبِ نفسَ المحبِّ

لم يُطقْ واحدٌ قضـاءَ أياديــ … ـك فوافاك مستغيثًا بِتِربِ (١)

حَوْلُ هذا مستوفِزٌ لرحيـــلٍ … وثنـاءٍ، وطَوْلُ هــذا لقُربِ

جُمعا في غِـــلالةٍ (٢) نسج "أيلو … لَ" (٣)، لهـا رقّةُ الفؤاد الصبِّ

فتلقَّ السرورَ من كلِّ وادٍ … وتملَّ النعـــيمَ من كلِّ شِعْبِ (٤)

كلّمـا جادت الليـالي بفنٍّ … منه صابت أيامُهنّ بضربِ

لستُ فيــه أُهدى هديّة مثلي … بل هداياىَ شكرُ عبـــدٍ لربِّ

أنا لولاك لم أحُكْ بُردةَ الشِّعـ … ـرِ ولا كان لؤلئي للثَّقبِ

غــيرَ أنى إذا زجرتُ القوافي … فيك خبَّت على طريقٍ لَحْبِ (٥)

والمديحُ العتيقُ (٦) للعِـــرض واقٍ … والمديحُ الهجينُ (٧) بعضُ الثَّلبِ

قلَّ نفعي بمـا حويتُ فيا ليــ … ـتَ ذوي الجهل يستبيحون سَلْبي

أنظُر المنهـــلَ المصفَّقَ مورو … دًا فأطويه جازئًا (٨) بالرَّطْبِ (٩)

لمَ يستنزلُ الزمانُ جدودي … وهي من عزِّك المنيع بهَضْبِ (١٠)

---

(١) الترب : من يولد معك فى سنك . (٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

(٣) أيلول : اسم شهر من شهور السنة الرومية . (٤) الشعب : الطريق فى الجبل . (٥) اللحب : الواسع الواضح . (٦) العتيق : الكريم . (٧) الهجين : غير الأصيل .

(٨) جازئا : مكتفيا . (٩) الرطب : العشب الأخضر . (١٠) الهضب : الجبل .

أتُرانى مثلَ الكواكب، أبطا ... هُنّ سيرا مادار حولَ القُطبِ!

إنهـا عَقبـــةٌ لضيقٍ تجـــلّى ... ثم تُفضِى الى مجـالٍ رَحبِ

*
* *

وقال يمدحه :

ما فاز بالحمـــدِ ولا نالَهْ ... من عشِقتْ راحتُـــه مالَهْ

لا والذى يرضَى لمعـــروفهِ ... أنــ يفتح السائلُ أقفـالَهْ

ترْبُ المعالى من له فى النّدَى ... بادرةٌ تُخــرِسُ سُــؤّالَهْ

يفـاجئُ الراجى بأوطاره ... كأنّه وســوَس آمالَهْ

مُنيتُـــهُ للطارق المجتـــدى ... أن يدرُجَ الأرضَ فتُطوَى لَهْ

مثل "عميدِ الدولةِ" المرتقِى ... بحيثُ أرسَى المجـــدُ أجبالَهْ

ذو الرأى قد شــدَّ حيازيمَهُ (١) ... يصـارع الدهرَ وأهـــوالَهْ

اذا عَرا خطبٌ تصـــدّى له ... يوقدُ فى جُنحيْه أجـــذالَهْ (٢)

مُصيبُ سهم الظنِّ لا ينطوى ... غيبُ غـــدٍ عنــه اذا خالَهْ

كأنّــ فى جنبيـــه ماويّةً (٣) ... تريه ممـا غاب أشـــكالَهْ

بازلُ (٤) عامينــ آرتضَى وخدَه ... فى طَـرْقه العـــزّ وإقبـالَهْ (٥)

---

(١) حيازيم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر، أو ما يشد عليه الحزام . (٢) أجذال : جمع جذل وهو أصل الشجرة وغيرها . (٣) الماوية : المرآة . (٤) البازل : الجمل المسن . (٥) كذا بالأصل ، ويحتمل أن تكون « وإرقاله » معطوفة على قوله : وخده ، والوخد والإرقال : ضربان من السير السريع .

لا يشهدُ المغنمَ إلا لكى ... يقسمَ فى الغازين أنفالَهْ (١)

إذا زعيمُ الجيش حامَى على ... مرباعه (٢) أنهبَ أموالَهْ

فعادةُ الجود وإسرافُه ... قد كثَّرا بالشكر إقلالَهْ

سامٍ اذا تِهتَ عليه وإن ... وادعتَه طأطأ شِملالَهْ (٣)

كأنما أقسمَ حبُّ العلا ... عليه : أن يُتعِب عُذّالَهْ

فلا ينُوا (٤) عنه عتابا ولا ... أقوالُهم تزجُر أفعالَهْ

كم قد عرَتْه من يدٍ أتلفتْ ... درهمَه فيه ومثقالَهْ

خرَّق (٥) حتى حقروا عنده ... مَنْ وزَن المالَ ومَن كالَهْ

مشتبهُ الأطرافِ ، أعمامُهُ ... يظنُّها القائفُ (٦) أخوالَهْ

إن جذَب الفخرُ بأبرادِهم (٧) ... فكلُّهم يسحبُ سربالَهْ

فى كلِّ جمعٍ صالحٍ هاتفٌ ... ما يأتلِى يضربُ أمثالَهْ

أما ترى الرقشاءَ (٨) فى كفِّه ... كأنها سمراءُ (٩) ذَبَّالَهْ (١٠)!

اذا تثنَّتْ فوق قِرطاسِها ... رأيتَها بالفضلِ مختالَهْ

---

(١) الأنفال : الغنائم . (٢) المرباع : ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .
(٣) الشملال : الناقة السريعة الخفيفة ، والمعنى أنه ينيخها كناية عن تواضعه لمن يوادعه . (٤) ينوا : يفتروا . (٥) كذا بالأصل ولعلها « خرق » بمعنى توسع فى العطاء . (٦) القائف : الذى يعرف النسب بفراسته . (٧) أبراد : جمع برد وهو الثوب . (٨) الرقشاء : الحية — والمراد بها القلم على التشبيه — . (٩) يريد بالسمراء قناة الرمح . (١٠) ذبالة : دقيقة .

فتــارةً تشــفِى بدِرياقِهـا وتارةً بالسُّــمّ قتّــالَهْ
ينفُثُ فى أطرافِهـا رُقيــةً تعـالجُ الـــعِىَّ وأغـــلالَهْ
قد صيّرت "سحبانَ" فى "وائلٍ" كأنّــه عَجْــماءُ صَلصالَهْ (١)
لا رجَعتْ نُعماه حَسرَى كما راجعَ هـــذا القلبُ بَلبالَهْ
عاودَه من دائه نَكسُهُ من بعد أن شارف إبلالَهْ
ولو صحا طــورا لعنّفتُــه فى حبّــه بيضاءَ مِكسالَهْ،
أو رشأً قـد لثّمــوا وجهَــه بخـاء مثلَ البـدر فى الهـالَهْ
أبعْــدَ ما عمّم كافورهُ رأسى وأعفَى الرأسُ صَـقّالَهْ؟،
أُجيبُ طيفا زار، عن زورةٍ وأسأل الربـــعَ وأطـــلالَهْ
ويطرُدُ التحصيلَ من خاطرى صهباءُ أو صـــفراءُ سلسالَهْ
وليس خِدْنى بالهِـدانِ الذى (٢) هجوعُـــه يألفُ آصـالَهْ
لا يترجّى الضيفُ إمراعَــهُ ولا يخـاف الجـارُ إمحالَهْ
لكنّه الأشعثُ (٣) فى سِربهِ يحــدو إلى العلياء أجمالَهْ (٤)
يبيت ضبُّ القاع من خوفهِ مستثفرا (٥) دهمـاءَ شــوّالَهْ

---

(١) العجماء : البهيمة ، والصلصالة : المصوتة .
(٢) الهدان : الوخم الثقيل .
(٣) الأشعث : المغبر شعر الرأس .
(٤) أجمال : جمع جمل وهو معروف .
(٥) مستثفرا : أى واضعا تحت ذنبه ، والدهماء الشـوالة : العقرب ، لأنها تشول بذنبها أى ترفعه . وتزعم العرب أن الضب يستثفر العقرب فاذا أدخل الحارش يده فى جحره لصيده لسعته .

أشهى له من قَينـــةٍ[1] مطربٍ عناقُـــهُ جرداءَ[2] صَـــهَّالَهْ
قـــد عاشر الوحشَ بأخلاقه وباين الحيَّ وجُهَّـالَهْ
كلٌّ له فى ســعيهِ مَذهبٌ وكـلُّ عيشٍ فـــله آلَهْ
وهذه الأيامُ إن حُقِّقت شرّابَــةٌ للخـــلقِ أكَّالَهْ

* * *

وقال فيه ولم يتمها :

أكرِمْ بوجه الراكبِ المُعنِقِ[3] يخـــبرُنا : أنَّا غدًا نلتـــقى
حجابُ قلبى فُــزْ بهِ خِلعـــةً فتحفــةُ البشرَى على الشـيِّقِ
تُراهُمُ زمُّوا بحمــلِ الصَّـدَى رسالةَ العـانى الى المطـــلَقِ؟
وآستفهموا الطيف وقالوا له : تعـلَمَ[4] من عشَّاقنا مَن بقِى؟
أنا الذى ضمَّتْ غداةَ "النقا" حبـائلُ الأسرِ ولم أُعتـــقِ
وكلَّما أثبتَ راميهـــمُ أسهمَـــه قلتُ له : فَـــوِّقِ[5]
ما أحذقَ الطاهى الذى عندكم أنضــجَ بالنـار ولم يحُـــرقِ
ليس الحمَى إلا بسُـــكَّانهِ والشـــمسُ منها بهجةُ المَشرقِ

---

(١) القينة : المغنية . (٢) الجرداء : الفرس قصيرة الشعر . (٣) المعنق : الذى يســير العنق وهو ضرب من السير السريع . (٤) يريد : أتعلم فحذف حرف الاستفهام .
(٥) فوق السهم : سدّده .

على عَقْر البُدْن (١) إن أصبحت — خيامُهم وهى رُبَى "الأبرقِ"

مثــل الأداحىّ (٢) وبيضاتُهـا — تُحضَنُ بالأبيض والأزرقِ (٣)

يا ماتح (٤) المـاءِ عدمتَ الرَّوَى — من جَفْر (٥) هذا القَلبِ كم تستقى ! !

من شيمة المـاءِ انحدارٌ فـلِمْ — ماءُ فـؤادى أبدا يرتــقِى

تحسبُ فى أجفانِىَ السُّحبَ أو — جودَ "عميدِ الدولة" المغـدقِ

* * *

وقال فيه أيضا :

لستُ أقضِى إذا رأيتُــك نَذرا — غيرَ نثرى عليـك حمـدا وشـكرا

وثنـاءً إذا تلقَّطـه السمـ — ـعُ تحـلَّى فى موضع القُـرط (٦) دُرَّا

مالىءٌ قلبَ من يواليــك إطـرا — با وأُذنَ الذى يعـاديك وَقْـرا (٧)

ليس لى من فضيلةٍ فيـه إلا — أننى أُلبِس القــلائدَ نحـرا

أتلـقَّ بحسن أخلاقــك الغُـ — ـرِّ شـبيهاتهنّ وجهـا أغرَّا

فكأنى إذا تمضمضَ بالمــد — ح لسانى أديرُ فى الفمِ خمـرا

كلُّ هــذا جَهـدُ المقلِّ وما قـ — ـصَّر من يبتنى لمجــدك ذِكرا

---

(١) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدّم للنحر . (٢) أداحى : جمع أدحى وهو مجثم النعامة تبيض فيه . (٣) الأبيض والأزرق : يراد بهما ريش جناحى النعامة . (٤) الماتح : مستخرج الماء من البئر . (٥) الجفر : البئر الواسعة . (٦) القرط : الحلق . (٧) الوقر : الصمم .

لا يزور الرقادُ عينا إذا سِـــر ... تَ ولا يسكن الفؤادُ الصـــدرا

كيف لا تقشـعِرُّ أرضٌ إذا أعـ ... ـرضتَ عنها واستأنستْ بك أخرى

تستطيل الأوقاتَ حتى ترى السا ... عةَ حَوْلا وتحسَب اليـــومَ شهرا

لو أطاقت سعيا إذا زُلتَ عنهـا ... لغدت فى أوائل الركب حسرى (١)

أنت روحٌ لهـا ولا يعـمُر الجثـ ... ـمانُ إلا ما دام للروح وَكرا

إنمـا تعـــدَم البِـــلادُ متى غبـ ... ـتَ ضياءَ الآفاق شمسًـا وبدرا

وسحابا للجـود يرعُـــد وعـــدا ... ثم ينـدَى كفاً ويبرُق بِشرا (٢)

فاذا ما أقمتَ أصـــبحنَ خُضرا ... واذا ما ظعنتَ أمسينَ غُـبْرا

نغفِـرُ الصـــدَّ للحبيب ولا نقـ ... ـبلُ منـــه عـــلى التباعُد عُذرا

يتمنَّى المحبُّ قـــربا ووصـــلا ... فاذا فاتَه فقـــربا وهَجـــرا

لا تَرُعنـا بغُـــربةٍ بعـــدُ، إنَّا (٣) ... ليس نُعطَى على التفرّق صـــبرا

إن ســـقانا إيابُك اليـــومَ حُلوا ... فبما أسقت النـــوى أمسِ مُرّا

غـــيرَ أنَّا إذا الســـلامةُ حاطتـ ... ـك وسعنا الزمانَ عفـــوا وغَفرا

---

(١) حسرى : معيية .

(٢) فى الأصـــل : « نشرا » .

(٣) فى الأصل « لا شرعنا بعزمة » والسياق بها غير ملتئم .

***

وقال يمدحُهُ، ويهنّئه بعَوده من خراسان، وهى آخرُ شعرٍ قاله رحمه اللهُ :

ماذا يَعيبُ رجالُ الحيِّ فى النادى ... سوى جنونى على أُدمانةِ[1] الوادى؟!

نَعَمْ هى الزادُ مشغوفٌ به سَغِبٌ[2] ... والماءُ حامت عليه غُلّةُ الصادى

يا صاحبي أنتَ يومَ الرَّوعِ تُنجدُنى ... فكيف يومَ النوى حرَّمتَ إنجادى

وما سلكتُ فِجاجَ الحبِّ معتزما ... حتى ضمِنتُ ولو بالنفس إسعادى

من أين تعلَمُ أنّ البينَ وخزَتَه ... فى القلبِ أشلمُ منها ضربةُ الهادى[3]!

لادرَّ دَرُّكَ إن ورَّيتَ عن خبرى ... إذا وصلتَ وإن أشمتَّ حُسّادى

قُلْ للقيمين "بالبطحاءِ" إنَّ لكم ... "بالرقمتين" أسيراً ما له فادى

بين العواذل تطويه وتنشُره ... مثلَ المريضِ طريحاً بين عُوّادِ

ليتَ الملامةَ سدَّت كلَّ سامعةٍ ... فلم تجد مسلكاً أُرجوزةُ الحادى

أكلّفُ القلبَ أن يهوَى وأُلزمه ... صبراً، وذلك جمعٌ بين أضدادِ

وأكتُم الركبَ أسرارى وأسألهم ... حاجاتِ نفسى، لقد أتعبتُ رُوّادى

هل مدلجٌ[4] عنده من مُبكرٍ خبرٌ ... وكيف يعلم حالَ الرائحِ الغادى؟

وإن رويتُ أحاديثَ الذين نأَوا ... فعَنْ نسيمِ الصَّبا والبرقِ إسنادى

---

(١) الأدمانة : الظبيــة التى أشرب لونها بياضا . (٢) السغب : الجائع .

(٣) الهادى : العنق . (٤) المدلج : السائر بالليل، والمبكر السائر فى بكرة النهار .

قالوا: تعوّضْ بغزلان "النقا" بدلا أمقنعى شِـبْهُ أجيادٍ لأجيـادِ؟

إن الظبـاءَ التى هام الفؤادُ بهـا يرعَيْنَ ما بين أحشاءٍ وأكبادِ

سَكَنَّ من أنفس العُشّاق فى حَرَمٍ فليس يطمع فيهـا حبلُ صـيّادِ

هيهات لا ذقتُ حُلوا من كلامكُمُ قـد بان غدرُكُمُ فى وجه ميعادى

ولا جعلتُ الّتى وِرْدى وقد ضمنتْ غمامةُ الجود إصـدارى وإيرادى

فى "شرف الدين" عن معروفكم عِوضٌ كرامةُ الجارِ والإيثـارُ بالزادِ

للطارقِ الحكمُ فى أعناقِ هَجمتِـه (١) ولو تقرّاه (٢) ذئبُ الرَّدهــةِ (٣) العادى

نادتْ : هلمَّ الى الشِّيَزى (٤) مكارمُهُ فنبَنَ فى الليــلِ عن نارٍ ووقّادِ

يَشفِين من قَرِمِ (٥) الضِّيفانِ عند فتًى لا يزجُرُ السيفَ عن عُرقوبِ مِقحادِ (٦)

مباحُ أفنيةِ المعـروفِ ليس له بابٌ يعـالجه العـافى بمِقــلادِ (٧)

فلا وِكـاء (٨) على عينٍ ولا ورقٍ (٩) ولا رِعاء (١٠) لأزرابٍ (١١) وأذوادِ (١٢)

أجدَى فلم يرَ ذُخرا فى خزائنــه إلا قنـاطيرَ من شـكرٍ وإحمـادِ

فى كلِّ يومٍ يُرينـا من مواهبــه بِرًّا غَريبا وفضــلا غيرَ مُعتـادِ

---

(١) الهجمة : من الإبل ما بين الأربعين الى المائة فاذا بلغت المائة فهى "هنيدة" .

(٢) تقراه : طلب قراه . (٣) الردهة : النقرة فى الصخرة . (٤) الشيزى : القصعة . (٥) القرم : شدة النهم الى أكل اللحم . (٦) المقحاد : الناقة العظيمة السنام . (٧) المقلاد : المفتاح . (٨) الوكاء : حبل تربط به القربة .

(٩) العين والورق : الذهب والفضة . (١٠) رعاء : جمع راع . (١١) أزراب : جمع زرب وهو موضع الماشية . (١٢) أذواد : جمع ذود وهى الإبل .

شريعةٌ فى النّـدى ضلوا فـدلّهمُ | على مناهجهـا خِرّيتُها الهـادى (١)
قاضى اللُّبانةِ لم يفطِن لهـا أملٌ | كأنّه لهـوى العـافى بمرصـادِ
له قبابٌ بطيب الذكرِ شـيّدها | فمـا دُعِمنَ بأطنـابٍ وأوتادِ
يا بحرُ إن شئتَ أن تحكى مواهبَهُ | فدع تخوّفيكَ من هَيجٍ وإزبادِ
قد ساجمَ (٢) العارضَ (٣) الهامى وزايدَه | حتى آسـتغاث بإبراق وإرعادِ
لله أىّ زلالٍ فى مَزادتِه (٤) | والظِّـمءُ يَخلِطُ فُرّاطـا (٥) بوُرّادِ
أُنظـر اليه ترى من شأنِه عجبا | زِىَّ الملوك على أخـلاقِ زُهّادِ
إن قال قومٌ: له مِثلٌ، يقلْ لهمُ | مَن ماثلوه به: جئتم بإلحادِ
لا تكذِبنَّ فهذا الشخصُ من نفرٍ | لم يخلُق اللهُ منهـم غـيرَ آحادِ
شرائطُ المجد كلٌّ فيـه قد جُمعتْ | جمعَ حروفِ التهجّى فى "أبى جادِ"
أرِحْ بنانَك من حُسبانِ سـؤدده | إن الكواكبَ لا تُحصَى بأعدادِ
وهل يفوت المعالى من أحاط بها | بنفسـه وبآباءٍ وأجـدادِ؟
اذا الفخارُ رمَى الفُتيَـا الى حَكَمٍ | وافَى ينـافر أمجادا بأمجـادِ
على المهابةِ قـد زُرّت بَنائقُـه (٦) | كأنّه لابسٌ لِبـداتِ آسـادِ

---

(١) الخريت: الدليل. (٢) ساجمه: عارضه فى انسجامه. (٣) العارض: السحاب المعترض. (٤) المزادة: وعاء يحمل فيه الماء. (٥) فراط: جمع فارط وهو الذى يتقدم القوم الى الورد لإصلاح الحوض. (٦) البنيقة: زيق القميص الذى ينفتح على النحر.

لذاك صُـــعّر خـــدٌّ غيرُ منعفرٍ — له وخرَّ جبينٌ غــيرُ سَجَّادِ

تطأطأ المجـدُ حتى صار فارسَـه — ثم آشمخر فـلم يلطأ(١) لصـعَّادِ

فكيف لا ترهبُ الأعداء نقمتَه — وبطشُها كصنيع الريح فى "عادِ"

صوارمٌ من صواب الرأى يطبعها — وصانعُ المكرِ يكسوها بأغمادِ

اذا آنتُضِينَ وما يَظهرنَ من لَطَفٍ — فرّقن ما بين أرواح وأجسادِ

وللكايد سـيفٌ غــيرُ منثلمٍ — وللخـدائع رمحٌ غـيرُ متآدِ(٢)

فى أيّمـا جانبٍ من حزمه نظـروا — لم يجـدوا مطلعا فيـه لأفنادِ(٣)

تخافُ عزمتَه الإبلُ التى خُلقتْ — أخفافُهنّ لتهجـيرٍ وإسآدِ(٤)

وتتقيــه العِتـاق القُبُّ(٥) سائمةً — تطويها بين أتهـامٍ وأنجادِ

أليس ناظمها عِقــدا له طَرَفٌ — "بالرىّ" والطرفُ الأقصى "ببغدادِ"

مكلّفات بسـاطَ الدوّ(٦) تمسحه — بأسـؤقٍ وبأعنـاقٍ وأعضـادِ

كأنّ آثارَ ماداست حوافرُها — دراهمٌ بَدَدٌ(٧) فى كفّ نقّـادِ

طورا تَسامَى على يافوخ(٨) شاهقةٍ — بها السمواتُ ظُنّتْ ذاتَ أعمادِ

---

(١) يلطأ : يلصق بالأرض . (٢) المتآد : المنثنى . (٣) أفنـاد : جمع فنـد وهو الكذب . (٤) التهجير : السـير فى وقت الهجيرة ، والإسآد : السـير بالليـل . (٥) القب : الخيل الضامرة البطون ، واحدها أقب وقباء . (٦) الدو : المفـازة . (٧) بدد : متفرقة . (٨) اليافوخ : الموضـع الذى يتحرك من الطفل فى أعلى الرأس .

وتارةً ترتمى فى صفصفٍ(١) قُـذُفٍ(٢) ... للآلِ(٣) يُكذَبُ فيـــه كلُّ مُرتادِ

حتّى شَـتَيْنَ "بنيسابورَ" باليــةً ... إلا عِظـاما مُواراةً بأجـــلادِ

فى شَـتوةٍ شَمِطَ الليـلُ البهيمُ بها ... تُضاحِكُ الريحَ ماهبَّتْ بصَـــرّادِ(٤)

كأنَّ فى أرضها أنْسَـاجَ قِبْطِيَـــةٍ(٥) ... أو السماءَ آسْـــتعارت بِرْسَ(٦) نَجّادِ

يا من يشاوَرُ فى قُربٍ وفى بُعُـدٍ ... ومن يُعَـــدُّ لإصلاحٍ وإفسـادِ،

إن الامامَ مذ آسْـترعاك دولتَـهُ ... غَنِى برأيك عن تجهيزِ أجنـادِ

إن مرِضَتْ ليـلةٌ عُمْىٌ كواكبُها ... قـدحتَ فيها بزَنْدٍ غيرِ صَلّادِ(٧)

فهذه الأرضُ قد عَجَّت بدعوته، ... فى كلِّ قُطرٍ خطيبٌ فوق أعوادِ

عـونٌ من الله لم يَشهد وقيعتَـه ... إلا كتائبُ توفيـــقٍ وإرشادِ

وحسنُ تدبـيرك المُردِى أعاديَهُ ... مقـرَّنين(٨) بأغـــلالٍ وأصـــفادِ

فأىُّ فـــظٍّ عليهـا غيرُ منعطفٍ ... وأى صعبٍ حرونٍ غيرُ منقادِ

وفى "خراسانَ" قد شِيدتْ مآثره ... أرَّخَهـا صيتُها تاريخَ ميـــلادِ

بين الخليفــةِ والمَلْكِ المطيعِ له ... أبـرمتَ وصـــلةَ أولادٍ لأولادِ

---

(١) الصفصف : المطمئن من الأرض . (٢) قذف : بعيد يتقاذف بمن يسلكه .

(٣) الآل : السراب ، وفى الأصـل « الأهل » وهو تحريف ؛ ويكذب : يسوء سـيره .

(٤) الصراد : الريح الباردة . (٥) القبطيـة : ثياب من كتان تنسـج بمصر منسوبة الى القبط على غير القياس . (٦) البرس : القطن . (٧) الصلاد : — من الزناد — غير المورى . (٨) مقرنين : مشدودين بالقرن وهو الحبل .

شمسٌ وبدرٌ لويتَ العَقـدَ بينهما ... لولا الشريعـةُ لم يـوثَق بإشهادِ

فليس كالصِّهر فى سهلٍ ولا جبل ... وليس كالحمـو فى حَضَرٍ ولا بادِ

فياله شــرفا أحرزتَ غايتَــه ... فلم تدع فضــلةً فيـــه لمرتادِ

وما بلوغُـــك فى العليـاء آخرَها ... بمـانعٍ كَرّةَ المســتأنِف البادى

تسومنى أن أُنـير(١) القولَ فيك وما ... يُغنى المرقَّشُ(٢) من تفـويف(٣) أبرادِ

بل كلُّ مدحِك أمرٌ ليس من جِبلى ... وكنّهُ وصفك ثِقلٌ ليس فى آدى(٤)

إنّ القوافى و إن جاشت غواربُها(٥) ... لا يُسـتطاع بها تحـويلُ أطوادِ

فإن رضيتَ بميسـورى فهاءِ حُلًى ... مَصُوغة بين أفكارى و إنشادى

فلن تعوزَ يدَ الغوّاص من صدفى ... فـريدةٌ وُسِّطتْ فى سِلك عقّادِ

أُعابُ بالشــعر لا أبغى به عِوضا ... ولا يُعـاب أناسٌ غيرُ أجـــوادِ

لكنّنى فى أناسٍ إن سألتُهُـمُ ... لم يعرفوا الفرق بين الظاء والضادِ

ما دمتَ سمعا وعينا فى الزمان لنا ... فكـلُّ أيامِـــه أيامُ أعيـاد

⁂

وقال يمدحُ زعيمَ الرؤساء أخاه وهو يتولّى الديوان :

صـبَّحها الدمـعُ ومسَّاها الأرقْ ... هل بين هـذين بقاءٌ للحَـدَقْ ؟ !

لا متعــةً بالظـبى عَنَّ غاديا ... ولا خِداعا بالخيـال إن طَــرَقْ

---

(١) أنير : أجعل له نيرا وهو هدب الثوب ولحمته ، فاذا نسج من نيرين كان أصفق . (٢) المرقش : المزخرف . (٣) التفويف : تخطيط الثوب . (٤) الآد : القوة . (٥) الغارب : معظم الماء .

إن ضحِك البرقُ من "الحَزْنِ" رنا　　　أو فاحت الريحُ من "الغَور" نشِقْ

كم ذا على التعليـــل تحيـا مهجةٌ　　　بمُـــديتَىْ بينٍ وهجـــرٍ تُعـــتَرَقْ (١)

ليت الذى عَذَّبَ إذ لم يُعفِــه　　　من مسِّــه بالضُّـــرِّ وانَى ورفَقْ

ميّـالةَ الأعطافِ، ما فاتك من　　　غصونِ بانات "الحِمى" إلا الورَقْ

لو ثبتَ السهمُ الذى أرســلتِه　　　فى القلبِ وافقتُك لكن قد مرَقْ

جمعتم السـرَّاءَ والضـرّاءَ لى　　　فأنتمُ كالمـاءِ رِىٌّ وشَـــرَقْ

كان اتفاقا ولَعى بِســـربكم　　　وشـــرُّ أحداثِ الليـالى ما اتفقْ

لم أدرِ أنَّ من حُداة ظُعْنِكم (٢)　　　أو سـائقيهنّ غـرابا قـــد نغقْ

هبْ أنَّ طَرفى أسرَته بينكم　　　حبـائلٌ، فانظر عُيَيْنات الخَرِقْ (٣)

وخُذْ لمن عَنَيْتُ منّى سِمــةً　　　لألأةَ البــدرِ إذا البدرُ اتســقْ (٤)

ولا تعَـــرَّضَ لعـــلاجى إنمـا　　　يَشفِى من الحبِّ الذى يَشفِى الوَلَقْ (٥)

علَّ الغـــرامَ نازلٌ عن صهـوتى　　　إن لِمّتى (٦) الدهمـاءُ (٧) شِـيبت بالبَلَقْ (٨)

يصنعُ لونُ الشَّـيبِ بالشباب ما　　　يصنع بالجـــلدةِ توليعُ (٩) البَهَـــقْ (١٠)

---

(١) تعترق : يؤخذ ما عليها من اللحم نهشا . (٢) ظعن : جمع ظعينة وهى الإبل التى يحمل عليها . (٣) الخرق : ولد الظبية . (٤) اتسق : انتظم واستوى . (٥) الولق : الجنون . (٦) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٧) الدهماء : السوداء . (٨) البلق : سواد وبياض . (٩) التوليع : البرص . (١٠) البهق : بياض يظهر على بشرة الجسد .

قلتُ : ظـلامٌ طلعتْ أنجُـــمُهُ … فمـا ٱعتذاري إن بدا ضوءُ الفَلَقْ [(١)]

أليس بَرْدُ اليأسِ لو وَســعتَه [(٢)] … أطفأَ من تســويف آمالي حُرَقْ

مهلا فمـا دون الأماني هَضبــةٌ … تزداد بالحِرص ٱرتفــاعا وزَلَقْ

لو جُلتَ حولَ الفــلَك الدّوّار لم … يزددْ نَقـــيرا [(٣)] فوق ما اللهُ رزَقْ

عش بطفيفِ القوتِ سَدّ جَوعةً … والقطرةِ الـكدراء والثـوبِ المِزَقْ [(٤)]

وساوِ ربَّ التـاج في سـلطانهِ … من يُعتِـق الأطماعَ منهنّ عَتَـقْ

وعاشرِ النـاسَ بلا تصـــنُّعٍ … لا جفوةِ الهَجرِ ولا زُورِ المَـلَقْ

وأدعُ "زعيمَ الرؤساء"، يستجِبْ … أروعُ نهّـاضٌ بمـا جلَّ ودقْ

لا تطمع الأنقـالُ [(٥)] أنْ تؤودَه [(٦)] … والدرُّ في اللُّجـة لا يخشى الغـرَقْ

أضحت صروفُ الدهرِ في سطوته … ملزوزةً [(٧)] لــزَّ البِطانِ [(٨)] بالحِـلَقْ [(٩)]

معتـــدل الشيمة حتى إبْـلُه … سِيرتُها بين الرسـيمِ والعَنَـقْ [(١٠)]

لا شَـيبة الحـلمِ كسته وَنيــةً [(١١)] … ولا شبابُ السنّ أعطاه النّزَقْ

---

(١) الفلق : الصباح — والمراد من كل ما تقدّم وصف ٱشتعال الرأس بالشيب .

(٢) وسعته : أطقته . (٣) النقير : النكتة في ظهر النواة . (٤) المزق : جمع مزقة وهي القطعة من الثوب ، ويقال : ثوب مزق باعتبار أجزا . (٥) كذا في الأصل ، ويحتمل أن تكون " الأثقال " ؛ والأثقال : جمع ثقل وهو ما يفعل مما لا يجب فعله من العطاء .

(٦) تؤوده : تثقله . (٧) ملزوزة : ملاصقة . (٨) البطان : حزام القتب يجعل تحت بطن الدابة . (٩) حلق : جمع حلقة وهي كل ما استدار . (١٠) الرسيم والعنق : ضربان من السير . (١١) الونية : الفتور والضعف .

قُضِى لــه بالســبق فى وِلاده والمهرُ بالعِـتق يُرى فيـه السبَقْ

رقَى المعـالى رتبـةً فرتبـةً كالعِقـد يعلو نظمه على نسـقْ

يبسِم بِشــرا مازجتْه هيبـةٌ تطلُّعَ النَّصلِ[1] من الغِمد الخَـلَقْ

لم تُمطِر السحبُ ولكن خجِلتْ من جوده حتى نضحن بالعَـرَقْ

وأينَ منها راحـةٌ مَصيفُها مثـلُ الشتاء يهمُر المـاءَ الغـدِقْ

كالخمـر للشارب كيف شاءها تصـرَّفت مصطَبحا ومغتبَـق

ما زال يُغنِى الحمـدَ بآبتياعه حتى غلا فى كلّ سـوقٍ ونفَقْ

وكلّما أسـرف فى صِفاته مادحُه ، قالت معاليه : صـدَقْ

شـمائلٌ وبهجـةٌ مومـوقـةٌ[2] والحسنُ بالأخلاقِ ثم بالخَـلَقْ

نصرا " أبا القاسم " قد تبرَّجتْ أمُّ اللُّهيم[3] حـاملا بنتَ طَبَـقْ[4]

فى مثلها رأيُك أذكـى[5] زَندَهُ أو تجلى عنها دُجُنّـات الغَسَـقْ[6]

ســهلٌ على رأيك وهو سـاحرٌ تقويمُ ما آعوجَّ ورتقُ ما آنفتقْ

قد أمكنتك فآنتهزها فرصـةٌ بالشكر، والشكـرُ لذيذُ المعتنَقْ

" بنى جَـهيرٍ " أنتمُ دِرعى ، إذا رمَى الزمانُ بدواهيـه رشَـقْ

رميتُ من دون الأنام مِقودى إليكـمُ طوعا وقطَّعتُ العُـلَقْ

---

(١) النصل : حد السيف . (٢) موموقة : محبوبة . (٣) أم اللهيم : الداهية .

(٤) بنت طبق : الداهية أيضا — والمعنى أن الداهية تستتبع الداهية . (٥) أذكى : أثار .

(٦) دجنات الغسق : ظلمات الليل .

فلا أكون بينكم "عُطاردا" لقربه من كُرة "الشمس" احترق

لا رعَت الأحداثُ فى حِماكُمُ ولا رأت نجومُها ذاك الأفُق

إن حزتم العلياء عن آخرها بسعيكم فهو دُون المستحق

* * *

وقال يمدحُه أيضا، ويهنئه بالنيروز :

وعيشكم لا وِرد الحُوَّمُ مناهلا غُدرانُها تبسِمُ

ولا رعت هُمَّلُ(1) أبصارهم فى روضة نُوّارُها أسهُمُ

رويدكم إن الهوى مَعرَكٌ يُعدَم فيه الأجرُ والمغنَمُ

وإنما تأويلُنا أنه يحلُّ للمضطر ما يحرُمُ

إن أبيّاتِ النفوس، التى أحلَى مناها الحادثُ الأعظمُ

تخوضُها فى غمراتِ الهوى لأنّه ينذُرُ فيها الدّمُ

من ذا الذى أفتَى عيونَ المها بأنّ ما تُتلف لا يُغرَمَ!

ساروا بقلبى دون جسمى فما تفعنى الجلدةُ والأعظُمُ

وآستعذبوا ظلمى فمن أجلهم أستغفر اللهَ لمن يظلِمُ

ما ضرّهم لو سفَروا ريثما يَقبَل عُذرى فيهم اللوّمُ

قال لىَ الأحورُ من بينهم وما به الأجرُ ولا المأثمُ: ،

---

(1) الهمل : جمع هامل وهو المتروك فى المرعى ليلا ونهارا .

داؤك هذا مَن جناه ومَن يُبرئه؟ قلتُ : الذى تعلَمُ!

كم فى خيام البَدوِ من ظبيةٍ سِوارها يُشبعه المِعصمُ

حاذرت العَينَ فما إن تُرَى وخافت السمعَ فما تَبغَمُ (١)

لو فاخرتْ فى الليل بدرَ الدجى لكان بالفضل لها يُحكَمُ

لأنها قد فتنَتْ قومَها والبدرُ لم تُفتَن به الأنجمُ

ما أصعبَ الإذنَ على منزلٍ بوّابُه الخَطّىّ (٢) واللّهذَمُ (٣)

لا برح الوسمىّ (٤) عن أرضهم ولا نأى عن جوّها المِرزَمُ (٥)

أو أبصرَ الكُثبانَ (٦) قد ظُلِّلَتْ (٧) رَقْماً (٨) كما يصطنع المُحرِمُ

وبلّغ اللهُ المنَى فتيةً نديمُهم فى الصبح لا يندمُ

عاطيتهم صهباءَ (٩) داريّةً (١٠) قالوا : وأين الصابُ والعلقمُ

عزّوا فلو تفقِد أذوادُهم (١١) حاميَها خفَّرها (١٢) الميسَمُ (١٣)

---

(١) بغمت الظبية : صاتت . (٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين واليه تنسب الرماح لأنه مبيعها لا منبتها ، يقال رماح خطية على الوصف ، و رماح الخط على الإضافة — . (٣) اللهذم : القاطع من السيوف . (٤) الوسمى : أول المطر .
(٥) المرزم : كوكب من أنواء المطر . (٦) كثبان : جمع كثيب وهو التل من الرمل .
(٧) فى الأصل « طلت » وهو تحريف . (٨) الرقم : ضرب مخطط من الوشى أو الخز .
(٩) الصهباء : الخمر . (١٠) الدارية : منسوبة الى دارين وهى فرضه بالبحرين يحمل اليها المسك من الهند . (١١) الأذاود : الإبل . (١٢) خفرها : آمنها وحماها . (١٣) الميسم : العلامة يعلم بها الحيوان .

وهى على عزّتها بينهم ... يُبَغْثُ[١] فيها الفذُّ[٢] والتوأمُ

ما تبرح الأكوارُ[٣] معمورةً ... بهم ونيرانُ الوغى تُضرَمُ

سقيًا لهم لو أنّ أمّاتهم ... لا تُطعَم الثُّكل ولا تُعقَمُ

تودُّ ذاتُ الحمل لو أنها ... يوما بأمثالهم تُتئِمُ[٤]

فلست أدرى أنجبوا شيمةً ... أم شِنشِنٌ[٥] ورّثهم "أخزمُ"؟!

بل من "زعيم الرؤساء" اقتنوا ... مكارمَ الأخلاق لا منهمُ

إن تُسئل العلياءُ عن نفسها ... تقلْ : "أبو القاسم" بى أعلمُ!!

قد أُنزلتْ فيه العلا سُورةً ... دقّت معانيها فما تُفهمُ

كأنّما فى صدر ديوانه ... "داودُ" فى محرابه يحكُمُ

بلاغةٌ من حسن إيضاحها ... لا تُشكل الخطَّ ولا تُعجِمُ

والفصلُ أنْ يُنشَر قرطاسُهُ ... وتُنبَهَ المُرِّيَّةُ[٦] النُّوَّمُ

إذا تحدّى الغيبَ أفكارُه ... فليس بابٌ دونها مُبهَمُ

كُفيتِ يا سُحْبُ فلا تنصبى[٧] ... حسْبُ الثرى تيّارُه الخضرِمُ[٨]

---

(١) فى الأصل "يعيث" والمعنى بها غير واضح . ولعل ما رجحناه هو الصواب . (٢) الفذ : الفرد ، والتوأم : ما ولد مع آخر . (٣) أكوار : جمع كور وهو الرحل . (٤) تتئم : تأتى بتوأمين فى بطن . (٥) الشنشن : العادة ، والمثل « شنشنة أعرفها من أخزم » .

(٦) المرية : منسوبة الى مرة بن ذهل أحد أجداد الممدوح لقوله فى موضع آخر :

يا بنى مرة بن ذهل أبوكم ... ما أبوكم وجدكم أى جد

— والمراد بهذه النسبة الأقلام — . (٧) تنصبي : تجهدى . (٨) الخضرم : العظيم .

قد علم العُشبُ وضيفُ القِرَى أيُّكما فى الأزمة الأكرمُ

تطـاولى يا هضبـاتِ المُنَى فهـــو الى ذروتك السُّــلَّمُ

محسَّـــدٌ يغبـــط أقـــلامَه عـــلى يديه الرمحُ والمِخـــذَمُ (١)

وما الذى بينهـــما جامعٌ هذان بؤسَى ، وهما أنعمُ

ليس بمحتـــاجٍ إلى شِكَّةٍ (٢)، سـلاحُه من ذاته الضيغمُ (٣)

إنّ قِداحَ النَّبــع (٤) مبريّةً لغـــيرِ مَنْ وقْصَتُه (٥) شَيْهَـــمُ (٦)

وهو إذا هزَّ قنـا كيدِه شاطَ (٧) عليها البطلُ المعــلَّمُ (٨)

وقالت الدرعُ لُمجتـابها (٩) : ما هُزَّ إلا القـــدرُ المــبرَمُ

وما كُلوم (١٠) الدهر محـــذورة ورأيُه الأعـــلى لها مرهمُ

ولو تشـاءُ اصطنعت خيــلُه وليمـــةً يشهــدُها القَشعمُ (١١)

قـــد صُبغتْ بالنقع (١٢) ألوانُهـا فاشتبـــه الأشهبُ (١٣) والأدهمُ (١٤)

من أُسرةٍ بيت معاليهـــمُ يزوره الكافـــرُ والمسـلمُ

مستَلَمُ الأركان ، طُوّافُهُ بمجدهم لبَّـوا كما أنعـموا

---

(١) المخذم : السيف القاطع . (٢) الشكة : السلاح . (٣) الضيغم : الأسد .
(٤) النبع : شجر تتخذ منه السهام . (٥) الوقصة : دق العنق وكسره . (٦) الشيهم : القنفذ الذى عظم شوكه . (٧) شاط : هلك . (٨) المعلم : المميز بعلامة تبينه .
(٩) المجتاب : اللابس ، وفى الأصل : « لمحتابها » وهو تصحيف . (١٠) كلوم : جمع كلم وهو الجرح . (١١) القشعم : النسر الكبير . (١٢) النقع : غبار الحرب .
(١٣) الأشهب : الجواد الأبيض . (١٤) الأدهم : الجواد الأسود .

شُـــيِّد بالإحسان بنيانُهُ فكلّ بيتٍ غيره يهـــدَمُ
يزدحم الوفـــدُ بأرجائه فعامُهـــم أجمعـــه مَوسمُ
لـو نحتَتْ صخـــرتَه آلةٌ لاستُنبِطتْ فى تُربِه "زمزمُ"
يا خاتم الأجواد قولى الذى به الكلامُ المصطفَى يُختَمُ
بـــدُرٍّ أوصافِك أمددتَنى فيـــه فما بالِىَ لا أنظِـــمُ؟!
تحيّـــة "النيروز" مفروضة بقـــدرِ ما يملِكه المعـــدِمُ
تُهدَى إلى مثلك فى مثـــله الـ أشـــعَارُ لا الدينارُ والدرهمُ

✤ ✤ ✤

وقال يمدحُه فى العيدِ والمِهرَجان :

نظرتُ ولم أبغِ إلا شـــفائى فداويتُ سُـــقمًا بداءٍ عَيـاءِ
تراءت وبرقُعهـا كفُّها لعينٍ مبرقعـــةٍ بالبكاءِ
فكانت لنـا فتنـةً ضوعفت بحسن المغطَّى وحسنِ الغطاءِ
تقـــول وقـــد لُمتُهـا فى البعا دِ: هل تسكن الشمسُ غيرَ السماءِ؟
وما زال تَسبى ــ وما إن ترا كَ ــ قلوبَ الرجالِ جسومُ النساءِ
وما زلتُ أجزَع من بينهـــم فعلَّمنى الصـــبرَ طولُ الجفاءِ
وإنّىَ من لاعجـاتِ الهـوى (١) على مثل صدرِ القناة انثنائى

(١) اللاعجة : الحرقة .

أصــومُ وما ماؤكم للــورودِ وأعشــو وما ناركُم للصِّــلاءِ
ومن يَصْدَ (١) يخدعْه لمعُ السرابِ ويَغــرُرْه خُلَّبُ برقٍ خَــواءِ (٢)
ولله موقفُنــا ، والعتــا بُ ينبُتُ فى الخدِّ وَردَ الحياءِ!
وقد أترع الحسنُ فيــه غديرا إليــه ورود العيــون الظِّماءِ
وطَــرفِىَ يتبعُ هُوجَ (٣) الرياحِ عساهنَّ يرفعن سِجْفَ (٤) الخِبـاءِ (٥)
أتنجو بجســمك فوق الركاب وتنبِــذُ قلبَك بين الظِّباءِ؟
وعهــدى بحلمك لا يُستطار برسمٍ مُحيــلٍ (٦) وربعٍ قَــواءِ
تَلَفَّتُ عن لَعَسٍ "بالحمى" وتُعرِضُ عن كَحَلٍ "بالجِواءِ"
ولولا خيــانة لونِ العــذارِ لبعت عُلوقَ (٧) الهوى بالغــلاءِ
وربَّ ليــالٍ سحبتُ الشبابَ بأعطافهنَّ كسَحْبِى ردائى
فلو كنتُ أملِك أمرى اشتريـ ـتُ ذاك الظلامَ بهذا الضياءِ
وقالوا : أصبتَ بعصرِ الصِّبا ومن لم يشِــبْ لم يفُز بالبقاءِ
وما منيتُ العــزِّ إلا ظهــورُ نواعجَ (٨) منعَــلةٍ بالنَّــجاءِ
يخلِّفن خلفِىَ دارَ الهوان مُناخا ومضْــطَرَبا للبِطـاءِ

(١) يصدى : يعطش . (٢) الخواء : الخالى من المطر . (٣) هوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى تقتلع البيوت . (٤) السجف : الستر . (٥) الخباء : البيت من وبر وصوف . (٦) المحيل والقواء : العافى . (٧) علوق : جمع علق وهو الشىء النفيس . (٨) نواعج : جمع ناعجة وهى الناقة البيضاء ، والنجاء : السرعة فى السير .

أفــرُّ بعرضِىَ عمّن ترى ... من النافقاءِ إلى القاصعاءِ (١)

ولستُ وإن كنتُ ربَّ القريضِ ... كمن يستجيب القِرى بالعُواءِ

عدمتُ مَعاشرَ لا يفرقــو ... ن بين الصَّهيلِ و بين الرُّغاءِ (٢)

إذا صافحتنى أكفُّ اللئام ... لطمتُ بهن خَدودَ الرجاءِ

وقِدماً عصرتُ وجوهَ الرجالِ ... فلم أر فيهنَّ وجهاً بماءِ

ولولا الجنابُ "الزعيمىُّ" ما ... مشَى الوعدُ فى طُرُقاتِ الوفاءِ

ولكن بجود "أبى قاسمٍ" ... عُمرنَ المكارمَ بعد العفاءِ

له فى المعالى آنتساب الصريحِ ... إذا غيرُه عُدّ فى الأدعياءِ

أغرّ تضىء به المكرماتُ ... وتفترُّ عنــه ثغورُ العَــلاءِ

وترعَى العيونُ إذا لاحظتْـ ... ـهُ فى روض رونقــه والرُّواءِ

إذا شِمتَ بارقَــه فالتّــلا ... عُ تشرق مثلَ حلوق الإضاءِ (٣)

من القومِ قد طُبعوا فى الندى ... على سِــكّة الغادياتِ الرِّواءِ (٤)

يعُـدُّ آبتياعَ يسيرِ الثناء ... بجزل العطاء من الكيمياءِ

تــدِرّ يداه بــلا حالبٍ ... إذا آلتَمس الزُّبدَ مخضُ السِّقاءِ

---

(١) النافقاء : آخر جحر اليربوع الذى يحفره ولا ينفذه ولكنه يرققه حتى اذا أحس بصيده مرق منه والقاصعاء : أوّل جحره الذى يحفره ، وكان الأحق أن يقول الشاعر : من القاصعاء الى النافقاء .

(٢) الصهيل : صوت الخيل ، والرغاء : صوت الإبل . (٣) الإضاء : الغدران واحدها : أضاة .

(٤) الغاديات : السحب التى تنشأ غدوة .

ويهتزُّ عند هبوبِ السؤال آهـ ـتزازَ الأراكةِ بالجِـــربيـاءِ (١)

فتُضـــحِى مكارمُه كالمطىِّ ونغْـــمةُ سائـله كالحُــداءِ

خلائقُ من منـــدلٍ مُثِّلتْ وزِيدَ عليهـا بخَــورُ الثَّنـاءِ

يكاد المــدامُ وصــفوُ الغـما مِ يُعصَر من طِيبِها والصفاءِ

كأنّ الحُـــبَى يومَ تعقادِهـا عليه، على "يذبلٍ" أو "حِراءِ" (٢)

يلاقى الخطوبَ اذا مارســتْه ببـاعٍ رحيبٍ وصـــدرٍ فضاءِ

وعزمٍ كما صفَّقت بالجَنـا حِ شَغواءُ مصبوبةٌ فى الهـواءِ (٣)

تراه فتنظـــرُ عزمًا وحزمًا وحلمًا قـــد آئتلفتْ فى وِعاءِ

وما أسرَ الطَّرفَ مثــلُ آمرئٍ يبـارزُ لامحَـــه بالبهـاءِ

عليـه شواهدُ منه آغتــدتْ عن الشـاهدِين له فى غَنـاءِ

وفى رونق السـيف للناظرين دليــلٌ على حــدِّه والمَضـاءِ

وقد يُعرفُ العِتقُ قبـلَ الفرار (٤) ويُحكَم بالسَّبق قبــلَ الجِراءِ

وما رغبــة الركب يهديهـــمُ ضـياؤك فى رايةٍ أو لــواءِ

لك الخـيرُ من قائـــلٍ فاعلٍ بنَى بالمكارمِ أعـــلَى بِنـاءِ

نذرتَ اذا نلتَ هـامَ الأمو رِ أن لا تُوشَّح بالكبرياءِ

(١) الجربياء : ريح الشمال الباردة . (٢) يذبل وحراء : جبلان . (٣) الشغواء : العقاب .

(٤) الفرار : — مثلثة — الكشف عن أسنان الدابة ليعرف كم سنها، وفى الأمثال « إن الجواد عينه فراره » يعنى تعرف الجودة فى عينه كما تعرف سن الدابة اذا فرت أسنانها .

فلو رزقَ نفسك أمسى اليك لما زدتَها فوق هذا السَّناءِ
ففي كلّ شيء وجدنا مِراءً ولم نر فيك لهم من مِراءِ
لذلك حنَّت قَلوصي[1] إليك حتّى أناخت بهذا الفِناءِ
ولولاك كانت كأُرجوحةٍ تَقلقَلُ بين الضّحَى والمَساءِ
إذا زمَّها نجمُ ذا بالشُّعاع تخطَّمها شمسُ ذا بالهَباءِ
وكم لى "ببغدادَ" من كاشحٍ يسائل فى ربعكم : ما ثوائى؟!
فقلت : مقيمٌ يجيبُ المنَى ويجمع بين الغِنى والغَناءِ
لدى ماجدٍ دلوُه فى السماح تتبعُها يدُه فى الرِّشاءِ[2]
إذا خاضت النِّقسَ[3] أقلامهُ كَفَين الذوابلَ[4] خوضَ الدّماءِ
دعا الرؤساءُ زعيمًا به فكان لشدّتهم والرَّخاءِ
وبعدَ التجارب قد أحمَدوا سجاياه، والحمدُ بعد البلاءِ
سقَى اللهُ دارَك ماءَ النعيم وطرَّزها برياض البهاءِ
ودارت عليك كئوسُ السرور يَغرِفنَ من مُترَعاتٍ مِلاءِ
وهُنئتَ بالعيدِ والمِهرجانِ، وسعدُهما سائقٌ بالهناءِ
وجَدناهما فَعَلا ما تحبُّ وما تبتغى بخُلوصِ الدُّعاءِ

(١) القلوص : الشابة من الإبل . (٢) الرشاء : حبل الدلو . (٣) النقس : الحبر .
(٤) الذوابل : الرماح .

وقال وقد سأله بعضُ رؤساء العصرِ نظمَ قصيدةٍ تتضمَّن مدحَ نظامِ المُلك أبى علىّ الحسن بن إسحاق، وأغراضا له :

ليتَ الهـوى يصرفه الراقِ	إما بحَيْنٍ (١) أو بإفراقِ (٢)
رشفُ الثنايا والتزامِ الطُّلَى (٣)	ـ إن أمكنا ـ أخلاطُ درياقِ (٤)
يا قارعا بالعـذل سمعى ومِن	ورائه قلبٌ بأغلاقِ
من أوجب التوبةَ من خمرةٍ	يعصرها من لحظه الساقى؟
كم "بالكثيب الفَرْدِ" من نابلٍ (٥)	أسهمهُ ليست بأفواقِ (٦)
وقامةٍ تحسبُها غصنَها الـ	ـورقاءُ لو كانت بأوراقِ
وظبيةٍ تنطح قنّاصها	من فاحمٍ جَعْدٍ (٧) بأرواقِ (٨)
من كُنْسها (٩) صدرى ومن روضها	قلبى ومن غُدرانها ماقى (١٠)
مأسورةٍ بالصون فى خِدرها	تحكُمُ فى أسرٍ وإطلاقِ
منّاعةٍ بالحسن أجفانَنا	أن يتقاربن لإطراقِ

(١) الحين : الهلاك والموت . (٢) الإفراق : الإفاقة من المرض . (٣) الطلى : الأعناق، واحدها : طلية . (٤) الدرياق : الدواء . (٥) النابل : الرامى بالنبل . (٦) أفواق : جمع فوق وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . (٧) الفاحم الجعد : الشعر الأسود المتقبض الملتوى . (٨) أرواق : جمع روق وهو القرن . (٩) كنس : جمع كناس وهو بيت الظبية . (١٠) الماق : طرف العين مما يلى الأنف .

كأنمـا الأعيـن إذ أُبرزت   من خِدرها ليست بأطبـاقِ

أغفلتُ ماحازتْه من مهجـتى   مخافــةً أن تذكُـرَ البـاقى

وليــلةٍ بالهجـرِ مُدّتْ فـما   يُفنِى مداها سعىُ مشــتاقِ

كان شــرابى وقيـانى بهـا (١)   دمعى ووُرقا ذات أطـواقِ

حتّى محا الصبحُ سوادَ الدُّجَى   كلِمَّـــةٍ (٢) فى يدِ حـــلّاقِ

قلتُ وأطـرافُ القنا شُخَّصٌ   ترمقـــنى عن زُرقِ أحداقِ:

لا أطلبُ الهـــدنةَ فيهـا ولو   قامت بها الحـربُ على ساقِ

ومن "نِظام المُلك" لى جُنّةٌ (٣)   حصــينةٌ ما مثلُهـا واقِ

نِعم الحِمَى إن عَرضَت خُطّةٌ (٤)   قـــد لفَّها الليــلُ بسوّاقِ

يعتصم الخائفُ من أمنــهِ   فى قُلّـتَىْ (٥) عهــدٍ وميثاقِ

لا يهجُــم السخطُ على حِلمِهِ   إن عـــثَرَ الأخمَصُ (٦) بالسـاقِ

ولا يهُـــزُّ الكِبرُ أعطافهَ   وهو على طَودِ العـــلا راقِ

فى لفظه والخطِّ منـــدوحةٌ   عن صـارمِ الحـــدَّين ذَلّاقِ (٧)

مثلُ سلاحِ الليث مستودَعٌ   فى الكفِّ أو ما بين أشـداقِ

---

(١) قيان : جمع قينة وهى المغنية . (٢) اللـة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

(٣) الجنة : كل ما وقى من السلاح . (٤) الخطة : الأمر المشكل العظيم الذى لا يهتدى له .

(٥) القـلة : أعلى الجبل . (٦) الأخمص : باطن القدم . (٧) الذلاق : الماضى .

أبلــجُ فضّاحٌ ســنا نورِه لسُــنّة[١] البــدر بإشراقِ
ذو بهجــةٍ غراءَ ميمــونةٍ زيّنهــا ديبــاجُ أخــلاقِ
يَحُلّ ما يبــديه من بِشره عَقْــدَ لسان الهــائب اللاقى
أبوابهُ للوفــد مفتوحــةٌ كأنهــا أجفانُ عُشّــاقِ
تســتغلق الرهنَ أفاويقُــهُ[٢] إن جُعِــلَ القَمْرُ[٣] لســبّاقِ
مسافةُ العليــاءِ إن أُقصِيتْ فهو بهــا "عَمْــرُو بن برّاقِ"[٤]
والعيس عيسٌ[٥] فاذا زرنه فإنهــا أســبابُ أرزاقِ
كم عنده للحمــد والشكر من مواســمٍ قُمْنَ وأســواقِ
يأنفُ أن يُمطــر شــؤبوبُهُ إلا بأذهاب[٦] وأوراقِ
تهــلُّ وسْميّــه[٧] موعــدٌ يُولِى بهــامى الجودِ غَيــداقِ[٨]
والسُّحبُ لا تعطيك معروفَها إلا بإرعادٍ وإبــراقِ
ليس يخيبُ الظنُّ فيــه ولا يعــودُ راجيــه بإخفــاقِ
أضحت صروفُ الدهرِ مأسورةً "للحسن القَــرْمِ[٩] ابن إسحاقِ"

---

(١) السنة : الوجه ، وقيل : دائرته ، وقيل : صورته ، وقيل : الجبهة والجبينان . (٢) الأفاويق : السحاب يمطر ساعة بعد ساعة . (٣) القمر : الغلبة فى لعب القمار . (٤) عمرو بن براق . من العدائين المشهورين بالعدو والسبق . (٥) فى الأصل : « والعيش عيش » وهو تصحيف . (٦) أذهاب : جمع ذهب . وأوراق : جمع ورق وهى الفضة . (٧) الوسمى : أول المطر ، ويليه الولى . (٨) الغيداق : الكثير المتدفق . (٩) القرم : السيد العظيم .

قد صــيَّر المـالَ على حبِّـه — طُعمـــةَ إتلافٍ وإنفـاقِ

إذا صروفُ الدهر زعزعنه — صـادفنَ قلبـا غيرَ خفَّـاقِ

أوامرٌ تمــلؤها طـاعـــةً — أهـــلُ أقالـــيمَ وآفاقِ

مابين "جَيْحونَ" "فقالِيقَلا" — وبين إشـآم و إعراقِ

وعزمةٌ عنهـا صدورُ القنـا — تهـتزُّ من خوفٍ وإشـــفاقِ

تُضحى قسىُّ "التُّركِ" من ثِقلها — تئنُّ في نزعٍ (١) وإغراقِ (٢)

والســيفُ ممـا كلَّفتْ حدَّه — يكُنُّ في أغمـادِ أعنـاقِ

قـــد حصَّن الملكَ بآرائه — في شـاهقِ الأقطـارِ مِزلاقِ

في كلّ يومٍ بأراضي العـــدا — سَجْــلُ (٣) دمٍ بالطعن مُهـراقِ (٤)

مثل "بني الأصفر" (٥) أودى بهم — أروعُ يُردى كـلَّ مرَّاقِ

من تُلَّ (٦) منهـــم فلذئبِ الفلا — ومن نجـا فـــرَّ بأرماقِ

بوقعـــةٍ أُطعِمَ فيهـا الردى — أرواحَ كُفّارٍ وفُسَّـاقِ

كم من يدٍ بالقـاعِ (٧) مبريَّةٍ — وهامةٍ بالشِّــعبِ (٨) أفـــلاقِ (٩)

---

(١) النزع : جذب وتر القــوس . (٢) الإغراق : استيفاء حد القــوس .
(٣) السجل : الدلو . (٤) مهراق : مصبوب . (٥) بنو الأصفر : الروم .
(٦) تل : صرع . (٧) القاع : المطمئن من الأرض . (٨) الشعب : الطــريق في الجبــل ، أو هو ما انفرج بين الجبلين . (٩) أفلاق : جمــع فلق وهو الجزء من الشيء المشقوق .

ذاق مليكُ "الروم" من صابها[1] ... ما لم يكن قبـلُ بذوّاقِ

إن لم تكن لاقيتَ أبطالَهـا ... كنتَ بإقبالك كاللاقى

والشمسُ لا يمنعها بُعدُها ... من فعـل إنماء وإحراق

أيا "قِوامَ الدِّين" دعوى آمرئٍ ... لســانُه ليس بمــذّاقِ[2]

اللهَ فى غرسـك لا تُذوِه ... من بعـد إثمارٍ وإيراقِ

بك آسـتقامت عُوجُ أفنانه[3] ... ومَـدَّ فى النُّعمَى بأعـراقِ

وعبد قِنٍّ[4] لك لم يلتمس ... من رقِّه[5] راحـةَ إعتـاقِ

مذ سار عن رَبعكَ، أحشاؤه ... والقلبُ أُثْفيـةُ[6] أشـواقِ

ما آعتاض من عزّك إلا كما ... يُعتاضُ عن سيفٍ بمخـراقِ[7]

تلطّف الحسّادُ فى سحـرهم ... حتى رأوا بالنأى إقـلاقى

إن سرّهم فَرْى فمن بعده ... يسوءهم كرّى و إعناقى[8]

ما كنتُ من قبلهم خائفا ... بين غرابٍ غـيرِ نعّاقِ[9]

---

(١) الصاب : نبات مر الطعم ، أو هو عصير شجر مر . (٢) المذاق : الكذاب .

(٣) الأفنان : الأغصان ، واحدها فنن . (٤) القن : الخالص العبودة ، وهو الذى ملك هو وأبوه ، أو هو الذى ولد عندك ولا تستطيع إخراجه عنك ، ويقال : عبد قن — بالنعت — ، وعبد قن — بالإضافة — . (٥) فى الأصل : «رقة» وهو تصحيف . (٦) الأثفية : أحد الثلاثة الأحجار التى توضع عليها القدر ، وفى الأصل هكذا : «أثمة» . (٧) المخراق : منديل يلف ويضرب به . (٨) الإعناق : السير السريع الفسيح . (٩) النغاق : النعاب الصائح ؛ مثل النعاق — بالمهملة — .

مَن فيهـــمُ يبلغُ شأوى ومَن يحمِــل إنِ حُمِّــلَ أوساقى؟ (١)

أشــعتُ إحســانك لى أوّلا فاْجعل بثانى الطَّولِ تَصداقى (٢)

حاشــا أياديك وما خَوّلتْ أن أكتسى أثوابَ إملاقِ

***

وقال يمدحُ أبا القاسم بن رضوان :

تفيض نفــوسٌ بأوصابهــا وتكتم عوّادُها ما بِهــا

وما أنصفتْ مهجةٌ تشتكى هواها إلى غــير أحبابهــا

ألا أرِنى لوعــةً فى الحشا وليس الهوى بعضَ أسبابها

ومن شرفِ الحبِّ أن الرجا لَ تشرى أذاه بألبــابها

وفى السِّرب مُثْرِيَةٌ بالجمــالِ تُقسِّـــمه بين أترابهــا (٣)

فللبـــدر ما فوق أزرارهــا وللغصن ما تحت جِلبابهــا

كأنى ذَعرتُ بهــا فى الخبا (٤) ءِ وحشيّةً عنــدِ محرابِهــا (٥)

أتبِّعـــها نظــرا مجّلا يعــثِّر عيــنى بهُدّابهــا (٦)

متى شاء يقطِف وردَ الخدود وقتْــهُ الأكــفُّ بعُنّابهــا

---

(١) فى الأصل « أوثاق » وهو تحريف . (٢) فى الأصــل هكذا "ناى" .

(٣) أتراب : جمع ترب وهو من ولد معك فى سنك . (٤) الخباء : بيت يتخذ من صوف أو وبر . (٥) الوحشية : الظبية . (٦) الهداب : الخيوط التى تبق فى طرفى الثوب من عرضه دون حاشيته ، أو هو طرف الثوب مما يلى طرته .

كفانىَ من وصــلها ذكرةٌ ... تمــرُّ على بَرْد أنيابهـا

وأن تتلالا بروقُ "الحمى" ... وإن أضرمتنى بإلهابها

وكم ناحلٍ بين تلك الخيـا ... م تحسَــبه بعضَ أطنابهـا (١)

فمن مخبرٌ حاسـدى أننى ... وهبتُ الأمانى لطُلّابِهـا؟

فإن عرَضتْ نفسَها لم تجد ... فؤادىَ من بعض خُطّابهـا

يسُـــرُّ الغطارفةَ الأكرميـ ... ـن قرعُ مديحى لأبوابهـا

فهاهى من قبل رفع الحجاب ... يضاحكنى بشــرُ حُجّابهـا

أ نزّه قَعْبِىَ عن خَلّهـا (٢) ... وآنَفُ من مخضِ أوطابهـا (٣)

وأعلم أن ثيـابَ العفا ... ف أجمــلُ زِىٍّ لمجتابهـا (٤)

عدلتُ السرابَ بأوراقهـا (٥) ... ولمــعَ البروق بأذهابهـا (٦)

ولو شـئتُ أرسـلتُها غارةً ... تعــود الىَّ بأســلابها

ولكننى عائفٌ شهدَها ... فكيف أنافسُ فى صابهـا (٧)

تذِلُّ الرجالُ لأطماعهـا ... كذلِّ العبيـد لأربابهـا

فلا تقطِفنّ ثمـارَ المُــنى ... فبئسَ (٨) عُصـارةُ أعنابهـا

---

(١) أطناب: جمع طنب وهو حبل الخيمة . (٢) القعب: إناء يحلب فيه . (٣) أوطاب: جمع وطب وهو سقاء اللبن . (٤) المجتاب: اللابس . (٥) أوراق: جمع ورق وهو الفضة . (٦) أذهاب: جمع ذهب . (٧) الصاب: شجر مر، أو هو عصير شجر مر . (٨) فى الأصل: « فيأس » وهو تحريف .

وعُجْ بالأجلِّ "أبي قاسمٍ" لتأتى المكارمَ من بابها
فنعـمَ الرياضُ لمرتادِها ونعـمَ الديارُ لمنتابها
وأوديةٌ من يَرِدْ ماءَها يرَ السُّحبَ من بعض شُرّابها
الى كعبة الجود من راحتيـه تُشـدّ الرحالُ بأقتابها (١)
مناقبُ مثـلُ عِدادِ الرمالِ تكُدُّ أناملَ حُسّابها
وتُتعبُ ألسنَ دُرّاسِها وتُفنِي قراطيسَ كُتّابها (٢)
تجاوزتَ حدّ صفاتِ البليغ فمادحُها مثـلُ مُغتابها
يـذُمُّ البضـائعَ ما لم يُعِـدَّ من الشكر أوفرَ أكسابِها
تظُنُّ بأفـواه مُدّاحِهِ عُقـارا تدارُ بأكوابها (٣)
تُصافِحُ منـه أكفُّ الرجاء برطبِ الأنامل وهّابها
كأنّ السؤالَ على رِفده قِـداحٌ تفـوز بأنصابها
إذا اشتكت الأرضُ داءَ المحو لِ داوَى رُباها بإخصابها (٤)
من العصبة المدركين العُـلا بأحسابها وبأنسابها
أجاروا على الدهرِ من صَرفِهِ وجاروا على الأُسْد فى غابها
وساسوا ولاءَ قلوبِ الرجال بإرغابها ثم إرهابها

(١) أقتاب : جمع قتب وهو إكاف (برذعة) على قدر سنام البعير (٢) القرطاس : الصحيفة .
(٣) أكواب : جمع كوب وهو قدح لا عروة له . (٤) فى الأصل : « باحصابها »
وهو تصحيف .

كنوزُ محامدها والثناءِ — عليها ذخائرُ أعقابها
ولم تلبَس الرَّيْطَ(١) إلا رأيتَ — محاسـنَها نقشَ أثوابها
تعجّبُ من حُسن بهجاتها — الى أن ترى حسنَ آدابها
وإنَّ مكارمَ أخلاقها — تقــوم مقاماتِ ألقابها
تمَــلُّ بأيّام هــذا الزمان — تجــرُّ ذلاذلَ(٢) جِلبابها
مقامَ السواد لأبصـارها — ومثـلَ النُّخاع لأصلابها
إذا أنت أفنيتَ أيّامَهـا — توالت عليــك بأحقابها

* * *

وقال يمدحه أيضا :

النجاءَ النجاءَ من أرض "نجدِ" — قبــلَ أن يعــلَق الفؤادُ بوجدِ
إنّ ذاك الثرى لَيُنبتُ شوقا — فى حشا ميّت اللُّبانات(٣) صَــلد(٤)
كم خلىٍّ غــدا إليــه وأمسى — وهو يَهذى "بعَلوةٍ" أو "بهندِ"
وظبــاءٍ فيــه تُلاقى المُــوالى — والمُعادى من الجَمال بجُنْــد
بشتيتٍ من المبـاسم يُغــرى — وسَــقامٍ من المحاجر يُعــدى
وبنانٍ لولا اللطافــةُ ظُنَّتْ — لِجنـاياتها براثنَ(٥) أُسْــد

(١) الريط : جمع ريطة وهى كل ملاءة ليست ذات لفقين . (٢) الذلاذل : جمع ذلذل وهو أسفل القميص الطويل . (٣) اللبانة : الحاجة والمأرب . (٤) الصلد : الصلب .
(٥) براثن : جمع برثن وهو من السباع والطير بمنزلة الإصبع من الإنسان .

وحــديثٍ إذا سمعناه لم ند ... رِ بخمرٍ نضَحتَنا أم بشهــدِ ؟

أنفتْ من براقــع الخــزّ والقــزّ خدودٌ قــد برقعوهــا بورْدِ

وغنَــوا عن خدورهم مذ تغطَّــوا ... عن محبّيهم ببعــدٍ وصــدّ

أمُقــاما " بعــالج "، والمطــايا ... عَرضَ "يبرينَ" بالظعائن تخدى؟ !(١)

لا "الحمَى" بعــدكم مُناخٌ ولا ما ... ءُ "اللوى" إذا هجــرتمــوه بوِرْدِ

والفــؤادُ الذى عهــدتم جَموحا ... راضــه طولُ جَــوْركم والتعــدّى

ما تُريدون من دلائــلِ شــوقٍ ... غيرَ هــذا الذى أُجنُّ وأُبدى

كبِدٌ كلّمــا وضعتُ عليهــا ... راحتى، قيلَ : أنت قادحُ زَندِ

وجفونٌ جرينَ مدًّا، وماءُ الـ ... ـبحــرِ يرتاحُ بين جزرٍ ومدّ

يا بنى "مُرّةَ بن ذُهــلٍ" أبوكم ... ما أبوكــم وجدُّكــم أىّ جَدّ

غُررٌ فى وجوهِ "بكرٍ"، و"بكرٌ" ... شامةٌ عمّمت رءوسَ "معــدّ"

من شــبابٍ فى الحِلم مثلِ كُهولٍ ... وكُهــولٍ نزّاقــةٍ مثــلِ مُردِ

أنا منــكم إذا انتهينا إلى العــر ... قِ التففنا التفــافَ بانٍ برَندِ

نسبٌ ليس بيننا فيــه فــرقٌ ... غــيرِ عيشَىْ حضارةٍ وتبــدّى

لكم الرمحُ والسّــنانُ وعنــدى ... ما تجنُّــون من بيانٍ ومجــدِ

خلّصــونى من ظَنبِكم أو أنادى ... بالذى يُنقــذ الأسارَى ويفــدى

---

(١) الظعائن : الهوادج فيها النساء . وتخدى : تسرع .

"بأبى القاسم" الذى غرس الأفـ ضال فى ربوتَىْ ثناءٍ وحمــدِ
كلما هبَّ للســؤال نســيمٌ فـوق أغصانه انتــثرنَ برِفــدِ
فى يديه غمــامتان لظــلٍّ ولقَطـرٍ من غير برقٍ ورعــدِ
أَذِنَ البشــرُ للعُفــاة عليــه حينــ ناداهم القُطــوبُ بردٍّ
واصطفى المكرُماتِ حتى لقلنـا: أبِــرقٍّ إنتــاجُها أم بعَقــدِ؟!
فَـرْقُ ما بينَــه وبين ســواه فَـرْقُ ما بينــ لُجٍّ بحـرٍ وثَمْـدِ (١)
أىُّ عُشبٍ فى ذلك الأبطحِ السهـ ـل وماءٍ لمَــرتَــعٍ ولــوِردِ؟
لا تــراه إلّا على كاهل العــز م يســوق العُــلا بجَــدٍّ وجِدٍّ (٢)
كم عــدوٍّ أماتــه بوعيــدٍ وَولىٍّ أحيــاه منــه بوعــدِ
لستَ تدرى أمن زخارف روضٍ صاغــه اللهُ أم لآلئِ عِقــدِ؟!
وبحسن الفعــال ينتسب القـــو مُ إلى المجــد لا بقَبْــلٍ وبَعدِ
مُطلِعٌ، فى دُجى الخطوبِ إذا أظـ لمنَ، من رأيــه كواكبَ سَــعدِ
عــزماتٌ لا تســتجيب لراقٍ وحــلومٌ لا تُســتثار بحِقــدِ
ومَضاءٌ لو أنه كانــ للســيـ ـف لما هوَّمَتْ ظُبـاه بغِمـدِ (٣)
قــد رأينــا فيــه عجــائبَ منهــ ـنّ ثمــارٌ يُجنَيْن من عُودِ "هِنــدِ"

---

(١) الثمد : الماء القليل. (٢) الجد — بالفتح — : الحظ، — وبالكسر — : الاجتهاد فى الأمر. (٣) هومت : نامت.

أســـرَ الناس بالعوارف، والنّعـ ـمَى على الحرّ مثـــلُ رِبقةِ[1] قِـدٍّ[2]

ليس يَرضَى من الملابس إلا ما يُنـير[3] الثناءُ فيـــه ويُسْـــدى

أبدا تســـأل النواظرُ عنــــه أبشــكرٍ قد آكتسى أم بـــبُردِ!!

أحصِ ما شئتَ من حصًى وقُطارٍ فمعاليــــه ليس تُحصَى بعَـــدِّ

وعيونُ الحسّادِ إن نظـــرَته فبصُـــورٍ[4] من المسـاءة رُمْـــدِ

يا أعاديه لو عُددتم "كيأجو ج" وما كم من كيده خَلفَ سـدِّ

وســـواء إذا جرى فى مَـــداه أبأخلاقـــه جرى أم بجُـــردِ[5]

قَصَـــبُ السـّــباقِ ليس يُصَلِّيـ[6] ـها خوافى النســور إلا بكدِّ

زادك الله ما تشــاءُ مَزيدا ســـيلُه غيرُ واقفٍ عنـــد حدِّ

فى ربيـعٍ نظيرِ جنّاتِ "عَدنٍ" وديارٍ جميعُها دارُ خُـــلدِ

إن أغِبْ عنك فاللسانُ بشــكرى غـــيرُ ناءٍ ولا الفـؤادُ بمجـــدى

وهما الأصغرانِ لولاهمـــا كا ن الـبرايا أمثـالَ صُحْـــرٍ[7] ورُبْدِ[8]

أُخبُرِ النـــاسَ تَقْلُهُم[9] أو تصِلْهـــم هـــل يحازُ الدينــارُ إلا بنقـــدِ؟!

(١) الربقة : العروة . (٢) القد : قيد يقد من جلد يشدّ به الأسير . (٣) أنار الثوب : جعل له نيرا ، وهو ما اجتمع من خيوطه ، وأسـداه : جعل له سدى وهو ما مد من خيوطه .

(٤) الصـــور : المائلة . (٥) الجرد : الخيل قصيرة الشعر ، واحدها : أجرد وجرداء .

(٦) يصليها : تأتى ثانية لها . (٧) الصحر : ما اغبر لونها فى حمرة ، واحدها أصحر وصحراء . يقال : حمار أصحر وأتان صحراء . (٨) الربد : ما اسـود لونها مع تنقيطه بحمرة ، واحدها أربد وربداء . (٩) تقلهم : تبغضهم وتجفوهم من : قلا يقلو وقلى يقلى ، وهو من حديث أبى الدرداء : " وجدت الناس آخبر تقله " أى جرب الناس تبغضهم ، والهاء فى " تقله " للسكت .

* * *

وقال يرثى أبا منصور بن يوسف ، ويعزّى عنه أبا القاسم بن رضوان صهرَهُ :

لا قَبِلنـا فى ذا المصابِ عــزاءَ — أحسنَ الدهرُ بعـدَها أو أسـاءَ

إن نهينا فيــه عن الدمــع مَاقا (١) — أو خفضنا النحيبَ كان رياءَ

حسراتٍ يا نفسِ تفتُّـك بالصبـ — ـر وحزنًا يقلقــلُ الأحشـاءَ

ووجيباً (٢) ملءَ الضـلوع إذا فا — ض إلى المقلتين صـار بكاءَ

فزفـيرا بين الجـوانح يفتضُّ متى شـاء عَـبرةً عـذراءَ

وحنينـا يشــوقُ فاقــدةَ النِّيـ (٣) — ـبِ فتنسَى صريفَها (٤) والرُّغاءَ (٥)

ومُناخا من لوعـةٍ وآكتئاب — يستجيبُ الحمامــةَ الــوَرقاءَ

ودموعا يخجلن من شَـبَه المـا — ءِ فيُصبَغنَ بالحيـاءِ دماءَ

من عيونٍ قد كنّ قبلُ عيونا — ثم صـارت بفقــده أنــواءَ (٦)

ملقياتِ العُــوّار (٧) فيهنّ سَجْــلا (٨) — جاعلاتِ القــذَى لهنّ رِشـاءَ (٩)

وإذا ما الأُسَى (١٠) أشرنَ على القلـ — ـبِ بيأسٍ فآستفهموا البُرَحاءَ (١١)

يَفقِد الناسُ — قدعلمنا — عظيما — وخطيرا منهــم وليسوا ســواءَ

---

(١) المأق : طرف العين مما يلى الأنف . (٢) الوجيب : خفقان القلب . (٣) نيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة . (٤) الصريف : صرير ناب البعير . (٥) الرغاء : صوت ذوات الخف . (٦) الأنواء : الأمطار . (٧) العوار : ما ينزع من لحم العين بعد ما يذر عليه الذرور . (٨) السجل : الدلو . (٩) الرشاء : حبل الدلو . (١٠) الأسى : جمع أسوة وهى القدوة . (١١) البرحاء : شدة الحزن .

كيف نسلو من فارق المجدَ والسّو ددَ والحزمَ والندَى والعَلاءَ
والسجايا الذى إذا آفتخر الدُّ رُّ آدّعاها مَلاسةً وصفاءَ
والمحيَّا الذى له تشخص الأبـ ـصارُ حُسنا وبهجةً وضياءَ
والأيادِى البيضَ المصافِحةَ الإعـ ـدامِ حتّى تُحيلَه إثراءَ
والمعالى المحلِّقاتِ مع النَّسـ ـرَيْن[1] يُشرقن بُكرة ومَساءَ
ووقارا لو أنه أدَّبَ الهُو جَ[2] من العاصفاتِ عُدنَ رُخاءَ[3]
خرِستْ ألسن النُّعاةِ[4] ووَدّت كل أُذنٍ لو غُودرت صمَّاءَ
جهِلوا أنهم نعَوا مُهجةَ المجـ ـدِ المصفَّى والعِزَّةَ القَعساءَ[5]
حين قالوا — وليتَهم كتَموا الحا دث عنّا أو جمجموا الأنباءَ — :
ظعنتْ "بآبن يوسُفٍ" قُلُص[6] الأ يّام تطوِى الإدلاجَ[7] والإسراءَ[8]
ليس تَلوِى على مُناخٍ ولا تطـ ـلُبُ وِردا ولا تطيعُ حُداءَ
بعد ما كنّ كالعبيدِ من الطا عةِ والسمعِ، والليالى إماءَ
زينةُ الدِّين عُرّىَ الدينُ منها وحُلِّىُ الدنيا جفا الأعضاءَ
لو أرادت عِرسُ المكارم بعلًا عدِمتْ بعدَ فقدِه الأكفاءَ

---

(١) النسران: كوكبان، يقال لأحدهما: النسر الطائر، وللآخر: النسر الواقع. (٢) الهوج: الرياح التى لا تستوى فى هبوبها وتقلع البيوت، واحدها: هوجاء. (٣) الرخاء: الريح اللينة. (٤) فى الأصل "البغاة" وهو تصحيف. (٥) القعساء: الثابتة الممتنعة. (٦) قلص: جمع قلوص وهى الفتية من الإبل. (٧) الإدلاج: السير آخر الليل. (٨) الإسراء: السير أول الليل.

من إذا ما الحقــوق لله نادت ... قاضيـا راعيـا أجاب النـداءَ

وإذا ما إليـــه مُدَّتْ يـــدُ البـ ... ـرِّ أهان البيضـاءَ والصفــراءَ[١]

من تردَّى بهيبـةٍ رأت التصـ ... ـريحَ عَجــزا فـأومأت إيمـاءَ

يُوقِـد القـــومُ نارهم فى جدالٍ ... فاذا قال أخمــدوا الضوضـاءَ

من يكن أيتمَ الذرارِى اذا ما ... ت فهــذا قد أيتمَ الفقــراءَ

ما درى حامـــلوه أنهُـــم عنـ ... ـدهُمْ أزالوا الأظـــلالَ والأفيـاءَ

أدرَجوا فى الرِّداء نَصـــلا[٢] ولفُّوا ... فى السَّـــحولِىِّ[٣] صَـــعدةً[٤] صمّاءَ

يُودِعون الثرى ــ كما حَكَمَ الـ ... ـله ــ بكُرهٍ غمـامةً غرّاءَ

ولو أن الخيــارَ أضحى إليهـــم ... ما أحلُّوا الغــمامَ إلا السماءَ

يا لهـا من مصيبـــةٍ عمّت العــا ... لَمَ طــرّا وخصَّت العظـــماءَ

ما علمنـا الضَّرّاءَ أحيت فعاشت ... فى الورى أم أماتت الســرّاءَ؟

غـــيرَ أنّا نرى لهـا كلَّ نفس ... لِهفـاتٍ تَنَفُّــسُ الصُّــعَداءَ[٥]

ما رأينـا يوما كيوم تولَّيـ ... ـتَ يـــؤمُّ الأمواتَ والأحيـاءَ

يَتبَــعُ النـاسُ ذلك النورَ أرسـا ... لًا[٦] كما يتبـــعُ الخميسُ[٧] اللّـــواءَ

---

(١) البيضاء والصفراء : الفضة والذهب . (٢) النصل : السيف . (٣) سحول : موضع باليمن تنسج فيـه الثياب ، يقال : ثياب سحولية بالفتح والضم ــ والفتح أشهر ــ . (٤) الصعدة الصماء : قناة الرمح المستوية الصلبة . (٥) الصعداء : تنفس طويل من هم أو تعب . (٦) الأرسال : الجماعات واحدها : رسل ــ بكسر الراء ــ . (٧) الخميس : الجيش ــ لأنه خمس فرق ــ .

أرجُلٌ فى الصّعيد تنتعلُ التُّر ب وهامٌ[1] تعمّمُ الحصْباءَ[2]

فتَظَنّى[3] الحمامُ أنّك أزجيـ تَ إليه كتيبةً[4] شهباءَ

أو مشتْ نحوه القبائلُ يطلُبْـ ن إليه بأن يكنّ الفداءَ

أنت من معشرٍ أبى طيّبُ الذكـ ر عليهم أن يُشمتوا الأعداءَ

فهمُ كالأنام يَبلَون أجسا مًا ولكن يخلّدون ثناءَ

لم يُطيقوا أن يدفعوا نوب الأيّامِ عنهم فسيّروا الأسماءَ

عُقلتْ فوق تُربك السحبُ إما ماخضًا[5] بالقُطارِ أو عُشراءَ[6]

تارةً بالضّريبِ[7] ترغو وطورا بزُلالٍ يفجّرُ الأطْباءَ[8]

فاغراتِ الأفواهِ تحسَبها طا لَ سُراها فأكثرتْ ثُؤباءَ[9]

فهى تَسقِى ثراك قَطرا ومن زا رك يَسقى ترحُّما ودُعاءَ

كلُّنا للردى ولم تُخلَق الأغـ لالُ إلّا ما بيننا سفراءَ

وإذا كانت الحياةُ هى الدا ءَ المعنِّى فقد عدِمنا الشفاءَ

إنما هذه الأمانىُّ فى النفـ س سَرابٌ لا يَنقَعُ الأظماءَ

---

(١) هام : جمع هامة وهى الرأس . (٢) الحصباء : الحصى . (٣) تظنى بمعنى ظن .
(٤) الكتيبة : الفرقة من الجيش ، ويقال : كتيبة شهباء لبياض سيوفها وكثرة سلاحها .
(٥) الماخض : — بغير هاء — هى التى دنا ولادها . (٦) العشراء : التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية . (٧) الضريب . اللبن يحلب من عدة لقاح فى إناء . (٨) أطباء : جمع طبى — بكسر وسكون — حلمة الضرع . (٩) الثؤباء : التثاؤب .

وأُسـودُ الأيامِ لا ترتضى الأجـ ـسامَ قوتاً وتأكلُ الحَـوْباءَ (١)

كم بُزاةٍ شُهْبٍ تَحصَّنُ بالجـ ـوّ فتهـوى إلى الثرى أصـداءَ (٢)

غبرَت هـذه الليالى فلويُسـ ـئلن أنكرن ما دها "الأذواءَ" (٣)

نحن فى عَتبها الذى ليس يُجدى مثـلُ من حكَّ جِـلدةً جرباءَ

كلّما كُرّر المـلامُ عليهـا فى الإسـاءات زادهـا إغراءَ

جَـلَدًا أيُّها الأجلُّ أبو "القا سم"، والعَـوْدُ يحمـل الأعباءَ (٤)

أبدا أنت فى النوائب لبّـا سٌ من الصـبر نَثرةً حَصـداءَ (٥)

خُلُقٌ فيك أن تُجَلّى من الكـر ب نفـوسا وتكشِفَ الغمّـاءَ

ما كرهتَ الأقدارَ قـطُّ ولو جا ءت ببؤسَى ولا ذممتَ القضاءَ

ولك العـزّة التى دونها السيـ ـف نفـاذا وجُرأةً ومضـاءَ (٦)

وفَعـالٌ اذا وزنّاه بالوعـ ـدِ اذا قلتَ لم نجِـد إقـواءَ (٧) (٨)

أُحرُسِ الأقربين يحرسُـك اللّـ ـهُ وراعِ الأهلينَ والأبنـاءَ

فالجيـادُ العِتاقُ لاتبـلغُ الغـا يةَ حتّى تستصحبَ الأفـلاءَ (٩)

---

(١) الحوباء : النفس . (٢) أصـداء : جمع صدى وهو الجسد بعـد الموت .

(٣) الأذواء : ملوك اليمن — لإضافة "ذو" فى الغالب الى أسمائهـم وهى تلزم الإعراب ؛ يقال : مرذويزن ، ورأيت ذايزن ، وسيف بن ذى يزن . (٤) العود : الجمـل المسن .

(٥) النثرة الحصداء : الدرع المحكمة السرد . (٦) فى الأصـل « نقادا » وهو تصحيف .

(٧) الفعال : الكرم . (٨) الإقواء : الاختلاف ، وأصله — فى الشعر — اختلاف حركة الروى . (٩) أفلاء : جمع فلو وهو المهر اذا فطم أو بلغ السنة .

وظباءُ الفـلاةِ إن راعهـا القـا نصُ زفّت فآســتدنت الأطلاءَ (١)

وجــديرٌ بمن شرَى عُنُقَ المجـ ـد فأعــلَى أن يُحـرِزَ العليـاءَ

* * *

وقال يرثى أبا نصر بن حميلة صاحب الديوان :

كلّ يومٍ خِلٌّ يُرحّـــلُ عنّـا وديارٌ معطّـلاتٌ ومغـنَى (٢)

وحبيبٌ فريســةٌ للنـا يا تجتــويهِ (٣) كأنه ليس منّـا

أعلَمتْنَـا مَصـيرَنا حادثاتٌ لو عملنا يوما بمـا قد علِمنـا

هـــذه الأرضُ أمُّنـا وأبونا حملَتْنا بالكُرهِ ظَهرا وبطنا

إنمـا المرءُ فوقها هو لفـــظٌ فاذا صار تحتهـا فهْـــو مَعنى

لو رجَعنا إلى اليقـين علِمنـا أننّـا فى الدُّنا (٤) نُشـــيِّدُ سجنا

إنمـا العيشُ مـنزلٌ فيـه بابَا ن، دخَلنا من ذا ومن ذا خرَجنا

مثلَمـا تسرَحُ السّوامُ الى المر عَى وتُثْنَى عنـه غَدونا ورُحنا

وضروبُ الأطيارِ لو طِرنَ ماطِر نَ فلا بدَّ أن يراجِعنَ وَكْنا (٥)

يحسَبُ الهِمُّ (٦) عمـرَه كلَّ حولٍ فاذا آستكثر الحسابَ تمنّى

---

(١) زفت : أسرعت فى عدوها ، وفى الأصل «رقت» وهو تصحيف ؛ والأطلاء : جمع طلى وهو ولد الظبية . (٢) المغنى : المنزل . (٣) تجتويه : تجفوه . (٤) الدنا : جمع الدنيا وهى واحدة فاذا جمعت فباعتبار أقسامها . (٥) الوكن : العش — كالوكر — . (٦) الهم : الشيخ الفانى .

كلُّ شيء يُحصيه عدٌّ ولو كا ... ن كثيبا من رملِ "يبرينَ"[1] يفنى

والليالى لنا مطايا إذا خـ ... ـبَّت بنا نحو غايةٍ بلَّغتنا

مبتدانا ومنتهانا سَواءٌ ... فلماذا من الأخير عجِبنا

فوُجِدنا من بعد ما قد عُدِمنا ... وعُدمنا من بعدِ ما قد وُجدنا

والأريبُ اللبيبُ من وعظتْه ... ألسنٌ فى مواضع الموتِ لُكْنَا[2]

قد رأينا وقد سمعنا لو آنّ الـ ... ـنَّفسَ ترضَى عينا وتأمن أُذْنا

وكأنّا لغير ذاك خُلقنا ... أو سوانا بغير ذلك يُعنَى

كلّما حُقِّق الشفاءُ لفنٍّ ... من سَقام الأيام أحدثْنَ فنّا

ليس ندرِى متى تُقاد لعقرٍ ... فبما تعرِفُ الحُشاشاتُ أمْنا

كلُّنا نجعلُ الظنونَ يقينا ... ويقينُ الأمور يُجعَلُ ظنّا

خُدَعاتٌ من الزمان إذا أبـ ... ـكين عينا منهنّ أضحكن سنّا

كلُّ يومٍ تأتى به يومُ نحرٍ ... و"مِنًى" حيثُ شاء سهلا وحَزنا[3]

ليس يُغنِى عن النفوس فداءٌ ... فضَياعٌ نَعقٌّ[4] عنهن بُدْنا[5]

والمليكُ الهمامُ بالجحفلِ المجْـ ... ـرِ[6] لسمع الردَى يُقعقِع شَنّا[7]

---

(١) يبرين : موضع مشهور بكثرة رماله . (٢) لكن : جمع ألكن وهو العى الذى ثقل لسانه .

(٣) الحزن : الوعر من الأرض — وهو ضد السهل — . (٤) نعق : نذبح عنها فداء لها .

(٥) بدن : جمع بدنة وهى الناقة تقدم للنحر . (٦) الجحفل المجر : الجيش العظيم بكثرته .

(٧) الشن : القربة البالية .

لو درتْ هــذه الحمــائمُ ما ند　　رى لمــا رجَّعتْ على الغصن لحَنا

طائع الأسهم الصوائبِ لم يخـ　　ـلُقْ لأهــدافهنّ عَمــدا مِجنّاً (١)

نتــوارى بالســابرىّ (٢) ونُنسى　　من وراء الضلوع ضربا وطعنا

غَشِيَ الدهرُ أهــلَه بجنــودٍ　　أَسَرتْهُ وليس يعــرِفُ منّـا

بين بُلْقٍ (٣) منــه يُغِير بهـا الصبـ　　ـحُ وأخرى دُهْمٍ (٤) توافيك وَهْنا

هو إما روحُ الحيــاة وإلا　　حَيــاةٌ تظــلُّ فيهـا مُعــنَّى

وكأنّ المنــونَ حادى ركاب　　ردّ ظُعْنــا (٥) عنــه وقدّم ظُعْنا

موردٌ غصَّ بالزحــامِ فــلولا　　ســبقُ من جاء قبلَنا لورَدنا

وأرى الدهرَ مُفردا وهو فى حا　　لٍ يشُنّ الغــاراتِ هَنّاً وهَنّــا

كصَفاةِ (٦) المسيلِ لا ترهَبُ الليـ　　ـثَ ولا ترحم الغــزالَ الأغنّا

ما عليه لو أنه كــان أبـقَى　　من "أبى نصر" المهذبِ رُكنا!

والدا للصــغير بَرًّا وللــتِّر　　بِ (٧) أخًا مشفقا وللأكبر آبنا

غُصُنٌ إن ذوَى فقد كان منه　　ثمــراتُ الخــلائق الغُــرِّ تُجنَى

---

(١) المجن : كل ما وارى من سلاح .　(٢) السابرى : الثوب الجيــد — منسوب الى سابور على غير القياس — وسابور بلدة مشهورة بعمل الثياب الجيدة .　(٣) بلق : جمع أبلق وهو — من الخيل — : الذى فيه سواد و بياض .　(٤) دهم : جمع أدهم وهو الأسود من الخيل .

(٥) ظعن : جمع ظعينة وهى البعير يعتمل و يحمل عليه .　(٦) الصفاة : الصخرة الصلبة .

(٧) الترب : الذى يولد معك فى سنك .

إن أَملناهُ بالمقـال تلوَّى أو هززناه للفَعـال[1] تثنَّى

من ذيولِ السحاب أطهرُ ذيلا وقميص النسـيم أطيبُ رُدْنا[2]

ما مشتْ فى فؤاده قَـدَم الغـشِّ ولا أسكن الجوانح ضِـغْنا

إن يكنْ للحيـاءِ ماءٌ فما كا ن له غـيرُ ذلك الوجه مُزْنا[3]

لهفَ نفسى على حسام صقيلٍ كيف أضحت له الجنادلُ[4] جَفنا[5]

وعتيقٍ أثار بالسَّـبقِ نقعا[6] فغــدا فـوقه يُهـال ويُبنَى

ونفيسٍ مِن الذخائر لم يؤ مَن عليه فأستُودِع الأرضَ خَزْنا

أودعوا منه فى الضرائح كافو را ومِسكا ومنـدَليًّا[7] ولبْنـا[8]

أغمِض العينَ بعده، فغريبٌ أن ترى مثـلَه وأين وأنَّى

أىَّ نور أطفأتَ يامُهَريقَ[9] الـ ماء فوق الجسم المكلَّل حُسنا

خــتمَ الضُّـمَّر العِتاقَ وخلَّى فى الأَوارىِّ[10] مُقـرِفات[11] وهُجنا

عرفوا قدرَه كما تُعـرفُ الشـ ـمسُ ومقدارُها اذا الليلُ جَنَّا

ما رأينـا طودَ الخـلافة إلَّا ووجدناه عادمًا منـــه رَعْنا[12]

---

(١) الفعال: الكرم. (٢) الردن: الكم. (٣) المزن: السحاب. (٤) الجنادل: الحجارة. (٥) الجفن: غمد السيف. (٦) النقع: الغبار. (٧) المندلى: العود — منسوب الى مندل وهى بلدة فى الهند —. (٨) اللبن: الكندر وهو معروف باللبان. (٩) المهريق: الذى يصب الماء ويريقه. (١٠) الأوارى: جمع آرى وهو محبس الدابة، أو هو حبل تشد به الدابة فى محبسها. (١١) المقرف — من الخيل — ما كان أبوه غير عربى والهجين ما كانت أمه غير عربية. (١٢) الرعن: أنف يتقدم الجبل.

فالقصورُ المشيَّداتُ تُعــزِّى ‏ والقبــورُ المبعــثَراتُ تُهنّا

ما عجِبنا كيفَ آشترته الليــالى ‏ بل عجِبنا كيف آختُدِعنا فبِعنا

ليتَه حين كان دَينــا مع الفقــر إليــه بقبضــه أجَّلَتنــا

وآســتبدَّتْ بمن أرادت فداءً ‏ وآعتزاما وإن أحبَّت فرَهْنــا

لو علِمنا أنّ التفجُّعَ يُدنيــك بكينا دون النساءِ ونُحْنــا

وآختضبنا دمَ المحــاجرِ صِرفًا ‏ إن أماطَتْ بنــانُهن اليَرَنَّا (١)

ونزحنا الدمــوعَ سَحًّــا ووبلًا ‏ وأقمنــا الضلوعَ وجدا وحُزنا

غيرَ أنّ الدارَ التى أنت فيهــا ‏ منزلٌ مِن به أناخ أَبَنَّــا (٢)

لا خَطَا تُربَك السحابُ المصرَّى (٣) ‏ أو تؤدِّى فروضَــه وتُسَنَّا

كلّما أوسعتْ خُطاه النُّعــامَى (٤) ‏ أثقلتــه أوساقُــه فأُعنَّــا (٥)

حسِبَ القَطرُ رعدَه نقرَ دُفٍّ ‏ فتعاطَى على البسيطةِ زَفْنــا (٦)

وقليــلُ الجدوَى مقالىَ يا أطــلالُ، حتى سُقيتِ رَبعًا ومَغنَى

وعزيزٌ علىَّ أنْ صِرتَ فى نظــم القوافى تُسْمَى لتَنْدُبِ وتُكْنَى

(١) اليرنا : الحناء . — وفيها لغات يرجع اليها فى المعجمات — . (٢) أبن : أقام .

(٣) المصرى : الذى آجتمع ماؤه ، وأصله : ضرع الناقة لا يحلب حتى يجتمع اللبن فيه . (٤) النعامى : ريح الجنوب . (٥) أعن : حبس بالعنان . (٦) الزفن : الرقص .

***

وقال يعزّى أبا القاسم بن أيّوب عن زوجة أبيه أبى المعالى بن عبد الرحيم :

لا مريةٌ فى الردَى ولا جدَلُ العمرُ دَيْنٌ قضاؤه الأجلُ

للمرء فى حتف أنفه شُغُلٌ فما تريد السيوف والأسلُ؟(١)

يَفرِى(٢) الدجَى والضّحى بأسلحةٍ سيّانِ فيها الدروعُ والخُلَلُ(٣)

فأنجمُ الليل كالأسنةِ والـ صُبحُ حسامٌ له الورى خِلَلُ

ياليت عمرَ الفتى يُمَدُّ له ما امتدّ منه الرجاءُ والأملُ

مواردٌ هذه الحياةُ وما نصدُرُ عنها إلا بنا غُلَلُ

نكرَعُ فى حَوضها ونحن كما تُذاد من بعد خِمسها(٤) الإبلُ

كأسٌ أدِرّت على لذاذتها عُدّل فيها الزُّعافُ(٥) والعسلُ

كلٌّ إلى غايةٍ يصير ولا تمييزَ إلا الإسراعُ والمهَلُ

والناسُ ركبٌ يهوون حتْفَهمُ ولا يُسَرُّون أنّهم نزلوا

وسوفَ تُطوَى مسافةٌ ذَمَلتْ(٦) بقاطعيها ركائبٌ ذُلُلُ(٧)

كيف يَعُدُّ الدنيا له وطنا من هو ينأى عنها وينتقلُ؟

---

(١) الأسل : الرماح . (٢) يفرى : يشق ويقطع . (٣) الخلل : جمع خلة وهى غمد السيف ، أو هى بطانة يغشى بها غمده . (٤) الخمس : من أظماء الإبل وهو ورودها الماء فى اليوم الرابع بعد رعيها ثلاثة أيام . (٥) الزعاف : السم القاتل . (٦) ذملت : سارت الذميل — وهو ضرب من السير — . (٧) الذلل : المنقادة .

نُسْخوا بأعمــارنا ونبخــل بالـ ـمال فتَبًّ السخاءُ والبَخَــلُ

ونبتغى البرءَ عند من يُسرِع الـ ـسُّـ ـقمُ اليــه وتَصرَع العِلــلُ

أضاع راقى الداءِ العضــالِ كما ضُيِّــع فى سمــع عاشقٍ عذَلُ؟!

ولو نجــا الهائبُ الجبانُ من الـ ـحتف تحامَى إقدامَه البطلُ

ما أسلموا هذه النفوسَ إلى الـ ـأجداث إلا إذ ضاقت الحِيَلُ

ضرورةٌ ذلّت القُـــرومُ(١) لهــا وقد تقودُ المَصاعبَ(٢) الجُــدُلُ(٣)

وخفَّف الخطبَ بعــد شدّته أنْ كُلُّ حىّ لأمّه الهَبَــلُ(٤)

ومن حِذارٍ تبــوّأ الكُدْيةَ(٥) الـ ـضَّـ ـبُّ وأوفَى فى الشاهقِ(٦) الوَعِلُ(٧)

لا الجوّ يُنجِى الشغواءَ(٨) حائمــةً ولا سبوحٌ فى لُجّــةٍ يئِــلُ(٩)

يُقتــادُ فى عزِّه الخُبَعْثِنةُ(١٠) الـ ـضَّـ ـارى ويُدهَى فى ذلّه الجُعَــلُ(١١)

والحافظو عَورةِ العشــيرة للـ ـدّ هر إذا شنّ غارةً عُزُلُ(١٢)

أىّ ديارٍ تُحمَى وقــد راع ''تا جَ الدِّين'' خطبٌ أنيابُه عُصُلُ(١٣)

---

(١) قروم : جمع قرم وهو الفحل العظيم من الإبل . (٢) مصاعب : جمع مصعب وهو الفحل لا يركب لكرامته . (٣) جدل : جمع جديل وهو الزمام المجدول من أدم . (٤) الهبل : الثكل .

(٥) الكدية : الأرض الغليظة يحفرها الضب ليتخذها جحرا . (٦) الشاهق : الجبل العالى .

(٧) الوعل : تيس الجبل . (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل ''الشعواء'' وهو تصحيف .

(٩) يئل : ينجو . (١٠) الخبعثنة : الأسد . (١١) الجعل : ضرب من الخنافس . (١٢) عزل : جمع أعزل وهو من لا سلاح معه ، وفى الأصل ''عذل'' وهو تحريف.

(١٣) عصل : عوج ، واحدها : أعصل .

مستلبا من يديه لؤلؤةَ الـ ـغوّاص أدنَى أصدافِها الكَلَلُ (١)

ما كان يُدرَى من قبلِ ماغربتْ أنَّ الثريّا إلى الثرى تصـــلُ

يابؤس للنــائبات كيفَ أرت أُخوةَ الفرقـــدَيْنِ تنفصـــلُ

و إن عجِبنا منها فـــلا عجبٌ للشمسِ وارَى جبينَها الطَّفَلُ (٢)

لم يرتدِ المجــدُ إذ أصيبَ بها ولا مشى العزُّ وهو منتعــلُ

سليـــلةٌ من ســوابقٍ درَجوا أمامهــا فأستخفَّها العجَـــلُ

من الخــدورِ التى بها آحتجبوا إلى القبـــور التى بها نزلـــوا

تُنحـــرُ فى "مكّة" العِشارُ ولا (٣) تُنحـــرُ إلا عليهـــم المُقَـــلُ

مهلا فما يربح الحزينُ ولا يخسرُ إلا غنــاءَه الجَـــذِلُ (٤)

وهل يردُّ الأحبابَ إن رحلوا على محبٍّ أن يُندَب الطَّلَلُ ؟

حُوشيتَ من جلسةِ العزاءِ وأن يُضربَ فى أســوةٍ لك المثَلُ

كم قــد هوَى من سمائكم قمرٌ وغار فى الأرضِ منكمُ جبــلُ

فما سكبتم له ذَنوبا من الـ (٥) ـدمع ونارُ الأحزانِ تشتعلُ

ودّعتُموه كأنكم شُمُتُ أو العِـــدَى عنكمُ قد آرتحلوا

إذا مَراثى أحبابكم تُليتْ سمعتموها كأنها غزَلُ

---

(١) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٢) الطفل : حمرة الأفق قبل غروب الشمس .

(٣) العشار : الإبل التى مر على حملها عشرة أشهر ؛ واحدها عشراء . — مثـل نفساء ونفاس ولا ثالث لهما — . (٤) الجذل : المسرور . (٥) الذنوب : الدلو .

فليس ندرى من صخرةٍ نُحتتْ ... قلوبكم أم دموعكم وَشَلُ؟(١)

وأنتمُ هَجْمَــةُ(٢) تقــاربتِ الـ ... ـأســنانُ فيها فكلُّها بُزُلُ(٣)

فظاعنٌ(٤) عنكُمُ له خَلَفٌ ... وذاهبٌ منكُمُ له بدلُ

للدهرِ نُعمى ومنَّــةٌ ويدٌ ... ما قام فى النــاس منكُمُ رجلُ

وقال يمدح عفيفا القائمىّ :

لأىِّ مَرمًى تَزجُرُ الأيانِقــا(٥) ... إن جاوزتْ «نجدا» فلستَ عاشقا

وإنما كان بكائى حاديا ... ركْبَ الغرام وزفيرى ســائقا

مذ ظعَــنوا(٦) علمتُ أنى منهمُ ... أشــيمُ فى أعلى السحابِ بارقا

أيا غرابا قــد نعقتَ بهِــمُ ... فكن على آثــارهم بى ناعقــا

ســائلْ شمُوســا ضربتْ حُولهــا ... من شُــقّة البيــن لهــا سُرادقا

لِمْ جَعَلتْ أعيننــا مَغــاربا ... وآتخــذت خُدورَهــا مَشــارقا

وكيفَ لاتحرُسهــا خيــامُها ... وكل طَرفٍ قد أتاها ســارقا

قُلّدتِ الدرَّ فمــا شككتُ أن ... قــد نُظِمتْ ثغــورُهــا مَخانِقــا(٧)

واستهدت الخصــورُ من بَنانها ... خــواتمــا تلبسهــا مَناطقــا

رميتم القلبَ وظنِّى أنكم ... تُخطون إذ ترمون شيئــا خافقــا

---

(١) الوشل : المــاء القليل فى مستنقع . (٢) الهجمة : القطيع من الإبل دون المــائة .

(٣) البزل : الإبل المسنة ، واحدها بازل . (٤) الظاعن : الراحل ، وفى الأصل «فظاعن» وهو تصحيف .

(٥) الأيانق : جمع ناقة . (٦) ظعنو : رحلوا . (٧) المخنقة : القلادة .

فلم يكن أوّلَ ظنٍّ كاذبٍ، من يدفعُ الأمرَ أتى موافِقـا؟!

جراحةُ الأنصلِ (١) إنْ سـبرتها (٢) تشهدُ أن السهمَ كان مارقا

آحبِس دمعى فينِـدُّ شاردا كأنّنى أضبِطُ عبـداً آبقـا (٣)

ومن مُحاشـاةِ الرقيبِ خلَّتى يومَ الرحيـل فى الهوى مُنـافقا

كم لىَ فى الظَّلمـاء من وقائعٍ أسرتُ فيهنّ الخيـالَ الطـارقا

لمـا أتانى فى عجـاجةِ (٤) الدُّجَى مارسَ منّى فارسـا مُعـانقا

ما آستوقفتنى الدارُ عن طِـلابهم وإن جلَتْ للعين مَرأًى رائقـا

إذا رأيتَ القطرَ يُحيى عُشبَهـا أبصرتَ مخـلوقا بهـا وخالقـا

يُنبِتُ فى هـامِ الربى ذوائبـا يُضحى لها خدُّ المَصيفِ حالقا

فآشـتملت تِلاعُهـا (٥) رَفارفا (٦) وأتزرتْ أهضابُهـا نَمارقا (٧)

وغنّت الحمـامُ فى عيـدانِهـا تحسَبُ فى أفنانِهـا «مُخارقا» (٨)

وهبَّ نجـدىُّ الصَّبـا تحسَـبهُ فارةَ (٩) مِسـكٍ فى ثراها فاتِقـا

فما رأيتُ الركـبَ إلا لامسًـا أو ناظرا أو سامعـا أو ناشـقا

بُعدًا لدهرٍ إن قَرَى أضيافَه سـقاهمُ ماءَ الأمانى ماذِقـا (١٠)

---

(١) الأنصل : جمع نصـل وهو حديدة السهم . (٢) سـبرتها : خبرت غورها .
(٣) الآبق : الهارب . (٤) العجاجة : الدخان والغبار ، — والمراد بها الظلمة — .
(٥) تلاع : جمع تلعة وهى ما آرتفع عن الأرض . (٦) الرفرف : ثياب خضر — وهى مجاز — .
(٧) نمارق : جمع نمرقة وهى وسادة يتكأ عليها . (٨) مخارق : مغن مشهور . (٩) فارة المسك : وعاء المسك — ويسمى النافجة أيضا — . (١٠) الماذق : المشوب المخلوط .

قد كسَد الفضلُ به فما ترى … في ســوقه للفضل عِلْقا(١) نافقا

ومعجزٌ أنّ لسانى ناطق … عند زمانٍ أخرسَ الشَّقاشِقا(٢)

أكثرُ من تَخبُرُه من أهلِه … يَظهر فى دينِ الوداد فاسقا

غدرٌ يغطِّى الذئبُ منه وجهَهُ … ويُخجِلُ الخِلَّ الودودَ الواثقا

معاشرٌ قد حفَر اللؤمُ على … حريم أموالِهمُ خنَادقا

سيّان إن عُرِضتُ(٣) طِرْفا صاهلا … عليهمُ أو عُدتُ عيرا(٤) ناهقا

طلبتُ منهم بَيْعةً على [يدى](٥) … فلم أجدْ منهم لكفِّى صافقا

إلا «جمال الدولة» المعطى الندى … على انتهابِ رِفده مَواثقا

لو أمسكتْ بنانُه معروفَه … لأصبحتْ من كفِّه طَوالقا

من حسَدٍ ظَلَّ الغمامُ باكيا … بقَطرِه وبالرعود شاهقا

لقّنَهُ الطبعُ الكريمُ صُحُفا … من مذهب الجودِ فجاء حاذقا

ماإن رأينا قبلَه ولا نرى … من بعدِه وعدَ الأمانى صادقا

إن تُلقَحِ الآمالُ من ميعادِه … فعن قليل ستراها فارقا(٦)

مكارمٌ تُسكِنه فى جَنّةٍ … قد غرَس الشكرُ بها حدائقا

---

(١) العلق : الشىء النفيس . (٢) الشقشقة : لهاة البعير . (٣) فى الأصل «أعرضت» . والطارف : الجواد . (٤) العير : الحمار . (٥) ليست فى الأصل ، ولعلها أقرب الى ما يتطلبه الصواب . (٦) الفارق : من الدواب التى أخذها المخاض فندت فى الأرض أو هى الناقة التى تفارق إلفها فتنتج وحدها .

من عاش كان ناطقا بحمده ومن توى (١) أودعه المهارقا (٢)

إن قلتَ : ما أحسنَه شمائلا قلتَ : وما أكرمَــه خلائقــا

مُكرَّرٌ للمكرمات قائــلا (٣) بكأسها وصابحا (٤) وغابقا (٥)

لا يحسُن المديحُ عنــد غــيره ولا تراه بســواه لائقــا

جــدّد فى سُبْــل المعالى طُرُقا وزاد فى حدِّ النــدَى طرائقــا

يوماه إما لطِــرادٍ يَصطفِى الر جالَ والســلاحَ والســوابقا (٦) ،

أو طَرَدٍ (٧) جمّــعَ من أداته (٨) الـ ـفهودَ والكلابَ والسوذقا (٩)

فتــارةً يصرَعهــم فوارسا وتارةً يصــيدها خَــرانقا (١٠)

لــو لم تكن تُطــربُه الحربُ لمَــا كان لسربال العَجاج (١١) خارقا

لولاه ما كان السّنانُ طاعنــا يوم الوغى ولا الحســامُ فالقــا

إذا الكماةُ لبســوا دروعَهــم أقاحيا (١٢) أعادها شــقائقــا (١٣)

لو هَزّ فى يمينــه مخاصــرا (١٤) أرســلها بيأســه صــواعقا

---

(١) توى : مات . (٢) المهارق : الصحف البيضاء يكتب فيها ، واحدها : مهرق — بضم فسكون ففتح — فارسى معرّب . (٣) القائل : الشارب فى نصف النهار أى فى قائلته . (٤) الصابح : الشارب صباحا . (٥) الغابق : الشارب عشية . (٦) السوابق : الخيــل . (٧) الطرد : الصيد . (٨) فى الأصل «اذاية» وهو تصحيف . (٩) السوذق : الصقر ، وقيــل : الشاهين . (١٠) الخرنق : — بكسر الخاء — . الفتى من الأرانب . (١١) العجاج : غبار الحرب . (١٢) الأقحوان وجمعه أقاح : نبات أبيض . (١٣) الشقائق : نبات أحمر . (١٤) المخصرة : عصا صغيرة يأخذها الملك فى يده .

لا يقتنى إلا حساما جاهــلا ولا يُعِــدُّ الرمحَ إلا مائقـا (١)

إن شئتَ أن تعـلم ما فِعلاهمـا فآستخبر الضـلوعَ والمَفـارقا (٢)

ليس يبـالى بالأعادى بعـد ما يَعُــدُّ ذؤبانَ (٣) الفلا أصادقا (٤)

إن أَعضــلَ الأمرُ فنـاطوهُ به كان المصـلِّى (٥) والنجاحُ السابقـا

لذا ارتقى عنــد الإمام ذِروةً وحلَّ من رأىِ المليـك شاهقـا

لاحطَّتِ الأيّام عنــك رتبــةً ولا أراك الدهرَ إلا سابقـا

تدوم مادام الزمانُ آمرا أو ناهيـا وفاتقـا وراتقـا

* * *

وقال فى بعض الأغراض :

رأيت الحُبَّ ليس يُنـال إلا بحــظٍّ من جَمَـالٍ أو نوالِ

وأنت من القباحةِ ذو نصيب حقيــق بالتصارم والتقـالى (٦)

وما سترتْ عيوبَك عن عيونٍ بَصيراتٍ يداك ببــذلِ مالِ

فأيّة خَــلّةٍ غرّتك حــتى خطبتَ بهـا مَودّاتِ الرجالِ

---

(١) المـائق : الأحمق الغبى . (٢) مفارق : جمع مفرق — كمجلس ومقعد — وسط الرأس . (٣) ذؤبان : جمع ذئب . (٤) أصادق : جمع صديق . (٥) المصلى : الجواد الثانى فى الحلبة ، والأول : المجلى وهو السابق . (٦) التصارم : التقاطع ، والتقالى : البغض .

***

وقال فى مثله :

أثَرَوْا فما علِم آمرؤٌ إثراءَهم ... فلو آملقوا لم يعلم الإملاقُ

سيّانِ إثراءُ اللئيم وعُدمُه ... إن الدراهمَ عَرفُها الإنفاقُ

***

وقال فى الخمر :

وسلافةٍ بُزلت فأبرزَ دَنُّها (١) ... ذهبًا يُرصَّعُ عَسجدا إبريزا (٢)

خَبَرَ النَّدامى فعلَها فإذا بِهِ ... كالمال يرجِعُ بالذليل عزيزا

فتناهبوها غيرَ شكّ إنهم ... وجدوا بها مِلءَ الدِّنان كنوزا

***

وقال فى الغزل :

بدا ضاحكا لا لأحظَى بما ... تُسَرُّ به النفسُ مِن بِشره

ولكن رأى وجهَه مقمرا ... فأبدَى كواكبَ من ثغره

***

وقال فى مثله :

أضدّانِ فى جسدٍ واحدٍ ... مقيمان قد جعلاه قَرارا

دموعٌ من العين فيّاضةٌ ... ووَقدٌ من القلبِ يَرمِى شَرارا

كأنّى من السُّحُبِ الساريا ... تِ يَحمِلنَ فيهنَّ ماءً ونارا

---

(١) الدن : إناء كبير توضع فيه الخمر كالراقود، وجمعه : دنان . (٢) العسجد الإبريز : الجوهر الخالص — كالدر والياقوت — .

⁂

وقال لبعض الرؤساء :

شُـــدُّوا على ظهر الصِّبا رَحلى إن الشبابَ مطيَّـــةُ الجهلِ

إن أُحرِزتْ نفسى إلى أمدٍ دبَّرتُهـا فى الشَّيبِ بالعقـــلِ

إن المغـــرَّبَ فى مواطنـــه من عاش فى الدنيـا بلا خِلِّ

وإذا الفـؤاد ثوى بلا وطرٍ فكأنه ربعٌ بلا أهـــلِ

من للظباء ســـواى يقنِصُها إنْ أسكرتنى خمرةُ العـــذلِ؟

أوغلتُ فى خوض الهوى أنَفًا للقلب أن يبـــقَ بلا شُـغلِ

وحذِرتُ سُـــلوانا فسُمتُهُمُ أن يحـرِمونى لذّةَ الوصـــلِ

فضلَتْ دموعى عن مدَى حزَنى فبكيتُ مَن قتَـل الهوى قبلى

ما مرّ ذو شجنٍ يكتّمـــه إلا أقـــول : متيمٌ مثـــلى

يُخفى — ولا يَخفَى على نظرى — عَـــلَمَ الخضوع وميسَمَ الذلِّ

يا فاتكا أضـــراه (١) أنَّ له قتْـــلَى بلا قَوَدٍ (٢) ولا عَقْـــلٍ (٣)،

لِمَ لا تُرِيقُ دمًا وصاحبُـــه لك جاعلٌ فى أوسعِ الحِـــلِّ؟

بُعـــدًا لغزلان الخدور لقـــد كُحِلَتْ محاجرُهنَّ بالخَتْـــلِ (٤)

يرمين فى ليـــلِ الشبابِ لكى تَخْـــفَى علىَّ مواقعُ النبـــلِ

(١) أضراه : أغراه . (٢) القود : القصاص . (٣) العقل : الدية .
(٤) الختل : الخداع .

او لم يُرِدْ بى الســـوءَ خالقُها ما ضمّ بين الحسن والبخلِ

اِقذف عدوَّك، إن أردتَ به دهياءَ، بين الأعين النُّجلِ

يبلُغنَ كلَّ العُنفِ فى لَطَفٍ وينَلنَ أقصى الجِـــدِّ بالهزلِ

هبْهم لَوَوْا وعـدى، فطيفُهمُ من ذا يجسِّره عـــلى مطـــلِ؟

قـــد كدتُ أُنهِكهُ معاقَبـــةً لولا ٱدّكارى حُرمةَ الرُّسْـــلِ

وعهودُكم "بالرَّمل" قد نُقضتْ وكذاك من يبـــنى على الرملِ

إن ازمعوا صرما فلِمْ عقَـــدوا يومَ "الكثيب" بحبلهم حبلى؟

لا يوثِق الأُســـراءَ بينهُـــمُ إلا رِشاءُ[1] الفـاحِمِ[2] الرَّجْـــلِ

كيف الخلاصُ ومن قدودهِمُ وخدودهم ونهـودهم عقـــلى[3]

وإذا الهوى ربَط النفوسَ فما يُغنيـــك حَلُّ يدٍ ولا رِجْـــلِ

صحبي الأُلى أزجَـوْا مطيَّهُمُ حتى أناخوها "بذى الأَثْلِ"

من يطَّلِـعْ شَرَفا فيعلمَ لى هـــل روَّح الرُّعيـانُ بالإبِلِ؟

أم قعقعتْ عَمَدُ الخيام أم ٱر تفعَتْ قِبـابهُمُ[4] عـــلى البُزْلِ[5]؟

أم غرَّد الحـادى بقافيـــةٍ منها غرابُ البين يستملى؟

إنى أحاذر من رحيلهـــمُ ما حاذَرتْ أُمٌّ من الثُّكلِ

(١) الرشاء — فى الأصل — : حبل الدلو — والمراد به هنا الغدائر — . (٢) الفاحم الرجل : الشعر الأسود الكثيف . (٣) العقل : الربط . (٤) فى الأصل « قيامهم » وهو تحريف . (٥) البزل : الإبل المسنة، واحدها بازل .

إن كان ذاك ، فصادَفوا لقَمًا[1] يعمَى الدليـــلُ به عن السُّبْلِ
رفقا فلست أُطيق أحمـلُ ما حَمّلَ "الأجلُّ" لنـا من الثِّقلِ
وهو الذى كلٌّ يُقـرّ لـه يومَ الفخار عليــهِ بالفضلِ
أَغلتْ مكارمُه المهـــورَ على تزويج بكرِ القــول بالفعـلِ
وحبـا العفـاةَ وهم بدارهمُ حـــتى دَعَوه جامعَ الشمـلِ
يعطيـكَ فى عُسُر وفى يُسُرِ ويُنيــل من كُثْرٍ ومن قُـــلِّ
مثل السـحابةِ ما تُغبُّك فى الـ حالاتِ من وبل ومن طـلِّ
فكأنما أوحَى إلى يده أن تقتـلَ الإملاقَ بالبـــذلِ
شجـر من المعـــروف أنبتهـا تختال فى ثمـــر وفى ظـــلِّ
ومناهـــلٌ إن يرضَ واردها بالنَّهـل[2] يجـبُرْهُ على العَـــلِّ
ظنًّا بأن الفـــرضَ ليس له حمــدٌ وأن الشكـرَ للنَّفلِ[3]
لعـــدوّه ما للصـــديق به والغيثُ رزقُ الحَزْنِ[4] والسهلِ
وإذا السماء غدت كأنَّ على أبوابها قُفْـــلا من المحْـــلِ،
وجدوا الغمامَ قلائصا[5] غَرِضتْ[6] بالسير من جهـد ومن هُزْلِ[7]

(١) اللقم : معظم الطـريق .
(٢) النهـل : أول الشرب ، والعـل : ثانيه .
(٣) النفل : ما يفعل مما لم يجب فعله .
(٤) الحزن : الوعر من الأرض ضد السهل .
(٥) قلائص : جمع قلوص وهى الشابة من الإبل .
(٦) غرضت : ضجرت وملت .
(٧) الهزل : الضمور .

وَاستحسن الكرماءُ من سَغبٍ (١) أن يبعثوا بذخائر النمل

فى شَتــوةٍ شمطاءَ عانسةٍ عزَّ الرَّضاعُ بها على الطفل،

بكرت انامله بغادية (٢) تكسو البلادَ ملاحفَ البقْلِ

وكأنما الأنواءُ حائلةٌ (٣) عجفاءُ (٤) تزعُ (٥) حالبَ الرِّسْلِ (٦)

بلغَ المدى ، والتابعون له متعثرون بزلّة النعل

لوقلّد الشجعانُ عزمتَه لغَنوا عن الهندىِّ ذى الصقل

حُنيتْ أضالعُه على هممٍ مخلوقة للعقد والحلِّ

لا يدّعِى إقدامَه أحدٌ وإن ادّعاه فوالدُ الشِّبلِ

ما يذعَرُ الخصماءَ من فُطُمٍ (٧) ترميهمُ بشقاشقٍ (٨) تغلى؟!

أبدا يفرُّ صريعُ منطقه منه إلى الخطّىِّ (٩) والنَّصلِ (١٠)

يرنو الزمانُ إلى معانده حنقًا عليه بأعينٍ قُبْلِ (١١)

فى كفّه صمَّاءُ (١٢) ضامرةٌ سرَقتْ شمائلَها من الصِّلِّ (١٣)

---

(١) السغب : الجوع . (٢) الغادية : السحابة تمر فى الغدوة . (٣) الحائلة : التى لم تحمل . (٤) العجفاء : المهزولة غير السمينة . (٥) تزع : تدفع . (٦) الرسل : اللبن . (٧) فطم : جمع فطيم وهو ما فصل عن الرضاع . (٨) شقاشق : جمع شقشقة وهى لهاة البعير يهدر بها . (٩) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى بلدة تباع فيها الرماح ولا تنبت بها — يقال : رماح خطية — على الوصف ، ورماح الخط — على الإضافة — . (١٠) النصل : السيف . (١١) قبل : جمع قبلاء وهى العين التى أقبل سوادها على الأخرى . (١٢) الصماء : الحية ، — والمراد بها هنا القلم على التشبيه — . (١٣) الصل : الثعبان .

سمُّ الأساودِ[1] فى نواجذها[2] وإن اغتذت بمُجاجةِ النحلِ

ما حُكِّمتْ فى أمرِ مُشكلةٍ إلا أتت بقضيَّةٍ فَصلِ

من مثلُه لقراع نائبةٍ فيها فراق العِرْس للبَعلِ!

هيهات أن تلقَى مشابَهه ؛ أمُّ الصقورِ قليلةُ النسلِ

* * *

وقال وكتب بها الى الشريف أبى جعفر بن البَيَاضىّ[3] يداعبه :

مرضٌ بقلبك ما يعادُ وقتيلُ حب لا يقادُ[4]

يا آخر العشّاق، ما أبصرتَ أوَّلَهم يذاد؟[5]

يقضِى المتيَّم منهمُ نحبا ولو رُدُّوا لعادوا

ملكوا النفوسَ فهل لنا من بعدها ما يستزادُ

أبدا جناياتُ العيو ن بحَرِّها يَصلَى الفؤادُ

ماخلتُ غِزلان "اللِّوى" كظباء "مكَّةَ" لا تصادُ

يقظان تَنصلُ[6] أحبُلى عنها ويقنصها الرقادُ

بالعذلِ تُوقَد لوعتى وبقَدحِه يُورَى الزِّنادُ

لم يستطعْ إطفاءَها دمعٌ كما انخرقَ المَزادُ[7]

---

(١) أساود : جمع أسود وهو الثعبان . (٢) النواجذ : الأنياب . (٣) نسبة الى « بياضة » بطن من الأنصار، أو نسبة الى جماعة نسبوا الى لبس الثياب البيض ببغداد .
(٤) لا يقاد : لا يدفع قوده وهو الدية . (٥) يذاد : يدفع . (٦) تنصل : تنفصل .
(٧) المزاد : وعاء يوضع فيه الزاد .

لا تنكرا جُرحى فللـ ... ـعذّال ألسنةٌ حِدادُ

طمعٌ وأنتَ "برامةٍ" ... فيمن تضمّنه النِّجادُ؟ (١)

والحيّ قد هبطَتْ خيا ... مُهُمُ وقعقعت العمادُ

والوَردُ من زَهرِ الخدو ... د كِمامهُ (٢) الكِلَلُ (٣) الوِرادُ (٤)

لو يسمحون بوقفةٍ ... أبَت المطايا والجيادُ

ظعنوا بأقمارٍ عليـ ... ـها تُحسدُ الكومُ (٥) الجِلادُ

ولأجلها غَبطَ الغَبيـ ... ـطَ (٦) حجابُ قلبي والسوادُ

فيقول : أيّ الحالتيـ ... ـن أشدُّ، هجرٌ أم بعادُ؟

تعفو المنازلُ إن نأَوا ... عنها وتغبرُّ البلادُ

والحيُّ أولَى بالبِلى ... شوقاً إذا بَلِيَ الجمادُ

ما ضرَّهم، والحسنُ لا ... يبقى، لو امتنُّوا وجادوا!

أتُرى حرامٌ أن يُرَى ... فى الناس معشوقٌ جوادُ؟!

لعبٌ مفاتيحُ الهوى ... والحرب أوّلُها طِرادُ

أوَ ما رأيت فتى "قريـ ... ـش" وهو للجُلَّى عَتادُ،

وله المعانى المستدقّةُ والكلامُ المستفادُ،

---

(١) النجاد : حمالة السيف . (٢) الكمام : جمع كم وهو ما يغطى الزهر من الورق الأخضر . (٣) كلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق . (٤) الوراد : الحمر كالورد . (٥) كوم : جمع كوماء وهى الناقة الضخمة السنام . (٦) الغبيط : الرحل يشد عليه الهودج .

وأَصالةٌ في الرأى بالـ ـسِّحر المـوشَّى لا تُكادُ،

وشـواردٌ فى القـول قد قُرِنتْ بها السَّبعُ الشِّدادُ،

"كالهرقليَّاتِ"(١) النـوا صعِ ليس ينفيها انتقادُ،

فكأنه "قُسٌّ"(٢) "وها شمُ"(٣) حولَ منطقهِ "إيادُ"،:

كيف ارتقى زَهرَ الصبا بةِ، والغـرامُ له قيادُ

بعـد التخيُّـل والمِـرا ح ونَى وذلَّلـهُ القيادُ

نشوانَ لا فى عطفـه بطرٌ(٤) ولا فى الرأس صادُ(٥)

فبـه فلانٌ أو فـلا نٌ لا "سُلَيمى" أو "سعادُ"

يرضَى بطيفٍ قال : مو عدُنا الحشيَّةُ(٦) والوِسادُ

وتُحَلُّ عُقـدةُ نُسكهِ بالشىء لفّفـه البِجادُ(٧)

يا مُصعَبًا(٨) جـزته فى أرسانها(٩) اللِّمُ(١٠) الجِعادُ(١١)

واستهدفته رواشـقُ الـ ـلحظات مثنَى أو أُحادَ

---

(١) الهرقليات : النقود المسكوكة باسم هرقل — بفتح الراء وسكون القاف — وسكنت هنا الراء وفتحت القاف لضرورة الوزن. (٢) يشير الشاعر الى قس بن ساعدة الإيادى وهو من أفصح العرب. (٣) يشير الى بنى هاشم بن عبد مناف القرشى جد أسرة الممدوح. (٤) بالأصل : نظر وهو تصحيف، والبطر الاستخفاف، يقال : جر إزاره بطرا. (٥) الصاد : التكبر. (٦) الحشية : الفراش المحشو. (٧) البجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب يشتملون به، وفى الأصل "النجاد" وهو تصحيف. (٨) المصعب : الفحل لا يركب لكرامته. (٩) أرسان : جمع رسن وهو الحبل تقاد به الدابة. (١٠) لمم : جمع لمة وهو الشعر المجاوز شحمة الأذن. (١١) جعاد : جمع جعد وهو الشعر الذى فيه التواء وتقبض.

واستعطفته روادفٌ | كُثبانها[1] نِعمَ المِهادُ
ولَمَى رضابُ النحل يشهد | أنّ ريقته شِهادُ[2]
ولربما خار الجليدُ | وغُلِّطَ الرأىُ المرادُ
قد كان قبلك فى سبيل | الحبّ لى أبدا جِهادُ
حتى خبا ذاك الضرام، | وغاية النار الرَّمادُ
وإذا رأيتَ الكون فاعلمْ | أن سيتبعهُ الفسادُ
واعجب لقومٍ فى الزمان | على السفاهة كيف سادوا!!
لا عندهم كَلِمٌ تغرُّ | ولا نُضارٌ يستفادُ
أستغفر الله العلىَّ | لقد تذأّبت[3] النِّقادُ[4]

⁂

وكتب إليه أيضا وقد عتب عليه بسبب أبيات كانت فى هذه القصيدة فأسقطها:

عَتَب الشريفُ لأن نشرتُ محاسنا | مرموقةً من خُلقه وجلاله
وزعمتُ حقّا أنّ بدرَ جماله | زانت مطالعَه نجومُ خصاله
بمحاسنٍ لو كان يمكن صوغُها | أغنت غزال الإنس عن خَلخاله

---

(١) كثبان: جمع كثيب وهو تل الرمل؛ — ويشبه الردف به —. (٢) شهاد: جمع شهد وهو عسل النحل. (٣) تذأبت: صارت كالذئاب. (٤) النقاد: صغار الغنم.

صفة الهلال بدا أوانَ طلوعه ... أن لا يشعِّثَه زمانُ كماله

فضلُ الملاحةِ عند كلِّ مصوِّرٍ ... فى الناس ليس إليه نقضُ مثاله

عتبٌ لعمرُك ليس يَعتِب مثلَه ... إلا حبيبٌ شاءَ(1) قطعَ حباله

فآمسح جفونَك عن عقابيلِ(2) الكرى ... وآنظر وصلِّ على النبيّ وآله

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبى سعد بن المطّلب فى غرض :

أىُّ لبيبٍ بِكِ لم يُخدَعِ ... وأىُّ عينٍ فيك لم تدمَعِ؟!

لا أمدح اليأسَ ولكنه ... أرْوَحُ للنفس من المطمعِ

أفلحَ من أبصرَ عُشْبَ المنَى ... يُرعَى فلم يَرْعَ ولم يرتَعِ

يا ليتَ أنِّى قبلَ وَقْرِ(3) الهوى ... أذِنتُ للعذل على مسمعى

هل ما مضَى من عيشةٍ راجعٌ؟ ... وأُخلُفُ كلُّ الخلفِ فى المرجعِ!

أين بدورٌ من بنى "دارمٍ" ... تبخل أن تُسفر فى مطلعِ

لا فى سَرارِ(4) الشهر تبدو لنا ... ولا ليالى العشرِ والأربعِ

لو لم تكن أعينُهم أسهما ... ما خرقَت فى جانب البرقعِ

كيف تخطَّين إلى مقتلى ... وما درَى تُرسى ولا أدرعى

---

(1) فى الأصل "ساء" وهو تصحيف . (2) العقابيل : البقايا ، — كعقابيل المرض والعشق وغيرهما — . (3) الوقر : الصمم . (4) السرار : — بالفتح والكسر — آخر ليلة فى الشهر .

أودعتهــم قلبي وما خلتهــم يستحسنون الغــدر بالمودع
صـار بأيديهـم وحاكمتهـم فالحــق حق وأنا المــدعى
لـو زارنى طيفهــم ما درى من الضــنا أنى فى مضجعى
أقول للركبان قد أزمعـوا حجا إلى الأطـلال والأربــع :
لبوا بذكرى فى "عقيق الحمى" وذلك المصــطاف والمــربع
وأخـبروا عنى بمـا شـئتم فإنه دون الجـوى الموجـع
درت عـلى مرعاهم ديمــة (١) تحنـو على أطفـاله الرضـع
غــراء لو ينبت شـعر بهـا لأنبتت فى جبهـة الأقــرع
كل سحاب أمطرت أرضهم حامـلة للمـاء من أدمعى
وكل ريح أزعجت تــربهم فإنهـا الزفـرة من أضلعى
أتشـفع الخمسون لى عندهم ؟ هيهـات والعشرون لم تشفع ! !
إن أمطرت عيناى سحبا فعن بـوارق فى مفــرق (٢) لمـــع
تريد عمــرا وشـــبابا معـا أشـــياء (٣) للإنسان لم تجمـــع
ســيان عند الغانيات اكتسى رأس الفــتى بشيبه أم نعى ! !
يصــبغ رأس الدهر من ليله وصـبحه بالجـون (٤) والأسفع

(١) الديمة : المطرة الدائمة . (٢) مفرق — كمجلس ومقعد — : وسط الرأس حيث يفرق الشــعر ، والبوارق اللمع : كناية عن الشيب . (٣) كذا فى مختارات البارودى وفى الأصـل شيئان . (٤) الجون : الأبيض ، والأسفع : الأسود .

نوائبٌ أضـعافُ عدَّ الحصى ... تجمعُ بينَ الضَّبِّ والضِّفْدَعِ

تصـــطلمُ[1] العفراءَ[2] فى قفـرها ... وتفجأ العـــذراءَ فى المخدَعِ

كم مرَّ بى من صَرفه حاصبٌ[3] ... لو مرَّ بالـوَرقاء لم تســجعِ

رفعتُ من أمواجه منكبى ... حيث يشير الجون[4] بالإصبعِ

من لم يخُض غمرتَهـا لم يشِدْ ... قـــواعدَ المجـــد ولم يرفَـعِ

دون المعـالى مرتـقًى شاهق ... فطـــرْ إلى ذِروته أو قَبـــعِ

قل للصعاليك: أرى دينَـكم ... ديني ودِينَ الأسَـــد الأفدعِ[5]

إمّا قَـــرَى[6] بُرثُنــه نابَـــهُ ... أوماتَ طَيَّانَ[7] ولم يَصرَعِ

متى أراكم كذئاب "الغضا" ... شممنَ ريحَ المَعـــزِ الرُّتَّـــعِ

فى فتيــةٍ أكثرُ تهـويمهم ... إســناد هاماتٍ إلى أذرُعِ

إن عرَّسـوا[8] لم يعقِلوا إبْلَهم ... إلا بوفـراتٍ[9] مع الأنسُعِ[10]

مثـل نجوم الليل يُهدَى بهـم ... من ضــلَّ فى الدَّيمومةِ البلقعِ[11]

---

(١) تصطلم : تستأصل . (٢) العفراء : الظبية البيضاء . (٣) الحاصب : الريح تثير الحصباء وتحملها . (٤) الجون : الأسود — وهو من الأضداد — ويريد به الليل؛ ويحتمل أن يكون محرفا عن " الجو "، والمراد بالإصبع الهلال . (٥) الأفدع : الذى أعوج رسغ يده أو رجله . (٦) قـرى : أطعم؛ والبرثن : — من السباع — بمنزلة الإصبع من الإنسان .

(٧) الطيان : الجائع . (٨) عرسوا : نزلوا آخر الليل، وفى الأصل «غرسوا» وهو تصحيف .

(٩) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس . (١٠) الأنسع : جمع نسع وهو الحبل من أدم .

(١١) الديمومة البلقع : المفازة القفر .

يَخضِبُ أيديهم نجيعِ الطُّلَى[1] إن خضَبَ الأقوامُ بالأَيدعِ[2]

قلتُ وهم من نَشَواتِ الكرى مــوائلٌ كالسُّــجَّد الرُّكَّعِ :

حُثُّوا مطاياكم فكم غاية قد بُلِغَتْ بالأينق الظُّلَّعِ[3]

وآدعوا " أبا سعدٍ " يساعِدْكُمُ مثلَ سنانِ الأسمرِ[4] المشرَعِ

باعٌ طويلٌ ويدٌ طَلقةٌ ومنطق يختال فى المجمعِ

إذا آرتقتْ أقلامُه كفَّه تهزَّأت بالخاطبِ المِصقَعِ

غُدرانهُ بالفضل مملوءةٌ متى يَرِدْها حائمٌ ينقَعِ

يكشِفُ منه الفَرُّ[5] عن قارحٍ[6] قد أحرز السبق ولم يُخدَعِ

ليس جمالُ المرءِ فى بُردِه ، جمالُهُ فى الحَسَب الأرفعِ

يشير إيماءً إليه الورى إن قيل : منَ يُعرَفُ بالأروَعِ ؟ !

يريك ما ضمَّت جلابيبُه محاسنَ العالَمِ فى موضعِ

يُوكَسُ من لا أدبٌ عنده وكْسَ الدنانيرِ ولم تُطبَعِ

أيا أخى ، والودّ أرحامُه إن تُقطَعِ الأرحامُ لم تُقطَعِ ،

ما بيننا من أدبٍ جامع أقربُ من والدةٍ مُرضِعِ

---

(١) الطلى : الأعناق ، واحدها : طلية .
(٢) الأيدع : الزعفران .
(٣) الظلع : جمع ظالع وهو الذى به غمز يشبه العرج .
(٤) الأسمر : الرمح .
(٥) الفر : الكشف عن أسنان الفرس وغيره لتعرف سنه .
(٦) القارح — من الخيل — بمنزلة البازل من الإبل .

لُبانةٌ لى هى إن تقضها ... صنيعةٌ فى موضع المصنع

ورائدٌ مثلك مستودعٌ ... أهليه فى أحفظ مستودع

ألا أبلغا عنّى الذى شكره ... صريرُ[1] رحلِ الراكب المُوضع[2]

مَن تَصدُر الآمالُ قد أُترعتْ ... مَزادُها من حوضِه المُنترَع

لا خُلَّبٌ بارقُ معروفه ... ولا سحابُ اليد بالمُقشِع

إن أنتَ شبّهتَ به غيرَه ... سوّيت بين النَّبع[3] والخِروَع[4]

ما بالُ أعدائى ملّكتَهم ... عِنانَ رأس السابح الأتلع[5]

يرمون حتى بحصى زُورهم ... رمْىَ جمار الحجّ باليرمَع[6]

كلُّ فمٍ ينفُثُ بى قولةً ... أسلمُ منها لسعةُ الشَّبْدَع[7]

علىّ صاروا عند نُصحى ولو ... عملتُ بالغشّ لكانوا معى

واستعطف الرأى ليرجِعْ به ... من رجَع الشمسَ الى "يُوشَع"

فأنتَ أهدَى فى طريق العلا ... من القَطا فى اللاحب[8] المَهيَع[9]

وأظفرْ بها لو أدركت "ثعلبا" ... أنسته ما يُروَى عن "الأصمعى"

أمسِ رأينا قائلا سامعا ... واليوم قد أعوزنا من يَعى

---

(١) الصرير : صوت الباب وغيره . (٢) الموضع : الذى يسير الإيضاع وهو ضرب من السير السهل السريع . (٣) النبع : شجر ينبت فى أعالى الجبال تتخذ منه القسى . (٤) الخروع : كل نبت ضعيف . (٥) الأتلع : الطويل العنق . (٦) اليرمع : حصى بيض رخوة . (٧) الشبدع — بكسر الدال وفتحها — : العقرب . (٨) اللاحب : الطريق الواضح . (٩) المهيع : الواسع .

* * *

وقال يعاتب بعض رؤساء العصر فى نبوة جرت بينهما :

أؤمل بعد هــذا الأسر حلًّا ... وجِــدٌّ نوائب الأيام هزلا

وأعلم أنّ جور الدهر طوعا ... سيعقب بعـــده بالكره عدلا

يقول لىَ اصطبارى : قف رويدًا ... فأىّ سحـائب الغمرات تُجلَى

ليـالٍ خابطاتٌ فى سُـــراها ... وما تدرى أصبن القصد أم لا !

وأيامٌ تراكضُ فى مَـــداها ... كأنّ وراءها طَرْدا وشــلّا

فمن راغمنَـــه رجع الهُوَيْنـا ... ومن أخطأنه بلغ المحــلّا

فكم أفقرن بالبؤسى غنيًّـا ... وكم أغنين بالنُّعمى مُقِلّا

تُراها خُــيِّرت فيما لديهـا ... فما اختارت سواى لهنّ شُغلا ! !

سهـامٌ مؤلمـاتٌ كلّ يــومٍ ... تُصيب ولا أرى ريشًا ونَصلا

ولو كانت نبالُ "بنى هُذَيْلٍ" ... لبِستُ لهنّ سابغــةً رِفَـــلّا (١)

وما ذنبى إليهـا غــير أنّى ... جمعتُ محاسنا وحويتُ فضلا

فــلولا أننى أرعى فــؤادى ... بأودية الأمانى متُّ هَـــزلا (٢)

أعُدُّ ذنوبهـا بيدى ، ومن ذا ... يعُدّ "بعالجٍ" و"الخبت" رملا (٣)

---

(١) السابغة الرفل : الدرع الطويلة . (٢) الهزل : الضمور . (٣) عالج والخبت : موضعان مشهوران بكثرة الرمال فيهما .

إذا ما شئتَ أن تحيا سـعيدا فقل : لا تؤتني يا ربِّ عقلا

فما عيشُ الوحوش بخير عيش به طـابت به حُمقا وجَهـلا

تُبُثُّ لهـا الحبائلَ وهي ولْهَى تجاوبُ باغمـا (١) وتَرُبُّ (٢) طِفـلا

وما للمـرء خـــيرٌ في حيـاةٍ إذا أمسى على الإخـوان كَلّا (٣)

لقــد خلعَ التصـابىَ مستَجدٌّ نُصولُ عذراه غمـــدًا مُحـلَّى

تقِلُّ عن الغــرام وأنتَ طِفلٌ وتكبَرُ عن طلابِ اللهو كهلا

وفيما بين ذاك وذا شبابٌ تمانعك الأحبَّـــةُ فيه وصـلا

فأىُّ زمانك الحُـــلوُ المُهنّـا وأىُّ قداحِك القِـــدحُ المُعلَّى (٤)

لذاك بدأتُ بالهجران «هندا» كما عاجلتُ بالسلوان «جُمْلا»

وصرتُ إذا رأيتُ الظبي يرنو كأني ناظــرٌ ليثـاً مُـــدِلّا

إذا ما هزَّ في بُرديْه عِطفا هززتُ عليه من كفّي نَصلا

طـروبٌ للوشـاة إذا أعادوا علــيَّ ملامةً فيـــه وعَذلا

وأحسنُ من قدودِ البيضِ تهفو قــدودُ السُّمر في الهيجاء تُجلَى

فــلا تبرقْ لىَ الحسناءُ ثغرا ولا ترسِـلْ على المَتنين جَثْلا (٥)

ولا تنفُثْ بسِــحرٍ في جفونٍ حلَلْتُ عقودَها كَـلّا وكَلّا

---

(١) الباغم : الظبي . (٢) ترب : تربي . (٣) الكل : الثقل .

(٤) المعلى : سابع سهام الميسر . (٥) الجثل : الشعر الكثيف .

على أنّ الهــوى فى كلّ قلبٍ ألذُّ من المنَى طعما وأحــلَى
فلا يغــرُرْك من يَنجو سليماً ولا تحسبْ علاجَ الحبِّ سهلا
ولكنّى ٱستعنتُ على فؤادى بأصــنافِ الرُّقَى حتى أبَلَّا (١)
وحذَّرنى من الأحبـابِ أنّى رأيتُ دمًا «لعروةَ» (٢) كيف طُلَّا
أقلنى، من ظبـاء «بنى عَدىّ» فمـا أخشى ظباءَ الإنس كلَّا
فهنّ إذا غَزَوْنَ إلى قبيلٍ أسرن مُعاهِــدا وقتلن خِلَّا
وما أهوَى سوى البَيداء دارًا وأفراسًا تَضــيعُ (٣) بهـا وإبلا
وأسمرَ يرعُد الأنبوبُ منــه غداةَ الروع خوفا أن يَزِلَّا
وأبيضَ تحسبُ الطُّبَّاعَ بثَّتْ على مَتنيْه والحَدّين (٤) نمـلَا
وممشوقٍ من الفتيـانِ يُدعَى لكلِّ عظيمةٍ فيجيب : هَـلَّا
كأنّى فى الضحى أرسلتُ صقْرا وفى جُنح الدجى سِمْعـا (٥) أزلَّا (٦)
أشير له فيفهمُ وَحىَ طَرفى وخيرُ القول ما إن قـلَّ دلَّا
(أنا ٱبن جلَا وطلَّاعُ الثنايا) (٧) وصاحبُ سـيرةٍ تروَى وتُمـلَى
تحكَّكْ «بالرئيس» وفز بشكرى وحقًّا تطلُبُ الحِـرباءُ (٨) جِذْلا (٩)

---

(١) أبل : شفى . (٢) عروة بن حزام : أحد الذين قتلهم الحب . (٣) كذا بالأصل ولعلها محرفة عن تصيح أو تمعج وما الى ذلك . (٤) فى الأصل « الخـدين » . (٥) السمع : الذئب . (٦) الأزل : الخفيف الوركين السريع . (٧) من قول سحيم بن وثيل الرياحى وقد استشهد به الحجاج وتمام البيت . * متى أضع العمامـــة تعرفونى * (٨) فى الأصل «الحرباء» وهو تصحيف . (٩) الجذل : أصل الشجرة، أو هو عود ينصب للجربى تحتك به .

تلاقِ المجــدَ برّاقَ المُحيّـا وثغرَ الجُـود يضحكُ مستهلّا
ومطــروقَ الفِنـاءِ لزائريه تقولُ كلابُه : أهــلا وسهلا
شمـائلُ تسرِق الأقوامُ منهـا وتَفضَح بامتحانٍ من تحــلّى
وهبْ أنّ الرجالَ حكَتْه قولا فهــل يحكونه قــولا وفعلا؟!
يطوفُ الوفدُ فى الآفاق حتّى تحُــطَّ به الرحائلُ حيثُ حلّا
إذا نزلوا فمـا لهــمُ آرتحالٌ ومن ذا يجتوى بَرْداً وظِــلّا (١)
وكلُّ فضيلةٍ ذُكِرَتْ لقــوم رأَوه بذكرِها أحرَى وأولَى
هو البطلُ الذى خَصَم الليالى فبيّنَ فى وقائعهـا وأبلَى
يحيــد خُصومه عنه (٢)، ومَن لا يخافُ الليثَ أقبـلَ مصمئلًا (٣)!
يَروع بصمتهِ من شاءَ منهــم وتخشَى الطـيرُ بازيا تجــلّى (٤)
شهدتُ بأنه الدرُّ المصــفّى وأنفسُ قيمــةً منــه وأغلَى
وقالوا : هل سواهُ بقِى أناسٌ يليقُ بها المديحُ، فقلتُ : كلّا!
بـلى يازبمـا نُسِــبوا آدعاءً إلى كرم كما نُسبَ "المُعلَّى" (٥)
ألَا يا أيّهـا الرحبُ الســجايا ومن يسقِى بكأسِ الجود علّا (٦)

(١) يجتوى : يكره . (٢) فى الأصل «خصومة» وهو تصحيف . (٣) المصمئل : المنتفخ غضبا وشدة . (٤) تجلى : نظر الى الشيء مشرفا . (٥) فيه إشارة الى قول أبى على البصير :

لعمر أبيك ما نسب المعلى الى كرم وفى الدنيا كريم

(٦) العل : الشرب الثانى، والأول : النهل .

عهِدتُ نداكَ يورِقُ منه عُودِى ... ويُمرِعُ إن شكت كفَّاىَ مَحْلَا

وما زالتْ عُلاكَ أَحُلُّ منهـا ... ربًى من رامنى فيهِنَّ زلَّا

وَكم لكَ من أيادٍ قد تشكّتْ ... اليـك مناكبى منهنّ ثِقْـلا

نظمتُ من الثناءِ لها "زَبورا" ... لفرطِ الحسنِ فى المحرابِ يُتلَى

فمـا لى يثْـلِمُ الأعداءُ حدّى ... ويختـلق الوشاة علىَّ بُطْـلا!

ويرمونى بزورِ القـولِ حتّى ... تمنَّى جانبى لو كنّ نَبْـلا

فيـا للهِ حيث وضعتُ جنبى ... أمارسُ عَقـربا منهم وصِلًّا! (١)

محـالُهُـمُ يمُـدّ الىَّ باعا ... وباطلُهـم يحُـطُّ علىَّ رِجلا

خُصـومٌ ينظـرون إلىَّ شَزْرا ... ومن ذا يقهَـر الخصمَ المُـوَلَّى

ولو لم أشجُهـم بدَمِى ولحمِى (٢) ... لقـد أفنَوْهـا شُربا وأَكلا

ولا واللهِ ما قارفتُ ذنبًـا ... ولا جذَّت يدِى للنصحِ حَبلا

ولا آستذكرتُ ما أوليتَ إلا ... رأيتُ خيانتى والغـدرَ بَسْـلا (٣)

وأُقسم "بالمطايا مُشعَراتٍ" (٤) ... غداة النحرِ قد خُلخِلن (٥) عُقْـلا (٦)،

و"بالغُبرِ الأشاعثِ" (٧) لا دِهانٌ ... تُرجِّلهم (٨) ولا "الهامات" (٩) تُفلَى،

---

(١) الصل : الثعبان . (٢) أشجهم : أغصهم بالشجا وهو ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

(٣) البسل : الحرام . (٤) المشـعرات : البدن المعلمة وهو أن يشق جلدها أو أن تطعن أسنمتها لتعرف أنها من الهدى . (٥) خلخلن : ألبسن فى موضع الخلاخيل . (٦) عقل : جمع عقال وهو ما تربط به الدابة . (٧) الغبر الأشاعث : الإبل المغبرة الملبدة شعر الرأس .

(٨) رجل الشعر : سرحه . (٩) هامات : جمع هامة وهى الرأس .

و"بالجمرات" تحذفُ "أَخْشَبَيْها"[1] أنامـلُ تبتغى منّـا وفَضـلا،
و" بالحَرمين" تَملأُ عَرصَتَيْها من الآفاقِ ركبانٌ ورَجْـلَى،
و" بالبيتِ المقدَّس" والموَفَّى قِرى الأضيافِ عنه "والمصلَّى"،:
بأنى ما لبِستُ الغشَّ ثَــوبا ولا أسكنتُ قلبى فيـك غِلّا
وما هى غيرُ أقـــوالٍ تُوشَّى ولستَ ترى لها فرعا وأصلا
وأنت الحاكمُ العـدلُ القضايا إذا حار آمرؤ فــيها تــولَّى
أعوذ بحسن رأيك منك فيها وأن ألقَ من الخُصماء خَبـلا
فإن حزَّ الفَــوارِى[2] فى أديمى فلا عيبٌ إذا ما السيفُ فُلّا

* * *

وقال يمدحه :

لقــاؤك يا " لُبنَى " لقــاءُ خَيالِ فــا منــكما إلا غريمُ مِطـالِ
مواعيـدُ كاليقظَى خوالب بارقٍ وضُمّانُه الوســنَى تَخيُّــلُ آلِ
وإنى وإن جرّت زمامى عواذلى لأتبعُ فيـك باطــلى وضَـلالى
وأعــلمُ أن الحبَّ موقفُ طاعةٍ يُجــاب به للشــوق كلُّ سـؤالِ
ومن ظنّ أن العذلَ يقتنص الجوى فقــد قاده صــعبا بغــير عِقــالِ

---

(١) الأخشبان — بصورة التثنية — : جبلان بمكة، اسم أحدهما : أبو قبيس ؛ والآخر : الأحمر، وفى الحديث «لا تزول مكة حتى يزول أخشباها» وهما من المثنيات التى لا تفرد، كالرافدين لدجلة والفرات.

(٢) الفوارى : اللواتى يقطعن الأديم — وهو الجلد — ويشققنه على جهة الإفساد.

لأنتَ أطبُّ الناس إن كنتَ قادرا على بُــرء داءٍ بالفــؤاد عُضـالِ

وصــفتَ لسقمى قُبلةً وآعتناقةً وذاك شــفاءٌ فى رءوس عَـوالِ (١)

إذا لم يذُق شيئا سوى الهجر عاشقٌ فمن أين يــدرى كيفَ طعمُ وصالِ!

جهــولٌ بشأن الغانيـاتِ مسَـلِّمٌ عليهنَّ فى شَيبٍ ورقّــةِ حالِ

لبِسن لنـا دِرع الصــدود كأنمـا نراميهُــمُ من شَــيبنا بنصـالِ (٢)

ليـالى الشــبابِ هنّ أيامُ غُرّةٍ وأيامُ شَيبِ المــرءِ هنَّ ليـالِ

ودِدتُ وإن كانت من العمر تنقضى لو آنّ بواقيهـا تكون حَــوالى (٣)

ولى فى بيـوتِ «العـامريّةِ» حاجةٌ هى المـاءُ فى عَضْبٍ حديثِ صِقالِ (٤)

زعمتُ البدورَ والشموسَ ظِبـاءَهم فلا تُنكِروا فيهنَّ بُعْــدَ منـالِ

تطلّعنَ من سُـودِ البيوتِ كأنمـا تَطلَّعَ بَيْضٌ بينَ زِفِّ رِئالِ (٥) (٦)

ومـا حاجةُ الغَـيْرانِ فيهم إلى القنـا وقــد منعتْ منهم عِصِىُّ حِجالِ (٧)

كما قد حمت نفسُ "آبنِ مروانَ" مجدَه بأبيــضِ عـــزمٍ أو بأحمــرِ مالِ

مضىءُ نواحى الوجهِ، يُمزَجُ بِشرُه بخَمرِ حيـاءٍ فيه مـاءُ جَمـالِ

نسيبُ المعـالى ، ليس تدعوه حاجةٌ الى صيتِ عمٍّ أو نباهةِ خالِ

---

(١) عوال : جمع عالية وهى أعلى القناة . (٢) نصال : جمع نصل وهى حديدة السيف والرمح والسهم . (٣) حوال : جمع حالية وهى التى عليها حليها . (٤) العضب : السيف القاطع . (٥) الزف : ريش النعام . (٦) رئال : جمع رأل وهو ولد النعامة (٧) حجال : جمع حجلة وهى بيت يزين بالستور للعروس .

إذا افتخر الإنسانُ يوما ببُرده[1] فما بُرْدُه إلا كريمُ خصالِ
شبيبةُ عزمٍ وٱكتهالُ بصيرةٍ وتحريمُ عِرضٍ وٱنتهابُ نوالِ
شمائلُ لو يُنظمنَ أغنَى نظامُها نحورَ الغوانى عن عُقود لآلى
وما جاذبوه الفخرَ إلا وحازه بأيدٍ الى نَيل العلاء طِوالِ
صنائعه فى الناس ترعَى سَوامُها أزاهيرَ شكرٍ فى رياضِ مَعالِ
ومن عشقهِ المعروفَ أعطى قيادَه سؤالَ تجنٍّ أو سؤالَ دلالِ
كذا السُّحْبُ يَسقِى كلَّ أرض قِطارُها بريح جَنوبٍ مرّةً وشَمالِ
ليهنك آلاءٌ ضَمِنتَ وفاءَها من الجود حتى بات ناعمَ بالِ
وأنك بالنُّعمَى التى قد بثثتَها ملكتَ من الأحرار رقَّ مَوالِ[2]
فلله ماضٍ من لسانك إنه لنعمَ لِزازُ[3] الخصم يومَ جِدالِ
ولله ما ضمّت بنانُك إنها قناةُ طِعانٍ أو خبيئةُ ضالِ[4]
فِناؤك للعافين بَعلُ أراملٍ ونارُك للسّارينَ أُمُّ عيالِ
عهدتُك تلقَى كلَّ مرء بقيمةٍ وما كلُّ أعلاقِ الرجال غَوالِ
فلِمْ أنا فى ميزان عدلك كِفّتى تَشِفُّ[5] اذا قابلتَها بمثالِ
ويرجحُ أقوامٌ كأن جباههم نِعالٌ لما زيّنتَها بقِبالِ[6]

(١) البرد: الثوب. (٢) موال: جمع مولى وهو العبد. (٣) اللزاز: شدة الخصومة. (٤) الضال: جمع ضالة وهى السلاح أجمع، وقيل السهام. (٥) تشف: تنقص. (٦) القبال: زمامة النعل بين الإصبع الوسطى والتى تليها.

نصيبي من الأموال ما يُمسك الدَّبَى　　وحظِّى من النيران حَظُّ ذُبال[(١)]

ولولاك ما كانت "لطآنا"[(٢)] موقفى　　ولا أرضُ "بَاجِسْرا"[(٣)] محطَّ رحالى

مقيما بها كالسيف أُلْزِمَ غِمدَه　　وقد كان يرجو الرِىَّ يوم نزالِ

ولو أُطلقت حدّاه واُستُلَّ فى الطُّلَى[(٤)]　　براها يمنى ضارب وشمالِ

وما ينفع الطِّرفَ المطهَّمَ[(٥)] سبقُه　　إذا كان محبوسا بضيقِ مجالِ

أرى كلَّ مشنوءِ[(٦)] الخليقةِ واصلا　　قِصارَ حبال عجزه بحبالى

تماثيلُ كالأنعام أبقلتِ الربى　　لها فغدت فى رغيةٍ[(٧)] وصيالِ

وإنّ زمانا ضمّ شملى وشملَهم　　لكالليل مَسرَى ضيغم ونمالِ

ستعلمُ من منّا إذا بعُد المَدَى　　عليه، تشكَّى من وجًى[(٨)] وكَلالِ[(٩)]

وتفرُقُ ما بينى هناك وبينهم　　وكيف تُسَوّى بُزْلٌ[(١٠)] بفِصالِ[(١١)]

وما كنتُ أرضى أن تكونَ ديارُها　　ديارى ولا تلك الرحالُ رحالى

ولكنّنى ركَّابُ ما أنا قائد　　ولو ظهرِ مجزولِ[(١٢)] السَّنامِ[(١٣)] ثِقالِ[(١٤)]

---

(١) الدبى : النمل ؛ والذبال : الفتيلة . (٢) كذا بالأصل ولم نوفق إلى تصويبها .
(٣) باجسرا – بكسر الجيم وسكون السين وراء والقصر – بليدة فى شرق بغداد كثيرة النخل عامرة .
(٤) كذا بالأصل . (٥) الطرف المطهم : الجواد التام الحسن . (٦) المشنوء : المبغض المكروه . (٧) فى الأصل هكذا «رعيه» . (٨) الوجى : الحفا . (٩) الكلال : التعب والإعياء . (١٠) البازل – من الإبل – : المسن . (١١) الفصيل : ولد الناقة يفصل عن الرضاع . (١٢) المجزول : الذى قطع القتب غاربه . (١٣) السنام : ما ارتفع من ظهر البعير . (١٤) الثقال : البطىء .

وقـد يُرتعَى حَمضٌ[1] وفى الأرض خَلّةٌ ... ويُشرَبُ ماءٌ وهـو غـيرُ زلالِ

وتسكنُ خفضَ الأرض أُسْدُ خفيّةٍ[2] ... وتسمو الوعـولُ فى رءوسِ جبـالِ

وما هـو الإ ذنبُ دهرٍ معـاندٍ ... يرَى بُرءَ أهـلِ الفضـلِ غيرَ حـلالِ

ويارُبمـا أعطَى الأمانىَّ قـانطـا ... فقـد تلقَحِ العقماءُ بعـد حِيالِ[3]

* * *

وقال يهنئه بخلاصه من الاعتقال[4] :

إحدَى الكواعب من «بنى نصر» ... شهِـد الظـلامُ لها على البـدرِ

كالبيض تحضُـنه نعـائمه؛ ... بيضـاءُ فى كِلَلٍ[5] من الشَّـعرِ

سكرَى اللواحظ وهى صاحيـةٌ ... فـدموعهـا فنٌّ من الخمـرِ

ما خِلتُ أنّ بيـاضَ مقلتِهـا ... وسوادَهـا صُحُـفٌ من السِّحـرِ

بَسَمتْ وقـد برزتْ قلائدُها ... فرأيتُ ما فى النحـرِ فى الثغـرِ

ومن العجائبِ أن تصادف فى الـ ... ـعـذب الزُّلال لآلئَ البحـرِ

كيف آهتـديت لحبّ ظـالمةٍ ... وثَبَ الغـرامُ بها على الصبـرِ

جمَّشتُها[6] فنبَتْ ، فقلتُ لهـا : ... أهوَيتُ أطلبُ معـدِنَ التـبرِ؟

(١) الحمض : ما ملح وأمر من النبات وهو كفاكهة للإبل تأكله عن سآمتها من الخلة وهى ما حلا من النبات . (٢) خفية : أجمة من سواد الكوفة تنسب اليها الأسود؛ وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٣) الحيال : العقم . (٤) فى مختارات البارودى : «وقال يمدح ابن فضلان ويهنئه بخلاصه من السجن ويستنجزه وعدا» . (٥) كلل : جمع كلة وهى ما يغطى به الهودج . (٦) جمشتها : داعبتها .

ضُربتْ بأسنمةٍ[1] قِبابهمُ ... وكأنّها فى ساحة الصدرِ
بيضٌ وسُمرٌ فى خيامهمُ ... ممنوعةٌ بالبيضِ والسُّمرِ[2]
بدم المحبّ يباع وصلُهمُ ... فمن الذى يبتاع بالسعرِ
لو كان غيرُ الحب جيشَهمُ[3] ... ألفيتَهم فى جحفلٍ مَجْرِ[4]
هجروا وهجرُهُمُ على دَخَلٍ[5] ... فلأجل ذلك طيفُهم يَسرى
وهَب الظلامُ لنا محاسنَه ... وأظنّ مرسلَه بنا يدرى
حتى إذا الإصباحُ أيقظهُ ... ولىَّ يُؤذِّن فيه بالغدرِ
ياليلةً «بالرمل» قصّرها ... حلُّ العناقِ[6] معاقدَ الخُمُرِ[7]،
كادت خُطانا أن تنمّ على ... آثارنا وطمسنَ بالأُزرِ،
ورأت كلابُ الحىّ ريبتَنا ... فكُفِينَ عن نبحٍ وعن هَرّ،:
فُضّت خواتيمُ السرور بها ... واللهوِ حتى مطلع الفجرِ،
لولا التحرُّجُ والغلوُّ لما ... أسميتِ إلا ليلةَ القدرِ
والليلُ عِقْصَتُه[8] قد انتشرت ... ورمتْ مَدرِاى[9] الأنجم الزُّهرِ

---

(١) أسنمة : جمع سنام وهو أعلى ظهر البعير . (٢) المراد بالبيض والسمر الأولين : الجوارى الحسان، وبالأخريين : السيوف والرماح . (٣) كذا فى الأصل ولعلها « الحسن » . فحرفت عنها . (٤) الجحفل المجر : الجيش العظيم . (٥) الدخل : الغش والخداع . (٦) كذا فى مختارات البارودى، وفى الأصل «العتاب» . (٧) الخمر : جمع خمار وهو كل ما غطى رأس المرأة . (٨) العقصة : الضفيرة . (٩) المدارى : جمع مدراة وهى المشط .

"والنسرُ"[١] قد أعيت قوادمُــــهُ — والغـــربُ يجــذبه إلى وَكْرِ

وهوتْ من "الجــوزاء" منْطَقَةٌ — زهــــراءُ لم تُعقـــد على خصرِ

ورمَى "الـثريّا" من معلَّقِها — سبقُ "السِّماك"[٢] وحوبَةُ "الغَفْرِ"[٣]

فكأنَّهــا والشمسُ تجمعهـا — رهــطٌ قد آزدحمـــوا على سِرِّ

مثــل العــذارى من تعنُّفها — تســتصحبُ الدَّبرانَ[٤] كالخِـدرِ

"وهـلالُها" تحكى آســتدارتَه — عَقْـــدَ التمام لعِـــدّة الشهرِ

وعلى " المجــرّة " أنجمٌ نُظمتْ — مثـلَ الفَقـار[٥] نُسِقن فى الظهـرِ

هــذى حَبابٌ[٦] فـوق صفحتهـا — طـافٍ، وهذا جدولٌ[٧] يجـرى

كَيَدِ "آبن فَضْـلانٍ" غمائمُهـا — تغــــدو ببـــذل الوفر أو تسرى

إن حلَّ فى بيــداءَ أو بـلدٍ — نابت سحائبـــه عن القَطْـــرِ

أىُّ المكارمِ قـد تأبّطهـا — وعـــزائمٍ فى ذلك الصـــدرِ؟!

طهُــرت من الأحقادِ نيّتــه — والقلبُ مغســـول من الغِمــرِ[٨]

لامُـــوه فـيما أتلفتْ يــدُهُ — فـــرأى المحامــدَ أنفسَ الذُّخرِ

---

(١) النسر : يشير بذلك إلى كوكبين : يقال لأحدهما : النسر الطائر ، وللآخر : النسر الواقــع .

(٢) يشير بذلك إلى كوكبين يقال لأحدهما : السماك الأعزل ، وللآخر: السماك الرامح . (٣) الغفر : ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر وهى من الميزان .

(٤) الدبران : منزل من منازل القمر ؛ ولم نتبين معنى هذا البيت .

(٥) الفقار : عظم سلسلة الظهــر .

(٦) الحباب : ما يعلو على وجه الماء من الفقاقيع .

(٧) الجدول : النهر الصغير .

(٨) الغمر : الحقد والغل .

إن قال فالسيفُ الحسامُ مَضى ... أو صال أفنَى الليثَ بالذرِّ

ما إن أرى فى الناس من أحدٍ ... إلا يُمتُّ اليه بالشكرِ

حتى كأنّ الأرضَ طبّقها ... بغمائم نشأت من البرِّ

قد مارس الأعداءُ شدّتَه ... فاستسلموا لليث ذى الأجرِى (١)

وكوت مياسِمُهُ قلوبَهم (٢) ... والكيُّ مشفاةٌ لذى العرِّ (٣)

إنّ الشدائدَ مذ عُنينَ به ... قارعنَ جُلمودا من الصخرِ

حمَلَ النوائبَ فوقَ عاتقه ... حتى رجعنَ إليه بالعُذرِ

وبوائقُ (٤) الأيام عاديةً ... لاقَينَ منه دامِيَ الظُّفرِ

لا تنكروا حَبْسا ألمَّ به ... إن الحسانَ تُصان بالخدرِ

والغِمدُ ليس تُفاض بُردتُه ... إلا على الهندىِّ (٥) ذى الأثْرِ (٦)

إن حجّبوه فكلُّ ذى شرفٍ ... يعترُّ بالبوّابِ (٧) والسّترِ

يغشى الكسوفُ الشمسَ إذعظُمتْ ... ويعافُ ضوءَ الأنجم الزُّهرِ

قد يستسِرُّ (٨) البدرُ ليلتَهُ ... لتِمٍّ ليلةَ (٩) رابعِ الشهرِ

---

(١) أجر : جمع جرو وهو شبل الأسد . (٢) الميسم : المكواة يوسم بها الحيوان .

(٣) العر : الجرب . (٤) بوائق : جمع بائقة وهى الداهية . (٥) الهندى : السيف — منسوب الى الهند — . (٦) الأثر : جوهر السيف ورونقه . (٧) فى الأصل «النواب» وهو تصحيف . (٨) استسر : اختفى ليلة أو ليلتين فى آخر الشهر . (٩) كذا بالأصل وبمختارات البارودى ومراده : الليلة الرابعة عشرة من الشهر .

أوَليس «يوسفُ» بعد محنته (١) نقلوهُ من سجنٍ إلى «مصرِ»

لمَرَقتَ منها مثلما انكدرت (٢) فتخاءُ (٣) ترمى الطيرَ بالذُعرِ

وصبرتَ حتى انجابَ غيهبُها؛ إنَّ النجاءَ عواقبُ الصبرِ

تُنسى مرارةُ كلِّ نازلةٍ بحلاوةٍ فى النهى والأمرِ

وإذا الأغانى حنَّ مِزهرُها (٤) ولّى حنينُ النابِ (٥) والبَكرِ (٦)

واذا تولّى الشيءُ تكرهُه فكأنّه مادار فى سِرِّ

حمدا وشكرا للإله على ما قد حباك وواجب النّذرِ

وكأننى بك فوق غاربها متسنّما فى ذِروة الفخرِ

يرمى العلاءُ اليك مِقودَه لا ينثنى بغماغم (٧) الزّجرِ

إن العظائمَ ربّما بُلغت بالهَونِ لا بالكرِّ والفرِّ

وكذا الأُلوفُ على تفاوتها محسوبةٌ بأناملٍ عَشرِ

أنا من يُغالى فى محبّتِه وولائه فى السرِّ والجهرِ

ما ذاق طعمَ النوم ناظرُهُ حتى البشيرُ أتاه بالبشرِ

ولك الأيادى لستُ أذكرها إلا يجيشُ بحمدها صدرى

هى نعمةٌ ليديك أشكُرها طولَ الزمان وآخرَ العصرِ

(١) يشير : الى قصة سيدنا يوسف عليه السلام وهى أشهر من أن تذكر . (٢) انكدرت : انحدرت . (٣) الفتخاء : العقاب . (٤) المزهر : العود . (٥) الناب : الناقة المسنة . (٦) البكر : الفتىّ من الإبل . (٧) غماغم : جمع غمغمة وهى الصوت .

قـد كان وعدٌ منـــك أقسمَ لى   بعلاك : أنك مصلحٌ أمرى

وإخال أنّك لستَ ناسيَـهُ   لكنّنى ٱستظهرتُ بالذّكر

قـــد حزّت الأيامُ فى كبِـــدى   وأطـاف بى مسٌّ من الضّرّ

وسئمتُ عتبى كلَّ نائبـةٍ   ومللتُ ما أشكـو من الدهرِ

وإذا جذبتَ إليـك من ضَبعِى (١)   طاعتْها بأسنَّةِ القهــرِ

وصرفتَ عنّى كلَّ نائبـةٍ   صرفَ الهمـوم سـلافةُ الخمـرِ

أهـــدت لك النَّعماءُ أنفَسَهـا   من عانس (٢) أو عاتقٍ (٣) بِكرِ

وتخطّتـك أحداثُ الزمانِ ولا   برِحتْ رِباعَك (٤) ديمـةٌ تجــرى

لولاك فى الدنيا لمـا ٱعترفوا   للأكرمين بهـا سـوى الذكرِ

* * *

وكتب إليه يعزّيه عن أخيه :

عزاءً، فمـا يصنع الجازعُ ؟   ودمعُ الأسى أبدا ضـائعُ

بكَى الناسُ من قبلُ أحبابَهم   فهـل منهُـمُ أحـــدٌ راجـعُ ؟!

عرفنا المصائبَ قبـلَ الوقوع   فمـا زادنا الحـادثُ الـواقعُ

---

(١) الضبع : — بسكون الباء — العضد . وربمـا حركت للضرورة . (٢) العانس : الجارية فاتت سن الزواج . (٣) العاتق : التى لم تتزوج؛ وقيل : هى التى بين الإدراك والتعنيس؛ أو هى الجارية أول ما أدركت ، وفى الأصل «علق» وهو تحريف . (٤) رباع جمع ربع وهو البيت .

ولكنْ ما ينظـر الناظرو ... نَ ليس كما يسمعُ السامعُ

يُدَلِّى ٱبنُ عشرين فى لحـدهِ ... وتِسعون صـاحبُهـا راتعُ

وفى رأس ذا أسـودٌ حالكٌ ... وفى فـرعِ ذا أبيضٌ ساطعُ

ليعـلم من شكَّ أن المنـو ... نَ هـوجاءُ(١) ما عنـدها شافعُ

وإن هُنَيـدةَ(٢) من عاشَهـا ... لفى عيشــةٍ بعـدها طامعُ

فقل لىَ: ما السرُّ فى ذى الحيا ... ة تُهـوى وطائرُهـا واقـعُ ؟

يهيم عليها الكسوبُ الحريصُ ... ويعشقهـا الساجدُ الراكعُ

وللمرء، لو كان يُنجى الفـرا ... ر، فى الأرض مضطرَبٌ واسعُ

ومَن حتفُـه بين أضلاعـه ... أيمنعـه أنّه دارعُ(٣) ؟

وكلُّ أبىٍّ لداعى الحِمام ... متى يـدْعُه سـامعٌ طـائعُ

يسلِّم مهجتَـهُ سـائماً(٤) ... كما مــدَّ راحتَـه البـائعُ

وحى « الضَّيْزَنُ » عن متنـهِ ... و« حسَّانُ » أسلمه « فارعُ »(٥)

(١) الهوجاء: الريح الشديدة التى تقتلع البيوت. (٢) هنيدة: مائة سنة. (٣) الدارع: الابس الدرع. (٤) السائم: عارض السلعة لبيعها؛ وفى الأصل هكذا «سامحا». (٥) كذا بالأصل وقد كتب أمام هذا البيت على الهامش « فى الأصل » والمراد أن ناسخ الديوان لم يوفق الى صحة هذا البيت فاضطر الى أن ينبه عنه؛ والضيزن: ملك الجزيرة وكان له حصن منيع يقال له: الحضر — بفتح الحاء وسكون الضاد —. وفارع: حصن بالمدينة كان لحسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم، ومن هذا الشرح الوجيز يمكننا أن نقول: لعل الشاعر أراد

رَمَى "الضَّيْزَنَ" "الحَضْرُ" عن مَتْنِهِ * وحَسَّانُ أَسْلَمَـــهُ "فارِعُ"

وفى الأصل «قارع» وهو تصحيف.

وهبّت على «تُبّعٍ»[1] نفحةٌ … فلم يبقَ من رهطِهِ تابعُ

ولو أنّ من حَدَثٍ سالما … لما خَسَفَ القمرُ الطالعُ

ولا صِيدَ فى شَرَكِ النائباتِ … فتًى لشروطِ الفتى جامعُ

غلامٌ كأنبُوبةِ السمهرى[2] … تُعيِى اذا رامها الصادعُ

شمائلُهُ مثلُ نَوْرِ الرّيا … ضِ نمنمَها باكرٌ هامعُ

تكاد تبكّى عليه الغصونُ … اذا ناح قُمرِيُّها الساجعُ

عجبتُ لذاك الحُلِيِّ المصوغ … لنا كيف يُفسِده الصانعُ

تخرّمه ورُواءُ[3] الشبا … بِ لم يدرِ كم طولُهُ الذارعُ

على حين أُفرِغَ فى قالَبِ الـ … ـجمال، ورونقُه الطابعُ

وكيف توقّى[4] الفتى ما يخافُ … اذا كان حاصدَه الزارعُ

ومن فوقِهِ ظُلَلٌ كالغمامِ … ومن تحته جبلٌ مانعُ

وأقرانُ «فضلانَ» فى عزّةٍ … يدور بها الفَلَكُ السابعُ

ولو شاء قصّر باعَ الردى … فلم يرمِهِ الساعدُ النازعُ[5]

ولكنّه جاء سائلا … فجاد به صدرُه الواسعُ

أأسرفتَ فى الجودِ حتى استبا … حَ أحبابَكَ الزمنُ الخادعُ ! !

(١) تبع : واحد التبابعة وهم ملوك اليمن . (٢) السمهرى : الرمح — منسوب الى سمهر وهى بلدة بالحبشة — . (٣) الرواء : الحسن والرونق . (٤) فى الأصل « توقى » وهو تصحيف . (٥) النازع : الذى يمد القوس للرمى .

***

وقال يعزّيه عن أخته :

يَروُحُ ويغـدو علينا الحِمامُ	وكلُّ النواظرِ عنـه نيامُ
على شِيمَ النَّعَـم الراتعا	تِ يُعقَر هـذا وهـذا يُسامُ
ولا فـرقَ ما بيننا فى القيا	سِ إلّا العقولُ وهذا الكلامُ
كفى بالممـات لنا مُفنيًا،	فمَن أجل ماذا تُراشُ السهامُ ! !
وتُعتقَـلُ الذابلاتُ الطِّوالُ (١)	ويُحملُ ذو الشَّفرتَين الحُسام ! !
كأنّا خُلقنا لرَيبِ المنون	شرابٌ يَلَذُّ به أو طَعـامُ
ستُطوَى مسافةُ مَن عمـرُهُ	يسـيرُ صباحٌ به أو ظـلامُ
ليالٍ تمرّ كمرِّ السـحا	بِ والصبحُ فيهنَّ برقٌ يشامُ
جناياتُهنَّ علينـا البِـلَى	وأعذارُهنَّ إلينا السّقامُ
لها كلَّ يوم بنـا وقعـةٌ	فهـلَّا تناوبَ عامٌ وعامُ ؟
نلوم الطبيبَ ومـا جُرمُـهُ	وداءُ المنيَّـة داءٌ عقـامُ؟
إذا فَذَلكَ (٢) العيشُ عمرَ الفتَى	فسيّانِ ما خلفه والأمامُ
وما يعصِمُ المرءَ من حتفـهِ	"عِراقٌ" يَحُلُّ به أو "شآمُ"
بأىِّ حمًى مانعٍ يُسـتجارُ	إذا لم يُجِرْ "زمزمٌ" "والمَقامُ" !

(١) الذابلات الطوال : الرماح . (٢) فذلك : فذلك الحاسب حسابه أى أنهاه وفرغ منه .

ظِبـاءُ البطاح لهـا مَصرَعٌ … وعُصْمٌ[(١)] لهـا بالجبالِ آعتصامُ

إذا الدَّوحُ[(٢)] مالت به العاصفاتُ … فلا ريبَ أن ستميلَ الثُّمامُ[(٣)]

وهل نافعٌ لك طولُ الجماح … وفى يدِ صَرف الزمانِ الزِّمامُ؟!

يحــدّثُنـا بالفَنـاء البقـاءُ … ويُخـبرنا بالرحيـلِ المقـامُ

بهذا قضى الدهرُ فى أهـلهِ … تمــرُّ فِئامٌ[(٤)] وتأتى فِئـامُ

يعلّلنـا برَضـاع المُنَى … وعمّا قليـلٍ يكـون الفِطامُ

نذُمُّ حـذارا بلوغَ المشيبِ … كأنَّ لعصرِ التصـابى ذِمامُ

وما يحـذَر اليَفَنُ[(٥)] العُـدْمُلِـ[(٦)] ـىُّ إلا الذى يتقيــه الغـلامُ

عذَرنا الزمانَ بمـوت اللئامِ … فما عذرهُ أن يمـوتَ الكرامُ؟

علينا يحـرَّمُ قتـلُ النفوس … فكيف أُحِلَّ عليـه الحـرامُ

مَناسـكُ منهوجةٌ بالـوجَى[(٧)] … يُجَبُّ[(٨)] على إثرهن السَّنامُ

لعمرُك ما المـرءُ إلا خَيالٌ … ولا لذّة العيش إلا منـامُ

ألا أيّهـــذا اللبيبُ آتئـدْ … ومثــلُك من رامَ مالا يرامُ

ترفّق رويدكَ ، إن السّــلُوّ … مُراحٌ اليـه يعـودُ الأنامُ

وعادتك الصبرُ إن قعقعتْ … صواعقَهنَّ الخطوبُ الجِسامُ

---

(١) عصم : جمع أعصم وهو تيس الجبل يعتصم به . (٢) الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة .
(٣) الثمام : نبت ضعيف . (٤) الفئام : الجماعات . (٥) اليفن : الشيخ الكبير الفانى .
(٦) العدملى : كل مسن قديم . (٧) الوجى : الحفا من كثرة السير . (٨) يجب : يقطع .

تمــرُّ عليــك مرورَ الريا	ح زاحمها «يَذْبُلٌ» أو «شَمَامُ»[1]
تلوثُ[2] الرداء وتُرخى الإزا	ر فى موقفٍ شُدَّ فيه الحِزامُ
يعزِّيك عقــلُك عمّن مضى	وعلمُـك أن ما لشىء دوامُ
ونفسُك أبلغُ من واعـظٍ	وأكبرُ ان يزدهيها الغـرامُ
وأنت تعــلَمُ كيف الثبـا	تُ إن زعزعتنا الخطوبُ الجِسامُ
تحمَّــلُ أثقالَهــا مُهْــوِنا	وللــبزْلِ[3] لو حَمَلتْهـا بُغَـامُ[4]
إذا الحزن لم يُعد الذاهبينَ	فـا هو إلا الجــوى والأثامُ
فراقُ الشقيقــة أشجى فراقٍ	أذيلت[5] عليه الدموعُ السِّجامُ
وفقــدُ الفتى صِــنوَه فادحٌ	على الحزن فى مثـله لايلامُ
ولكن يريك الثنايا الجليــدُ[6]	وفى حبّة القلب منه ضِرامُ
وعينُــك إن غلطتْ بالبكاء	فقـــد علّمتها يداك الغمامُ
فسَقيًــا لمودَعةٍ فى الصَّعيــدِ[7]	تُعزّى الخدورُ بها والخيــامُ
ولم نــر دُرًّا ولا زهرةً	من التُّرب أصدافُها والكِمامُ
أنلتمس السُّحبَ تسقى ثراكِ	وجُود أخيك الغيوثُ الرِّهامُ[8]؟
وتُسحَب فيـه ذيولُ النسيم	ومن عَرفِه[9] تَستَمدُّ المُـدامُ

(١) يذبل وشمام : جبلان . (٢) تلوث : تلف . (٣) بزل : جمع بازل وهو الجمل المسن (٤) البغام : صوت الإبل فى حنينها . (٥) فى الأصل «أذيت» وهو تحريف . (٦) الجليد : الصابر . (٧) الصعيد : التراب . (٨) الرهام : المنهمرة بالماء . (٩) العرف : رائحة الطيب .

لفقـدانها ما تحنُّ القِلاصُ [١] ... وتندبُ فوق الغصون الحَمَامُ

فيا جبل "الطُّورِ" لافارقتكَ ... سحائبُ يُشفَى بهنَّ الأُوامُ [٢]

يَقِفْنَ حوافـلَ فى عرصتيـ [٣] ... ـكَ حتّى تُساوى الوِهادَ [٤] الإِكامُ [٥]

تخصُّك بالماخضاتِ العشارِ [٦] ... وغـير رباكَ لهنَّ الجَهَـامُ [٧]

ولو كنتِ آبيَةً بالخصام ... لمـا عزَّ فينا الخميسُ اللُّهامُ [٨]

وخيـلٌ تَكدَّسُ [٩] بالدارعين [١٠] ... مقـابرُ فُرسانهنَّ القَتـامُ [١١]

ولكنهـا حالةٌ فـرضُهـا ... علينـا تحيّتنـا والسـلامُ

✦ ✦ ✦

وقال فى بعض الأغراض :

عساهـا تجـلى وخلاك ذمٌّ [١٢] ... وماءُ الوجه فى الوجَناتِ جَمٌّ [١٣]

ولم يجـرِ السؤالُ على لسانى ... ولا ندًى يدى بحـرٌ خِضَمٌّ

سيحرُسنى التجمُّل من أناس ... هُمُ عنّى بداء البُخـل صُمُّ

---

(١) القلاص : الإبل الفتية واحدها قلوص . (٢) الأوام : العطش الشديد . (٣) العرصة : الفضاء أمام الدار . (٤) الوهاد : جمع وهد وهو ما انخفض من الأرض . (٥) الإكام : جمع أكمة وهى ما ارتفع عن الأرض . (٦) الماخضات العشار : التى دنا ولادها بعد عشرة أشهر ، والمراد بها السحائب المنهمرة بالماء . (٧) الجهام : السحاب الأبيض لا ماء فيه . (٨) الخميس اللهام : الجيش من خمس فرق ، واللهام الكثير كأنه يلتهم كل شىء . (٩) تكدس : يركب بعضها بعضا من شدة ازدحامها . (١٠) الدارع : لابس الدرع . (١١) القتام : الغبار يثار فى الحرب . (١٢) خلاك ذم أى لا يلحقك الذم . (١٣) الجم : الكثير .

حمانى زادهم بطنٌ خميصٌ (١) ... على الجُـلَّى وعرنينٌ (٢) أشَمّ

فقد سقّيتُ بَرْدَ اليأسِ منهم ... فـؤادا من رجائهم يُحَمّ

وكيف أكلّف المعروفَ قوما ... سـواءٌ عنـدهم مدحٌ وذمّ

تُلاقى المكرماتُ بهم هـوانا ... كما يلقى بذى الرَّوقِ (٣) الأجمّ (٤)

اذا ضحِكوا الىَّ رأوه بِرّا ... أكلُّ الـبِرّ تقبيـلٌ وضمّ ؟!

يرَوْنَ عقوقَ ما كنزوا حراما ... هل العَرَضُ المسومُ أبٌ وأمّ

وكم من شيمـةٍ دفراءَ (٥) فيهم ... تفـوح لو انّ أخـلاقًا تُشَمّ

ستأتيهم قوافٍ شـاردات ... بأنسـاعِ (٦) المخـازى لا تُـزَمّ

مقالٌ فى النفوس له دبيبٌ ... وبعضُ القولِ فى الأعراض سُمّ

فإعرابُ الفمِ المنطيقِ فتحٌ ... متى أضحى بناءُ الكفّ ضمّ

❖

وقال فى طائفة من أهل الزمان :

أيا بؤسَ قومٍ حسانِ الشخو ... صِ لكن حُشُوا بطباع النَّعَمْ (٧)

يزينهمُ فى جفون الغبىِّ ... حُـلِىُّ الغنىِّ وثيـاب النِّعَـمْ

حدوناهمُ بفصيح القـريضِ ... فما آستحسنوا منهُ غـيرَ النغمْ

---

(١) الخميص : الضامر . (٢) العرنين : الأنف . (٣) الروق : القـرن .
(٤) الأجم : من الكباش — ما لا قرن له . (٥) الدفراء : المنتنة . (٦) أنساع : جمع نسع وهو حبل عريض تشد به الرحال . (٧) النعم : الإبل — والمراد بها هنا البهائم .

وكان الذى خاض أسماعَهم ... سواءٌ ونقراتُ زِيرٍ[1] وبَمّْ[2]

وقد جعلوا عذرَ حرماننا الـ ... ـثَّوابَ خلوَّهُمُ من فَهَمْ

وهبْ أنهم جهِلوا ما تقولُ ... فأينَ السخاءُ وأينَ الكرَمْ!

أغرَّهمُ كَتْبُنا فى الرِّقا ... عِ : نحنُ العبيدُ ونحنُ الخدَمْ!

ومن دون ذلك تُشوَى الوجوهُ ... وتُقذَى العيونُ ويُفرَى[3] الادَمْ[4]

فإن هم أنابوا ببذل النوالِ ... وصلنا الثناءَ كوصلِ الرحِمْ

وإن هم أصرُّوا على لؤمهم ... وهبنا ثناياهمُ[5] للندَمْ

اذا جاوزوا الحدّ فى منعهم ... خلعنا الحياءَ وجزنا اللَّمَمْ[6]

⁂

وقال :

تمدحُ "عمروا" وتُريد رِفدا ... ياما خضَ الماءِ قدمتَ الزُّبْدا

رأيتَ منه شارةً[7] وقَدًّا ... ومِشْوَذًا[8] مُفَوَّفا[9] وبُردا[10]

خلتَ إنسانا فكان قِردا ... يا ربما ظُنَّ السرابُ وِردا

(١) الزير : الدقيق من أوتار العود. (٢) البم : الغليظ من أوتار العود. (٣) يفرى : يشق. (٤) الأدم : الجلد. (٥) الثنايا : أربع أسنان فى مقدم الفم ، — ثنتان من فوق وثنتان من أسفل — ، وفى الأصل هكذا «ساماهم» (٦) اللم : صغار الذنوب :

(٧) الشارة : الحسن. (٨) المشوذ : ما يعتم به. (٩) المفوف : ما فيه خطوط بيض على الطول. (١٠) البرد : الثوب.

***

وقال :

زمانٌ فاسدُ النظـرِ مُصاحبهُ على خطَرِ
وقـومٌ إن عَددتُهُمُ فليس القومُ من نفرى
سمعت بهم فغرّونى وليس الخُبْرُ كالخَبَرِ
عجِلتُ إلى مديحهمُ وذلك شيمةُ البَشَرِ
فما فهموا مدائحهم ولا قضّوْا بها وطَرى
نخِلتُ قصائدى حُللا مُجَبّبــةً(١) على بقـــرِ

***

وقال :

وزيرٌ رَضِى من بأســه وآنتقامِــه بطَىِّ رِقاعٍ حشوُها النظمُ والنـثرُ
كما تسجع الوَرقاء فوق غصــونها وليس لهـا نهىٌ يطـاع ولا أمرُ

***

وقال :

تُعابُ معاشرٌ وَكَلوا البرايا إلى تدبير ذى رأيٍ أفينِ(٢)
وماغلِطوا، رأَوا سفهَ الليالى فداووْا بالجنون من الجنونِ

---

(١) مجبية : مجعولا لها جيوبا . (٢) الأفين : الضعيف .

***

وقال :

نُبِّئت أنّ فلانا قد شحا فمه (١)   فقلتُ : مهلًا ، كذاك العَيرُ (٢) نهّاقُ

من أين للنَبطيّ (٣) القَــدْم (٤) معرفةٌ   هل يُنبت النّبعةَ (٥) الصفراءَ رُستاقُ (٦)

وكيف يفهم قلبٌ دون فِطنته   من البــلادةِ أبوابٌ وأغــلاقُ (٧)

يانورُ ! خلِّ لروضِ الحَزْنِ (٨) زهرتَهُ   فإنّ مرعاكَ قُــلّامٌ وطُبّــاقُ (٩)

ولا تراعِ نجوم الفضلِ ترصدُها   فغيرُ خافٍ على الحسّاب أرزاقُ

نبذت عِرضَك نبذَ النعلِ مُخلَقةً (١٠)   وكيف يُلبَس ثوبٌ وهو خُرّاقُ (١١)

***

وقال :

زوّج اللهــوُ بابنــةِ العنقــودِ   خاطبًــا بالبسيط أو بالنشــيدِ

وتمام الإملاكِ (١٢) فى شاهــدَىْ عَدْ   لٍ هما فى حضور نايٍ وعُــودِ

فإذا ما جمعتَ ذاك فقد فُــزْ   تَ بعقــدٍ يسودُ كلَّ العقــودِ

---

(١) شحافه : فتحه . (٢) العير : الحمار . (٣) النبطى : منسوب الى جيل من العجم يزلون بالبطائح بين العراقين وسموا بذلك لكثرة النبط عندهم — ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم — . (٤) القدم : البعيد الفطنة والعيي عن الكلام . (٥) النبعة : واحدة النبع ، وهو شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قلة الجبل . (٦) الرستاق : السواد وهو الريف — ومنه : سواد العراق ، لما بين البصرة والكوفة ولما حولها من قراهما — . (٧) أغلاق : جمع غلق وهو ما يغلق به الباب . (٨) الحزن : ضد السهل ورياضه أنضر وأزهر . (٩) القــلام والطباق : ضربان من الشــجر . (١٠) المخلقة : البالية . (١١) الخــراق : الكثير الخروق .
(١٢) الإملاك : التزويج .

*
* *

وقال :

ياشهوةَ النومِ وما لذَّتُهْ جِسمٌ تَغَشَّت قلبَهُ غفلتُهْ

هل هو إلا مِيتَةٌ عُجِّلَتْ وإنما قد قُرِبت رَجعتُهْ

*
* *

وقال فى الغزل :

يسأئلنى مـا حاجتى فى دياره غزالٌ بأوطار الفـؤاد عليمُ

ستشهدُ لى عيناه أنهما الهوى ومبسمُه أنّى عليـه أحـومُ

أتُظهِرُ فى عرفانِ مابى جهالةً وما أَحدٌ فى الناس منك سليمُ

وكيف يداوِى داءَ قلبىَ باخلٌ على طَرفِهِ بالبُرءِ وهـو سقيمُ

أرقِّع فيك الودَّ وهـو ممـزَّقٌ وأرعَى ذمامَ العهدِ وهو ذميمُ

وفى دون مالاقيتُ للمرء زاجرٌ ولكنَّ عِرْقى فى الوفاء قـديمُ (١)

*
* *

وقال فى مثله :

يقولون: راجعْ صاحبَ الرأى وآطَّرِحْ هواكَ فما تُغنى الدموعُ السواجم

ولو أنه بالعقـل يَعشَق عاشـقٌ لما آزدوجتْ أطيارُها والبهائمُ

أليست علـى ألافهـا بجهالةٍ يحارِبُ شِـبهٌ شِبهَـهُ ويخاصِمُ

(١) فى الأصل هكذا « ولا لز » .

* * *

وقال فى مثله :

« بالجزع » ذى السَّمُرات[1] لى قمرٌ   غلبَتْ عليه سحائبُ الأُزُرِ[2]

أرسلتُ أنفاسى فما ٱنقشعتْ   عنه وجاد الطَّرفُ بالمطرِ

* * *

وقال فى البَرَد ٱرتجالا :

ياطيبَ يومٍ حَجبتْ شمسَهُ   سحائبٌ تُمطرُ كافورا

لما توارت تحت أستارِها   مجّت لنا من ريقها نورا

* * *

وقال فى الأكثر من أهل الزمان :

إذا كان هذا الجهلُ قد شاعَ فى الورى   فذو العلم فيما بينهم هو جاهلُ

فإن قال مالم يعرفوا قدرَ لفظهِ   ولا قيمةَ المعنَى ، فما هو قائلُ

وإن هو بالصمت ٱستجارَ لسانُهُ   ففى الصمتِ ذو نقصٍ سواءٌ وفاضلُ

فليس له غيرَ التجاهل ملجأٌ   وأصعبُ شىء عالمٌ متجاهلُ

وكنّا سمعنا فى الزمان «بباقلٍ»   وهذا زمانٌ كلُّ أهليهِ « باقلُ »[3]

---

(١) السمرات : جمع سمرة وهى شجرة من العضاه تغمى البيوت بخشبها — وليس فى العضاه أجود خشبا من السمر — . (٢) أزر : جمع إزار وهو معروف . (٣) باقل : رجل يضرب به المثل فى العى .

***

وقال :

هززناكُمُ بالمـــدح نَجنِى ثمـارَكم ... ونحلُبُ من أخلافِ(١) وُجدِكُمُ(٢) وَفْـــرا

فـلم نحـظَ من رِيح الثنـاءِ بطـائلٍ ... فرُدُّوا كرأس المـال أو بعضِه شِعرا

فإن أنتمُ لم تنصفـونا فإننـا ... سنقتصُّ من أعراضكم ذلك الـوِترا(٣)

إذا المنـع والإعطـاءُ(٤) كان خيـارُه ... إليـكم تخـيَّرْنا المذمَّةَ والشكـرا

فـلا تحســبوا أنَّا إذا نلـتم الغنـى ... ولم تُشْركونا فيــه نُوســعكم عـذرا

***

وقال فى مثله :

بِتنا على «الزَّوراء» نهـدِمُ كلَّ ما ... بَنَتِ القـلوبُ من الأمانى الزُّور

لمـا لقينا من تجاهلك عصبةً ... نضحَتْ بشكواها ذَفَارَى(٥) العِـيرِ

إنّ امرأً سلكتْ إليـك ركابُهُ ... بخـا لقـد دلّى بحبـلِ غرورِ

***

وقال فى سحابٍ و برقٍ ومطرٍ وبَرَد :

غـــرَّاء تحسَبها غُمودًا كلّمـا ... شهَـرت بوارقُها بها أسيـافا

---

(١) أخلاف : جمع خلف — بكسر الخاء — حلمة الضرع . (٢) الوجد — مثلثة الواو — : الغنى والسعة . (٣) الوتر : الثأر . (٤) فى الأصل «المدح» ولعله تحريف . (٥) ذفارى : جمع ذفرى وهى فى الحيوان من لدن المقـد الى نصـف القذال ؛ وقيـل : هى العظمة خلف الأذن .

كُسِيَ الثّرَى لمّا هَمَتْ فطنتها ... بالحَـزْنِ(١) عِيرا(٢) أُوقرت أفوافا(٣)

وتناثرت دُرَرا عليـه دموعُها ... لمـا جَمَدن نخلتُها أصدافا

* * *

وقال :

قالوا : ذر الشعرَ وكن عائذا ... بالله يصرفْ عنك شيطـانَهُ

في الناسِ جَهلٌ وبهم شِـرَّة ... لأجـل ذَيْنِ صغَّـروا شانَهُ

لم يفقهوا اللفظ ولم يفهموا الـ ... ـمعـنَى ولا يَدرون مـيزانَهُ

فكلُّهــم يُنكِـر رُجحـانَه ... وكلُّهــم يجهــلُ نقصـانَهُ

قلتُ : أمن أجل عمًى فيهـمُ ... لا يُظهــرِ المعــدِنُ عِقيانَهُ!

هبُــوا لساني راعِيـا ناعقـا ... دعا بمـا تجهــلُه ضـانَهُ،

قـد يُطـرِبُ القُمرِيُّ أسماعَنا ... ونحن لانفهــم ألحـانَهُ

* * *

وقال :

أحاط بيَ العُــذَّالَ حتى صرفتُهـم ... بأنّ الهــوى طبـعٌ ولا يُنقَلُ الطبعُ

رأَوا كُلَّ ما أبصرتُهُ أنا عاشـقٌ ... ومـا تسمع الأذنانِ ليس له نفــعُ

فقالوا : وقلبي ليس يقبَل نصحَهم ـ : ... أخــونا له عينٌ وليس له سمـعُ

(١) الحزن : ضد السهل ؛ وإسم موضع . (٢) أوقرت : حلت وأثقلت . (٣) أفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن ، أو هو قطع القطن .

***

وقال فى الشَّيب :

تخاوصت الحسناءُ عن شَيب لِمَّتى (١) (٢) ولم تلتفت إلى منىً القـلائلِ

وليس بياضا مارأت من شُعاعهِ ولكنّه نُور النُّهى والفضائلِ

***

وقال يعاتب صديقا له :

كان الوداد منغَّصا (٣) لوُشاتنا ولو ٱرتمـوا ما بيننا بفواقـرِ (٤)

تُحطى ظواهرُنا فنُغمِضُ عيننا (٥) عنها ونطمحُ (٦) فى صوابِ ضمائرِ

متحلِّى عُقَـد الضغائنِ كلَّما نصبَ الحسودُ لنا حِبالة ماكرِ

أيامَ لا عِرسُ الإخاء بطالِقٍ منّا ولا أُمّ الصفاءِ بعاقرِ

فالآن أقلقنا الحسودُ كما ٱشتهى فينا ونفّـرنا صفيرُ الصافرِ

وكأنّما كانت وساوسَ حالمٍ تلك المودّةُ أو فكاهـةَ سامرِ

ومتى ثكلت مودّةً من صاحبٍ فلقد عدِمت بها سوادَ الناظرِ

ولذاك نُحتُ على إخائك مثلما ناحَ الحمامُ على الربيـع الباكرِ

هيهات لستَ بواجدٍ من بعدها مثـلى ببـذلِ بضائعٍ ومتاجرِ

(١) تخاوصت : غضت من بصرها . (٢) اللمة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
(٣) فى الأصل « مفصا » . (٤) الفواقر : جمع فاقرة وهى الداهية التى تكسر الفقار وهى عظام الظهر . (٥) هذا الشطر مشوه فى الأصل ؛ وفى مختارات البارودى هكذا :

* تحظى ظواهرنا فيغمض عتبنا *

(٦) كذا بالأصل وتحتمل أن تكون « ونطمع » .

لا تَنبِذ الخُـلّانَ حولك حَجْرةً (١) فالعينُ لاتبـقى بغـير محـاجرِ

ماكنتُ أحسبُ أنّ صِبغةَ ودّنا ممـا تحولُ عـلى الزمان الغـابرِ

ولـو أنّنى حاذرتُ ذاك فـديتُها منـه بلونِ ذوائبى (٢) وغـدائرى

لكنَّ كلَّ غريبـةٍ وعجيبـةٍ من فعلِ هـذا المَنْجَنونِ (٣) الدائرِ

فلئن أقمتَ على التصارُم (٤) لم تجـدْ ربّما سِوى عَتبِ الحبيب الهاجرِ

وإن آستقلتَ أقلتُهـا وجزاؤهـا منّى مَثوبةُ تائبٍ من غافـرِ

حتى ترى سُحُب الوصـال معيدةً ذاك الهشيمَ بجمـيمَ (٥) روضٍ ناضرِ

إن الغصونَ يعودُ حُسنُ قَوامها من بعـد ما مالت بهزِّ صراصرِ (٦)

أنا من علمتَ إذا المناطقُ لجلجتْ ألفاظها أو غامَ أُفْـقُ الخـاطرِ

ما بين ثغرى واللَّهازم (٧) بَضعةٌ هزئتْ بشقشقةِ الفنيقِ (٨) الهـادرِ

متحكِّمٌ فى القـول ، يلقُط دُرَّه غَوصِى ولو من قعر بحرٍ زاخرِ

وإذا نثرتُ سمَت بلاغةُ خاطبٍ وإذا نظمتُ علتْ فصاحةُ شاعرِ

لى فى مطايا الفضـلِ كلُّ شِمِـلَّةٍ (٩) أبـدا أرحِّلهـا لزادِ مسافـرِ

كم موردٍ عرضَ الزُّلالَ لمشربى روَّعتُـه وبخعتُـه بمصادرى

(١) حجـرة : ناحية . (٢) ذوائب : جمع ذؤابة وهى منبت الناصية من الرأس . (٣) المنجنون : الدولاب . (٤) التصارم : التقاطع . (٥) الجميم : ما غطى الأرض من النبات . (٦) صراصر : جمع صرصر وهى الريح الشديدة الهبوب والبرد . (٧) اللهازم : جمع لهزمة وهى مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن . (٨) الفنيق : الجمل المكرم لا يركب لكرامته على أهله . (٩) الشملة : الناقة المسرعة .

إن رثَّ غِمدى لم ترِثَّ مَضار بى أو فُـلَّ حدّى لم تُفَـلَّ بصائرى

تأتى جيادى فى الرِّهان سوابقـا وجيادُ غيرى فى الرعيـلِ العاشر (١)

ومجالسُ العلماء حشوُ صـدورها أنا ، والذُّنابَى للجهــول الحائر

إن قال أقـوامٌ علىَّ مَناقصـا لم يضرُر الحسناءَ عيبُ ضرائر

لو لم تكن فى وســط قلبى حَبَّةً لسلوتُ عنك سُلُوَّ بعض ذخائرى

ولقلتُ : ما هـــذا بأوّلِ ناقضٍ عهــدا ولا هـــذا بأوّلِ غادرِ

لكن حللتَ من الفـــؤاد بمنزلٍ أصبحتَ فيه ربيبَ بيتٍ عامرِ

شِـــيَمى على جَوْر الزمان وعدلِه أنى أقـولُ : لَعًـا لرِجلِ العاثرِ (٢)

✣

وقال يستهدى بعضَ أصدقائه مدادا :

هل فى جُنوبِ «اللّوى» وجدٌ فأطربَهُ بأنـــةٍ أرسلتْهـا حَنَّــةُ العِــيرِ؟

أم روضةُ الحَزنِ من دمعى على ثقـةٍ فــلا تحيِّ حيَا الغُـــرِّ المباكير (٣)

ومن يكن غرّه فى الحبِّ غادرُه فقـــد هويتُ ولُبِّى غيرُ مغـــرورِ

وما ركبتُ الهوى إلا وقـد علمتْ نفسى بمـا فيه من هول وتغرير

أغشَى الحِيـامَ بذلٍّ ليس يطـــرُدُه لَفتُ الخـدودِ وإعراضُ الأساوير (٤)

---

(١) الرعيل : القطعة القليلة من الخيل .

(٢) لعا : كلمة تقال للعاثر بمعنى قم وانتعش .

(٣) الغر المباكير : السحاب تمطر فى أول الوسمى .

(٤) فى الأصل « الأساوير » وهو تحريف .

دون الأمانيّ فيهــم كلّ لاذعةٍ ... والشّهــدُ من دونه لسعُ الزنابيرِ

ما للزمان تُحَـــلِّى لى خدائعُـــهُ ... أكلَ المُرارِ (١) بأنواعِ الأزاهـــيرِ

لا يَتبع العينَ قلبى وهى تابعـــةٌ ... وكيف طاعةُ ذى أمرٍ لمأمـــورِ

وصاحب لا يدُ التجــريب تنقُــدُه ... ولا سبائكُهُ تصـــفو على الكِــيرِ (٢)

يسيءُ حـــتّى اذا فاحت إساءتُه ... رمَى وراء الخطـايا بالمعـاذيرِ

تركتهُ بعبَـاءِ الغِـــلّ مشـتملا ... يُكنُّ للغيظ جُرحا غيرَ مســـبورِ

حاشَ الذى شفَّ لى عن كلّ خالصةٍ ... كأنَّ كَشحيْــه صِيغا من قواريرِ (٣)

لا يحتـــبى ببيـــوت النـافقاءِ (٤) ولا ... يروح مشـــتملا ثوبا من الزورِ

أيا ابنَ ودّى انتسابا ماله رحِـــمٌ ... إلا الذى فيك من فضـلٍ ومن خيرِ،

إليـــك أشــكو مشيبا لاح بارقُــهُ (٥) ... فى فــرع دهمـاءَ تجرى بالأساطيرِ

كانت مَفارِقهـا مسـكا مضمَّخةً ... فما لها بُدّلت منـــه بكافـــورِ

ومقـــلةٌ عُهِــدتْ كحـلاءَ مرُّها (٦) ... طـولُ البكاءِ على بِيض الطـواميرِ (٧)

كانت دجَى حسَــد الإصباحُ لِمّته (٨) ... بجَــزّها بحسـامٍ منـــه مشهـورِ

---

(١) المرار : شجر اذا أكلته الإبل قلصت مشافرها لشدة عفوصته . (٢) الكير : زق ينفخ به الحداد . (٣) القارورة : الزجاجة . (٤) النافقاء : ناحية جحر الضب التى يخفيها ليتفق منها إذا أتى من قاصعائه وهى باب جحره الظاهر . (٥) يريد أن الحبر أبيض من كثرة خلطه بالماء فكنى عنه بالمشيب . (٦) مرهها : أخلاها من الكحل . (٧) الطوامير : جمع طامور وهو الصحيفة ، — وهو يصف بهذه الأبيات الدواة — . (٨) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

يا حبّذا هى والأقلامُ واردةٌ — فيها وصادرةٌ سُحْمَ المناقيرِ (١)

كأنّما كَرَعَت (٢) فى ناظرَىْ رشإ — أو فى سُوَيداءِ قلبٍ غير مسرورِ

تحوى القراطيسُ منها روضةً أُنُفًا (٣) — فيها مُفاخَرة الظلماءِ للنّورِ

فكيف لى بخضابٍ تستردُّ به (٤) — من الشبيبة لونا غير مهجورِ

ذؤابة النار شطرٌ فيه معتمدٌ — وفيه للنّحل شطرٌ غير مبرورِ

قد أحكمته يدُ الطاهى فناشَله (٥) — بجاذب القوس عن نزعٍ وتوتيرِ

فجاءنا بغُدافٍ (٦) لا تسابقه — شُهبُ البُزاةِ الى نخرٍ وتنفيرِ

لو أنّ صبغته فاز الشبابُ بها — لما رمَى الدهرُ فَوْدَيْهِ (٧) بتغييرِ

وحاجة النِّقس (٨) إن قلّت وإن كثرت — اذا سمحتَ بها — مثلُ الدنانيرِ

✦

وقال يستهدى أقلاما :

ما زال يكشف عنّى كلّ طارقةٍ — ما خوّل الله من صُمّ الأنابيبِ

إن أمطرتْها بنانٌ جاش غاربُها (٩) — على المهَارقِ (١٠) منهلَّ الشآبيبِ (١١)

---

(١) سحم : جمع أسحم وسحماء وهى السوداء . (٢) كرعت : شربت . (٣) الروضة الأنف : التى لم تطأها قدم . (٤) يريد الحبر . (٥) ناشله : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة . (٦) الغداف : الغراب الأسود — وهو كناية عن الحبر — . (٧) الفود : الشعر فى جانب الرأس . (٨) النقس : الحبر ؛ وفى الأصل "النفس" وهو تصحيف . (٩) الغارب : معظم الماء . (١٠) المهارق : الصحف . (١١) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

حتى بلغن الى الغـاياب حاسرةً ... هُتْمَ(1) السنـابكِ(2) من بدءٍ وتعقيبِ

وآحتضَرتْها المُدَى(3) نحتًا وقد فُلِقتْ ... هاماتُها بين تصـعيدٍ وتصويبِ

فعادَ من طول ما يبرى عَشَنَّقُها(4) ... مدغمًا(5) بين أطـرافِ الرواجيبِ(6)

وعنـدك الدوحةُ العليـاء تُنبِتهـا ... مَنابتَ النبع(7) فى شُمِّ الشَّنـاخيبِ(8)

فقُدْ الىَّ جيادا مـن ضوامرِها ... صمَّ السنابكِ(9) سَبْطاتِ الظَّنابيبِ(10)

تختـال فى حبرَات الوشى تائهـةً ... على متونِ العـوالى والقواضيبِ(11)

لو أن بعض غصون الأيك أشبهها ... ألهى الحمائمَ عن شـدوٍ وتطريبِ

ولـو يبايعنى الخَـطِّىُّ(12) أنفَسَـه ... لم أعطِه شـطرَ أُنبوبٍ بأنبوبِ

وحَملُ كفِّى على الأقـلام تُرسلها ... يطلب(13) حملى على الجُردِ(14) السَّراحيبِ(15)

لا يملِك الفارسُ المغوارُ شِـدّتهُ ... ولا بسالتَه إلا بمركوبِ

---

(١) هتم : جمع هتماء وأهتم وهو الذى سقطت أسنانه . (٢) السنابك : أطراف السيوف واحدها سنبك . — والمراد بها هنا أطراف الأقلام — . (٣) المدى : جمع مدية وهى السكين — والمراد بهـا المبراة — . (٤) العشـنق : الطويل ليس بضخم ولا مثقل . (٥) مدغما : مسود الوجه . (٦) الرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، واحدها راجبة . (٧) النبع : شجر ينبت فى أعلى الجبل . تتخذ منه القسى ومن فروعه السهام . (٨) الشناخيب : جمع شنخاب وهو أعلى الجبل . (٩) صم السنابك : صلاب أطراف الحوافر — والمراد بها الأقلام — . (١٠) سبطات الظنابيب : لينات حروف السيقان ، واحدها ظنبوب . (١١) العوالى والقواضيب : الرماح والسيوف . (١٢) الخطى : الرمح — منسوب الى الخط وهى مرفأ السفن بالبحرين — يقال : رماح خطية — على الوصف — ، ورماح الخط — على الاضافة — . (١٣) فى الأصل هكذا « الطلب » . (١٤) الجرد : الخيـل القصيرة الشـعر ، واحدها أجرد وجرداء . (١٥) السراحيب : جمع سرحوب وهى الفرس الطويلة — توصف به الإناث لا الذكور — .

***

وقال يستهدى كاغِداً خراسانياً (١) :

تظنُّ فراقاً أن تثارَ حُمُولُ ... وهل مثلُ إعراض الوجوهِ دليلُ؟

وإن الصدودَ والتجنّي وإن دنت (٢) ... ديارهُمُ وخدٌ لهم وذميلُ

وكانَ شفاءً لى لو آنّ طُلولهَم ... خُلقنَ ركاباً والركابَ طُلولُ

كأنّ الحمامَ الوُرقَ حادٍ غصونه ... ليُدرِكَهم، والبانُ كيف يزولُ!

ألا إنهم كالخمر أحسنُ صنعِها ... إلى شاربيها أن تزولَ عقولُ

تروون يا آل «المُهيّا» سَرحكم ... وبابن أبيكم فى الفؤادِ غليلُ!

ومالى إلى ماء السحائب حاجةٌ ... ولكنْ ببينٍ جائدٌ وبخيلُ

أيوعدنى الأقوام أن ودَّت المُنَى ... بأنّا لبعض الفاركاتِ بُعولُ! (٣)

يقولون: كرُّ الطَّرفِ فى السِّربِ غارةٌ ... عليه، وأطماع النفوس ذُحولُ (٤)

فلا تنذروا سفكَ الدماء لترعوى ... فكلُّ صريعٍ بالغرام قتيلُ

أبى القلبُ إلا حبَّها «عامرِيّةً» ... بها السيف واشٍ والسنان عذولُ

أخافَ الغيورُ السُّبلَ بينى وبينها ... فما إن لنا إلا الخيال رسولُ!

فياليت أن النجمَ ضلَّ طريقَه ... وعُمْر الدُّجَى فى الخافقين طويلُ

---

(١) الكاغد: — بكسر الغين وفتحها — القرطاس، فارسى معرب. (٢) فى الأصل «نأت» والمعنى لا يستقيم بها؛ والوخد والذميل: ضربان من سير الإبل. (٣) الفارك: المرأة التى تبغض زوجها. (٤) ذحول: جمع ذحل وهو الثأر، وفى الأصل «دخول» وهو تصحيف.

كما طالَ ليلُ الحِـبر عندى ومالَه إلى الضوء من صبح البياض سبيلُ

وظلَّت أنا بيبُ اليراع طــريحةً كما يتلوَّى فى الفــراش عليــلُ

تَشَهَّى[1] على كفّى ولو سلخ أرقـم[2] تَبَخـتَرُ فى أعطافـه وتجــولُ

فمن لى بخزَّانٍ لديه صنيعـةٌ يجــودُ بمـا جادت به فينيــلُ

وما أنا باغٍ غـيرَ تِسـعينَ رَيْطة[3] تَكافأ عَرضٌ عندهنَّ وطــولُ

نواعمَ قـد أفرِغن فى قالَب المُنَى فكلٌّ لكلٍّ فى القَـوام عديلُ

صحـائف لو شئنا لقلنا : صفائحٌ فما منهما إلا أغــرُّ صقيــلُ

إذا صافحتْهنَّ النواظـرُ عاقها شُعاعٌ يردُّ الطَّــرفَ وهـو كليلُ

وإن زَغزَغتهنَّ[4] البنانُ تضاحكتْ ؛ قَهاقهُ فى ترجيعهنَّ صَليــلُ

على مثلهـا يُلقِى الغَيــورُ رداءَه ويُغـلِى علينا مهرَها فيُطيــلُ

ولكن إلى رخو المفاصل فى الندى خطبنا ؛ فقد جُرَّت لهنَّ ذيولُ

وأفــوزُ قِدح[5] قِــدحُ خلٍّ رِشاؤه[6] بحاجاتنا فى الأبعدين كفيــلُ

* * *

وقال يستهدى شرابا :

إن لم أكنْ من راضعى الخمرِ ولم أداو السكـرَ بالسكرِ ،

---

(١) يريد : تتشهى . (٢) الأرقم : الثعبان . (٣) الريطة : الملاءة — والمراد بها الورق — . (٤) الزغزغة : تجييش فى المغابن كالإبط وأخمص القدم يحدث عنه انفعال يضطر الى الضحك ، وفى الأصل « زعزعتهن » وهو تصحيف . (٥) القدح : سهم الميسر . (٦) الرشاء : حبل الدلو — وهو هنا مجاز — .

ولا إذا ما رَكَدتْ خيلُهَا أجريتُهَا فى حلبـةِ الصـدرِ :

فإننى أهـــوَى النّدامَى وما يأتونـ من خيرٍ ومن شرّ

وأعشق الكأسَ ، وسلطانُها يأخذهـــم بالنهى والأمرِ

كأنمـا الراحُ براحاتهـــم كواكبٌ فى فَلكٍ تجـــرى

منتظمو الأيدى بأدوارهـا كنظمك الأحرفَ فى السطرِ

ياقوتُها الأصفـرُ أمواههـم يَنْبُتُ فيهـا زَهَـــرُ الدُّرّ

تحظى بها عينى وحاشا يدى منهـا وحاشا موضـعَ البشرِ

بل ربمـا طاف بهـا أهيفٌ أجفانه من صُحُفِ السـحرِ

مِن سَبَجِ الإظلامِ أصداغُهُ(١) ووجهُـهُ من جوهرِ البدر

والراح لا يرضَى سواها قِرًى ولو قَـرَيناه مِنَ التّـبرِ

إذا علاها زَبَـدٌ خلتَـه سُحْبًـا عليها شَنَبُ(٢) الثغـرِ

وليس لى ممّـا بها قَطـرَةٌ يا واكفَ الأنواءِ بالقَطـرِ

جِـدْ بها تُشبِهُ فى عَرفِها عِرضى وفى رِقّتِها شِـعرِى

أنتَ صَريفِينِى(٣) وقُطْـرُبُلِّى وموضعُ الشكرِ من الدهــرِ

---

(١) السبج : الخرز الأسـود . (٢) الشنب : ماء الأسـنان ورقتها وعذوبتهـا .

(٣) صريفين : قرية عند عكبراء تنسب اليها الخمر ، وقطربل : موضع بالعراق تنسب اليه الخمر أيضا .

* * *

وكتبَ الى أبى الحسَن بن نصر الكاتبِ جوابا عن رُقعة :

لو يهتدى وصبى إلى شـغَفى   خُطِمتْ[1] بنا فى غاربِ[2] الصُّحُفِ

وتركتُ أقــلامى مُقَلَّـــةً[3]   وخواطــرى مترَوحة[4] النُّطَفِ[5]

شــوقا إليك وما رُمِى جلَدى   بسهام هجــرٍ أو نوًى قُــذُفِ[6]

ما مرَّ يــومٌ لا أراكَ بـــهِ   إلا على خطبٍ من الأسفِ

متلفتــا تِلقــاءَ داركُمُ   أرنو بعيــنَىْ مغــرم دنِفِ

فاذا طمحتُ لَوَى الهوى عُنُقى   وإذا جمحتُ فسـائقى كلَفى

وإذا آنصرفتُ فإنمــا جسدى   ولَّى وقلبى غــيرُ منصرفِ

من ذا ينيلُ جوارحى أمــلا   ومــواعدُ الآمال للخُــلُفِ

طَرفٌ نـــفَى إنسانَ ناظـرِه   عنــه آقتناعا منــك بالخَلَفِ

والســمعُ منيتــه مفاوضــةٌ   معقــودةٌ فى موضع الشَّنِفِ[7]

ويريد جثمانى مصاحبــةً   مثلَ آصطحابِ اللام للألِفِ

ومطامعى هــــذى تَصَيُّدُهَا   كتصيُّد الشَّغواءِ[8] فى الشَّعَفِ

---

(١) خطمت : جعل عليها الخطام وهو الزمام .   (٢) الغارب : ما بين السنام الى العنق — وهو ما يلقى عليه خطام البعير — .   (٣) مقللة : مثلثة مكسورة .   (٤) فى الأصل . "مترَوحة" وهو تصحيف .   (٥) النطف : جمع نطفة وهى الماء الصافى — قل أوكثر — .   (٦) قذف : بعيدة تقذف بصاحبها .   (٧) الشنف : القرط يعلق فى أعلى الأذن — والأصل فيه سكون النون — ، والبيت ورد هكذا بالأصل وفيه تأمل .   (٨) الشغواء : العقاب ، وفى الأصل « الشعواء » وهو تصحيف .   (٩) الشعف : جمع شعفة وهى رأس الجبل .

يا أيّهذا الخــلُّ دعــوةَ مَنْ	أثقلتَــه بالقـــرض والسّلَف (١)
لا تُسرفَنْ فى الـودِّ معتمــدا	رِقِّى فإنّ البخلَ فى السَّرف
قد جاءنى القرطاسُ (٢) مكتسيا	ببدائع كالدّرّ فى الصَّـــدَف
فكأن راحتَـــك الربيعُ فـما	تُخــلى الرّبَى من روضة أُنُف (٣)
ألقت فُــوَيقَ مناكبى مِنَنًا	مضمونها جبرى على الكُلَف (٤)
حسبى عوارفك التى جمعتْ	بين اللُّهَى (٥) لى منكَ والشّرف

* * *

وكتب إليه أيضا :

يا ماءَ «لِينَــةَ» (٦) لو نقعتَ أُوامى (٧)	كانت حِياضُك لى كئوسَ مُدامِ
لا يعذِلُ (٨) المشغوفُ عن سَنَن الهوى	ولو انّ حدَّ العذل غَرْبُ حُسام
كيف السلوُّ وليس يَسْلُكُ سمعَــه	إلا حنينٌ أو بكاءُ حَمـامِ
حتى كأنّ القلبَ مدّ حجابَهُ	ليردَّ عنـــه طــوارقَ اللُّــوّامِ
ولقد عرضتُ على السلوّ جوانحى الـ	حــرّى فلم يَرهنَّ دارَ مقامِ
ما ضرّ من زار الغَـــيورَ أمامَــهُ	لو زار فى ثوبٍ من الأحلامِ؟

(١) فى الأصل «بالفرض» وهو تصحيف . (٢) القرطاس : الصحيفة . (٣) الأنف : التى لم يرعها أحد . (٤) كلف : جمع كلفة وهى المشقة . (٥) اللهى : جمع لهوة وهى أجزل العطايا . (٦) لينة : موضع فى بلاد نجد به ركايا عادية وماؤها عذب زلال . (٧) الأوام : شدة العطش . (٨) فى الأصل "يعذك" فهو تصحيف .

جُزْ «باللوى» إن كنتَ تُؤثر أن ترى ... حَدَقَ المها(١) وسوالفَ الآرامِ(٢)

وتأنَّ فى نظرِ الخدور(٣) فبينها ... صورٌ تبيحُ عبادةَ الأصنامِ

ناضلننا بنوافذٍ مسمومةٍ ... ووددتُ لو قبلتُ سهمَ الرامى

وكَنَنَّ فى الأيدى خضابًا ناميا ... ونظيره فى القلب حبٌّ نامِ

ليس البراقعُ كاسمها لكنها ... يومَ الوداع كنائنٌ لسهامِ

بينى وما بين الكواعب موعدٌ ... يُلقِى إلى كفِّ المشيبِ زمامى

لا ينتهى الطيفُ المزاورُ مضجعى ... عنّى وفى فَوْدَىَّ(٤) جُنحُ ظلامِ

والدهرُ ذو شيئين يصبغ لِمَّتى(٥) ... كلتاهما بالصبح والإظلامِ

قد كنتَ بُهمَى(٦)، جَعدة(٧)، خسيّة(٨) ... فبأىّ ماء صرتَ نَوْرَ(٩) ثَغامِ(١٠)؟

أعلىَّ تقترعُ الليالى بعد ما ... غلَّت يديها شِرَّتى وعُرامى(١١)؟

تلهو بحَوْذان(١٢) «العراق» ركائبى ... وعزائمى ترعَى رياضَ «الشامِ»

لِى فى بطون اليعمَلات(١٣) مَزادةٌ(١٤) ... تُروِى إذا غدَر الغديرُ الطامى

---

(١) المها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية . (٢) آرام : جمع رئم — على القلب — وهو الظبي الخالص البياض . (٣) فى الأصل : «الخدرد» وهو تحريف . (٤) الفود : شعر الرأس من جانبيه . (٥) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٦) البهمى : نبات يشبه الشعر . (٧) جعدة : ملتوية متقبضة مع لين . (٨) خستية : — منسوبة الى الخس نبت وهو بقلة معروفة عريضة الورق لينة . (٩) النور : الزهر . (١٠) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر ، كأن جماعتها هامة شيخ — يخاطب الشعر — . (١١) الشرة والعرام : الشراسة . (١٢) الحوذان : نبات سهلى حلو طيب الطعم . (١٣) اليعملات : الإبل . (١٤) المزادة : وعاء الماء .

وإذا الجفانُ الغُرُّ[1] طلّقت الضحى ... حَنَت الظُّبَى[2] من غارب[3] وسَنامِ[4]

كم بازلٍ كوماءَ[5] أخطأها القِرَى ... رُدَّت فريضتُها[6] إلى الأزلامِ[7]

إن القناعة مذ خَطمتُ بحبلها ... طمعى تساوت رحلتى ومقامى

فالبِيدُ عندى كالقصور ونهضتى ... كتثبُّطى والوُجْدُ كالإعدامِ

أَلِقَ بنى هذا الزمانِ مُهجهجا[8] ... زجرَ الحُداةِ بهيمةَ الأنعامِ

أشخاصُهم لا حِسَّ فى عَرَصاتها[9] ... وقلوبُهم ثكلى من الأفهامِ

حسبى وقد أصبحتُ فذًّا[10] بينهم ... بك يا "أبا الحسَن" الشقيق تؤامى[11]

حَملَتْ بنا فى ليلةٍ مزءودةٍ[12] ... أمُّ الجلالِ الغرّ حملَ تمامِ

وتكفّلت ظِئرُ[13] العلا برَضاعنا ... حولَين ما تحصيهما لفطامِ

حتى إذا الآداب شُدَّ نِطاقُها ... زُفَّت إلى شُمّ الأنوف كرامِ

يَسْبون أبكارَ المعانى حيثما ... شنُّوا الإغارةَ وهى غيرُ حرامِ

هذا هو النسبُ الصريحُ وغيرنا ... يختال بالأخوال والأعمامِ

لوكان نصلُ إخاىَ يصدئه النوى ... لصقلتُه بالوصل والإلمامِ

---

(١) الجفان الغر : القصاع البيض . (٢) الظبى : جمع ظبة وهى حد السيف والسنان وغيرهما — والمراد بها هنا المدى — . (٣) الغارب : الكاهل . (٤) السنام : أعلى ظهر البعير .

(٥) البازل الكوماء : الناقة العظيمه السنام . (٦) الفريضة : ما فرض فى السائمة من الصدقة .

(٧) الأزلام : جمع زلم وهو أحد سهام كانوا يستقسمون عليه فى الجاهلية . (٨) مهجهجا : صائحا .

(٩) العرصة : ساحة الدار وهى هنا مجاز . (١٠) الفذ : الفرد . (١١) التؤام : الزوج .

(١٢) مزءودة : مروعة مذعورة — كناية عن شدتها — . (١٣) الظئر : المرضع .

لكننى والبينُ يَحــرُق نابَه ... أفترُّ عن ثغرِ الهــوى البسّامِ

أنتَ النهـارَ تذكُّرى وتفكُّرى ... والليـــلَ أحلامى وطيفُ منامى

إن كان أقوامٌ نظامُ فـرائدٍ ... كنتَ النظامَ وسِـلكَ كلّ نظامِ

أنا عن سوابقـك الجيـادِ مقصّرٌ ... ومسـلِّمٌ يومَ الرِّهانِ لحـامى

⁂

وقال من قصيدة ولم يُتمّها :

قلتُ « لعمرو » جَذِلا ... أُشجُجْ[1] بهـا هامَ الفلا

فـا آجتويتَ مـنزلا ... إلا انتجعتَ مـنزلا

وإنّ من تسجُنه ... أوطـانُــه لمُبتَــلَى

قعيـدةُ الخـدرِ فـا ... تعـرِفُ إلا المِغـزَلا

أما تـرى الطـائرَ فى ... أُفحُـوصه مقلقَــلا؟

يستخدم الجَنـوبَ فى ... جَناحِه وَالشَّــمألا

مُخــلِّفـا وراءه ... حمامـــةً وجَـوْزلا[2]

إمـا يصيبُ جازئـا[3] ... من قُـوته أو أجـدَلا[4]

والقـدَر المحتـومُ لا ... يحُـزُّ إلا المَفصِــلا

لمـا رأيتُ الذلَّ قـد ... أبـرز نابًا أعصَــلا[5]

---

(١) أشجج : شق . (٢) الجوزل : ولد الحمام . (٣) الجازىء : ما اكتفى به من الطعام . (٤) الأجدل : الصقر . (٥) الأعصل : الأعوج .

شاورتُ عزمى : ماترى؟ فقـال : هات وهَـلا (١)

إمـا عِتـاقا (٢) للنَّجـا ء أو هِجـانا (٣) بُـزَّلا (٤)

✦✦✦

وقال :

أرى الأمـوالَ فى اللؤماء تثوى وتجتنبُ الكرامَ من الرجالِ

كذاك الدُّرُّ فى مِلـحٍ أُجاجٍ وليس يكون فى عَذبٍ زُلالِ

✦✦✦

وقال :

قلقلْ ركابَك فى الفـلا ودع الغـوانىَ للقصورِ

فمحالفـو (٥) أوطانهـم أمثالُ سُكّان القبـورِ

لولا التغـرُّب ما ٱرتقَى دُرّ البحورِ إلى النحورِ

✦✦✦

وقال فى الغَزَل :

عينى التى علِقتْ حبائلُكم بهـا والحسنُ للعينِ الطموحةِ صائدُ

وخدعتمُ سمعى بطيبِ حديثكم ومن الكلام لآلئٌ وفـرائدُ

وتردّد الأنفاسِ مَلّكَ عرَفكم (٦) ما ليس يبلغُه العبيرُ (٧) الجـاسدُ (٨)

(١) هلا : كلمة تستعمل لحث . (٢) العتاق : كرام الخيل . (٣) الهجان : الكرام من الإبل . (٤) البزل : جمع بازل وهو المسن من الإبل . (٥) فى الأصل «فمخالفى» وهو تحريف . (٦) العرف : الرائحة الطيبة . (٧) العبير : أخلاط من الطيب . (٨) الجاسد : اليابس ، وفى الأصل "الحاسد" وهو تصحيف .

وأحلتُمُ قلــبى على أخلاقـكم فاذا السُّلافة[1] والزلالُ[2] البـاردُ

وبقى لسـانى وحدَه لى زاجرا هيهات، لا غَلَبَ الجماعةَ واحدُ!

⁂

وقال فى مثله :

لا تَظُنَّنَّ بى سُـلُوًّا وإن كنـ ـتُ عزيزَ الدموع بين الجفونِ

إنما يصعبُ الدفينُ من الدا ءِ وسهـلٌ ما كان غيرَ دفينِ

وبكاءُ القـلوبِ أسرفُ فى حكـ ـمِ المحبّينَ من بكاءِ العيـونِ

⁂

وقال يهجو :

أيا وَلد "الحُصَين" وما "حُصَينٌ"؟ لمـاذا — ضلَّ سعيُك — هِجتَ حَربى

أطلتُ تفـكُّرى فـرأيتُ علمى وجهــلُك ضـدُّه فعـرفتُ ذنبى

وما أهجـوك أنك أهــلُ هجـوٍ ولكنّى أجـرِّبُ فيــكَ ضربى

وهــل عيبٌ[3] على شَفَـراتِ سيفى إذا اَستحننتُها فى لحـمِ كلبِ

⁂

وقال فيه :

لا تغتبط يا بنَ "الحُصَينِ" بِصِبيَةٍ أضحت لديك كثيرةَ الأعـدادِ

لا فخـرَ فيـك ولا افتخارٌ فيهمُ إن الـكلابَ كثيرةُ الأولادِ

(١) السلافة : الخمر . (٢) الزلال : الماء العذب . (٣) فى الأصل «عتب» .

* * *

وقال فى ٱبن دارَسْت :

قالوا : ٱبنُ " دارستنا " وزيرٌ فقلتُ : لفــظٌ بغـــيرِ معــنَى
مثـــلُ لديغٍ يُدعَى " سَــليما "(1) "نَصْرًا" و"فَتحا"(2) يُسمَى ويُكنَى
كــأنّمــا وجهـــه كتابٌ ســوِّدتَ فيــه ظهــرا وبَطنَــا
بعضُ وُعولِ(3) الجبــال لكن أطــولُهــا لحـــيةً وقَــرنَا
أقبلَ من " فارس " الينــا فى عُصبةٍ كالحَمــيرِ لُكْنَــا
ظننتُهـــم حـــولَه شِــياهــا(4) والشيخَ تَيْســا والدَّستَ دَبْنَــا(5)
يا رائـــدا دُلّنــا عليـــه صدقتَ حِسًّا وخِبتَ ظنًّا

* * *

وقال فيه :

دَستُ الوزارةِ يبتغى حَجَــرا منكم ليستنجِى من الخَبَثِ
أو ليس مفـــترضا طهــارتُه بعد"ٱبنِدارَسْتٍ"من الحدَثِ
ثُنِيَتْ أرائكه على شَــبحٍ خالٍ من الأعراضِ والجثثِ
ولربَّ حىٍّ فى تصـــوُّرِه والمَيْتُ خيرٌ منه فى الجَــدَثِ(6)

---

(١) يقال للدوغ سليم تفاؤلا بسلامته من لدغته . (٢) فى الأصل «قبصا» وهو تصحيف .
(٣) وعول : جمع وعل وهو تيس الجبل . (٤) شياه : جمع شاة وهى معروفة . (٥) الدبن حظيرة الغنم تعمل من قصب ، فإن كانت من خشب فهى زرب — بكسر الزاى وفتحها — ؛ وإن كانت من حجارة فهى صيرة — بكسر الصاد — . (٦) الجدث : القبر .

* * *

وقال فيــه :

لُحِىَ "ابنُ دارَسْتَ" على إمساكه ... فأجاب : إنى باذلُ الماعونِ (١)

أوَلم تكونوا بيتَ بيتَ (٢) جِوارَنا ... فقَــرَيتكُم بالماء فى "كانونِ" (٣)؟!

فأرضوا بأسقيةِ الزلال قِرًى لكم ... ودعوا الجِفانَ فإنها كجفونى

لا كان زادٌ فى وعائك إنه ... سببٌ لطاعمه من الطاعونِ

* * *

وقال عند عزله :

ارجعْ الى ما أنت أهــلٌ لهْ ... شُــدَّ متاعَ القــوم أوحُلَّهْ

قد عثَر الدهــرُ بكم عثرةً ... ودَّ بها لو قطعــوا رِجــلَهْ

إنّ زمانا "لابن دارستَ" قد ... قُــدِّمَ فيــه زمنٌ أبلَهْ

قد قال عذرا حين وبَّختُه : ... لا بدَّ للعالِمِ من زَلَّهْ

* * *

وكتب إلى صديق له أهدى إليـه رُطَبا معسَّلا وصابونا وقواصرَ (٤) تمرٍ يشكره .

ودادُك فى قلبى ألَذُّ من المُنَى ... وذِكْرُك أحلَى فى اللَّهاة (٥) من الشَّهدِ

---

(١) الماعون : المعروف . (٢) يقال : هو جارى بيت بيت أى ملاصقا ، وفى الأصل
* أو لم يكونوا بيت بيت جواركم * والضمائر فى هذا البيت مضطربة فأثبتنا ما رجحناه ليستقيم المعنى .
(٣) كانون : من الأشهر الرومية وهو من قلب الشتاء . (٤) قواصر : جمع قوصرة وهى وعاء من قصب يرفع به التمر من البوارى — وهى الحصر — . (٥) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم .

فلستُ بمحتاجٍ إلى أن تُعينه ... بما تجتنيه الباسقاتُ من الولدِ
ولكنّما أذكرتَني بشمائلٍ ... جعلنَ على المُهدَى الفضيلةَ للمُهدِي
أتتنا هداياك التي لم نجد لها ... جزاءً سوى الشكر المكلَّل بالحمدِ
معاليقُ[1] باقوتٍ تخالُ ثقوبها ... بأبشيزكاتِ[2] التبر نُظِّمنَ في عِقدِ
وإنّ نتاجَ النحلِ والنخلِ واحدٌ ... وهل بين شكلِ الحاءِ والخاءِ من بُعدِ
أتت في مُروطٍ[3] من يراعٍ كأنها ... من القصب المصريّ تختال في بُردِ[4]
وقد قدَّرتْ كفُّ الصُّناعِ[5] التئامَها ... كتقدير "داودَ" المساميرَ في السَّردِ[6]
تعانقنَ فيها كاعتناقِ حبائبٍ ... فما نتعاطاهنَّ إلا على جهدِ
إذا فرّقتهنّ البنانُ تشبَّثت[7] ... بمثلِ هَباءِ الشمسِ خوفا من البُعدِ
وأخرى تجلَّت في قميصِ زجاجةٍ ... كما ضُمِّن القنديلُ لألأةَ الوقْدِ
نفَوا قلبها القاسي وآووا مكانَهُ ... رقيقا وإن ساواه في اللون والقدِّ
فوالله ما أدرى أذاك نَحيتةٌ[8] ... من الزُّبدِ أم هذا مصوغٌ من الزُّبدِ؟!
بكا للتنائي بعضُها فوق بعضِها ... دمًا مُجسَدا في صِبغة اللحم والجلد

---

(١) معاليق : جمع معلاق وهو كل ما علق . (٢) كذا بالأصل وقد شكلت بالقلم ، ولم نعثر عليها ولعلها بمعنى "سلوك" . (٣) المرط : كساء من خز ، وربما تلقيه المرأة على رأسها تتلفع به . (٤) البرد : الثوب . (٥) الصناع : الحاذق الماهر في صنعته .
(٦) السرد : نسج الدرع — ويقال : إن أول من أحكم صنع الدرع داود عليه السلام — .
(٧) تشبثت : تعلقت . (٨) في الأصل هكذا "نحسه" .

وزادت بلون الزعفـران تصبُّغـا ولا تَشْنَعُ[1] الحسناءُ من حمرة الخدِّ

فتـلك بَرانٍ[2] أم مخازنُ جوهرٍ حُشينَ فريداتٍ من العـنبر الوردِ؟

اذا قلَّبتهنَّ الأكفُّ تعجُّبـا توهَّمهـا الراءون تلـعبُ بالنَّردِ[3]

وشهباء[4] يُستجلَى الضَّريبُ[5] بلونِهـا وطينَتُهـا من عنصر الحَجَر الصَّلدِ

مقابلَةَ الأضـلاع ، كان مثالُهـا قياسا "لذى القرنَين" في زُبَر[6] السَّدِّ[7]

عَدُوَّة "مانى"[8] فى البياض، كأنَّها ولونَ المشيبِ قد أقاما على عهدِ

وما عطَّـر الأثوابَ مثلُ مقدَّمٍ على المسك والكافور والعُودِ والنَّدِّ

أيادٍ توالت منك عجْـلَى كأنهـا شَرارٌ أطارته الأكُفُّ من الزَّندِ

وإنىَ فى عَجْـزى عن الشكر سائلٌ مساعدَتى مَن كلَّم الناسَ فى المهدِ؟!!

* * *

وقال يهجو :

ضيوفُ "ابن فَضلانٍ" سواءٌ نهارُهم وليلُهـمُ صوما من الشّرب والأكلِ

ويُلزمهـــم أن يَنكَحـــوه وعِرسَه وصعبٌ على مَن شئتَ خَرجٌ بلا دَخلِ

---

(١) تشنع : تقبح، وفى الأصل هكذا « لسع » . (٢) البرانى : جمع برنية وهى وعاء من خزف . (٣) النرد : شيء معروف يلعب به — وهو ما يسمى « بالطاولة » — . (٤) يريد زجاجة بيضاء . (٥) الضريب : العسل الأبيض الغليظ . (٦) زبر : جمع زبرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٧) السد : — بالفتح ويضم — الحاجز بين الشيئين والمراد به ما بناه ذو القرنين ؛ وقصته معروفة فى القرآن الكريم . (٨) مانى : رجل يقول الخير من النهار ، والشر من الليل ، ومذهبه مذهب المانوية ؛ — ومعنى البيت مضطرب — .

* * *

وقال :

قل "لأبن جابرَ" الذى جعلَ الله لـــه كلّ خَـــلّةٍ[(١)] قـــذرَه :
الجنُّ نارٌ والإنسُ من حَمَـــإٍ[(٢)] فأنتَ لِمْ ذا خُلقتَ من عَذِرَه[(٣)] ؟

* * *

وقال فى سوداء :

عُلِّقتُها حمّـاءَ[(٤)] مصقـولةً سـوادُ قلبى صفـةٌ فيهـا
ما انكسف البدرُ على تمِّهِ ونُورِه إلا ليحكيهـا
لأجلهـا الأزمان أوقاتُهـا مؤرخاتٌ من لياليهـا

* * *

وقال فى الشيب :

لم أبكِ أن رحلَ الشبابُ وإنمـا أبكى لأنْ يتقاربَ الميعـادُ
شَعـــرُ الفتى أوراقُه فاذا ذوَى جفَّت[(٥)] على آثاره الأعـــوادُ

* * *

وكتب الى أبى الخير سعيد بن منصور بن مُوصَلَايا يستهدى منه أقلاما ومِدادا عند توجُّهِهِ إلى بعض الأسفار

"أبا الخير" المفيدَ لكلِّ خيرٍ وكاسىَ نُبْـلِه ريشَ الصوابِ

---

(١) الخلة : الخصلة ، والبيت غير متزن وقد تحاشينا التصرف فيه . (٢) الحما : الطين .
(٣) العذرة : الغائط . (٤) الحماء : السوداء كالحما وهو الطين . (٥) فى الأصل «خفت» وهو تصحيف .

ومن ألقى اليه الناسُ طرًّا ... مقاليدَ الكتابة والحسابِ

ومن إن شاء إنشاءً بليغا ... فليس يعُوزه فصلُ الخطابِ

فضائلُ يُنسَب الإحسانُ فيها ... كما نُسب القِطارُ الى السحابِ

أرانا كلَّ معجبةٍ إلى أن ... أرانا عنده لونَ الشبابِ

مِدادا إن تضمَّنه محلٌّ ... ظننتُ مقرَّه وكرَ الغرابِ

فما أدرى أمن كُحلٍ مُماع ... تجسَّم أم دُجَى ليلٍ مذابِ

تقولُ اللِّمَّة (١) الشمطاءُ (٢) لمَّا ... رأته : ليتَ هذا من خِضابى!

وقد أزِفَ الرحيلُ فلا مقامٌ ... سوى شدّ الرِّحال على الركابِ

إلى ملكٍ توسَّط بين برٍّ ... وبحرٍ طافحٍ سامى العُبابِ

فلستُ بواجدٍ فيه أنيسا ... سوى الحيتان تُقرنُ بالضِّباب (٣)

فزوّدْنى من الأنقاس (٤) قدرا ... يقوِّتنى إلى حين المآبِ

فإن أسعفتَ بالأقلام منًّا ... فما يغنى الطعامُ عن الشرابِ

* * *

وقال :

تزاحَمُ فى صدرى القوافى ولا أرى ... لها مستحقًّا فى الزمان ولا أهلا

وكيف امتداحى معشرا شجراتُهم ... عوارٍ فما تُجدِى ثمارا ولا ظلًّا

---

(٢) اللة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٢) الشمطاء : التى خالطها سواد وبياض .

(٣) الضباب : جمع ضب وهو معروف . (٤) أنقاس : جمع نقس — بكسر النون — وهو الحبر .

فلو شَرُفوا بالعلم وٱطرحوا الندى تأوّلتُ فيهم أننى أمدح الفضلا

ولو تركوا الآدابَ عنهم بمعزلٍ وجادوا ، لقلت : أمدحُ الجود والبذلا

ولكنهم عن ذا وذاك تزحزحوا فلم أرَ أنى أمدحُ الجهلَ والبخلا

⁂

وقال وقد سئل أن يلغز أبياتا فى النار :

هل تعرفُ الحسناءَ تفـ ـخَر بالبروز على الطريقِ؟

ولها ولىٌّ لا يغا رُ من الزيارةِ والطُّروقِ

لا يستريبُ بها وإن كانت شِعارا للرفيقِ

وإذا ٱختفت فى خِدرها جُلِدتْ لتَظهرَ فى الحقوقِ

فأتتك منه فى حِدا دٍ ناصلٍ واهى الخروقِ

ثم ٱكتست بغلالةٍ إما عَرارٍ (١) أو شقيقٍ (٢)

تاجُ الزُّمُرُّد (٣) فوق مَفـ ـرقها يُرَصَّعُ بالعقيقِ

بين الأنام وبينها ماشئت من نسبٍ عريقِ

⁂

وقال :

تقاعستُ عن أبناءِ دهرِىَ عائفا مواردَ منهم ضافياتِ الغلائلِ

ولى قُرُباتٌ عندهم غيرَ أننى أضَنُّ على أفضالهم بفضائلى

(١) العرار : النرجس البرى ؛ او هو بهار ناعم أصفر طيب الرائحة . (٢) الشقيق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سوداء كبيرة . (٣) الزمرد — بالدال والذال — حجر كريم أخضر اللون .

***

وقال ولم يتمّمها :

فَتىً من الحبِّ قلبُه فنجَا … من بعد ما خاضَ فى الهوى لُجَجَا

فما سباه ملثَّم بضُحىً … ولا شجاه معمَّم بدُجَى

من بينك حولا يُعذَر فكيف بمن … بكَى على رسم دارهم حِجَجا

هذا اللّى ذلك الذى شغف الـ … ـقلبَ وخمرُ الثغور ما مُزِجا

فكيف حالَ الغرامُ منه قِلًى(1) … ونال من بعد شدَّةٍ فرَجا

لا تأمنَنَّى على مراجعةٍ ؛ … مَن دبَّر الحبَّ قبلَنا بحِجَا؟

يا ناقةَ الظبيةِ التى ظعنَتْ … أهودجا ما حمَلت أم بُرُجا؟

زاد بك البدرُ فى منازله … منزِلتَيها «عُسْفَانَ(2)» أو «أمَجا(3)»

قد أغربَ القينُ(4) فى سهامهمُ … راشَ بهُدبٍ ونصَّلَ الدَّعَجا

أليس هذا السلاحُ ويحكُمُ … أحكَمَ «داودُ» الذى نَسَجَا

كانت دموعى ماءً فصرنَ دمًا … أأبدل السنَّ شأنَها ودَجَا(5)؟

ونار قلبى هى التى ظهرت … تُوقَدُ فى الليل مَفرِقى(6) سُرُجا(7)

---

(١) القلى : البغض (٢) عسفان : منهل من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل غير ذلك . (٣) أمج : بلد من أعراض المدينة . (٤) القين : الحداد . (٥) الودج : عرق فى العنق إذا قطع لا تبقى معه حياة . (٦) المفرق : — من الرأس — محل فرق الشعر . (٧) سرج : جمع سراج وهو معروف .

ليت الذى نظّـمَ اللآلئَ فى فـرعِىَ خَـلّى مكانَهـا السَّبَجا (١)

يا مولجَ الليـلِ فى النهـارِ أما آن لصبحٍ فى الليـل أن يَلِجا؟!

* * *

وقال ولم يتمّها :

جاريتُ (٢) فى الحبّ أطلاقا (٣) بلا أمدِ فها أنا سابقُ (٤) العُشّاقِ بالكمــدِ

ما يستطيل فؤادى فى الهوى سَفَرا والهمُّ زادى وماءُ العين من عُدَدِى

خفْ يا مليكىَ أن يفنَى عذابُكَ لى ولا تخفْ أننى أبقى بـلا جَـلَدِ

جيشٌ من الصبر عندى ليس يهزِمهُ شـوقٌ تُغـير سَرَاياه (٥) على الكبِـدِ

بلغتُ أقصَى المَدى فيه وما تَمَّتْ منه الوشاةُ فـلم ينقُص ولم يزِدِ

إن الألى ملئـوا الأجفانَ من مطرٍ هـم الألى ملئـوا الأفواهَ من بَرَدِ

مَن نابُهُ شَنَبٌ (٦) وظُفْـرُه عَـنَمٌ (٧) فهو الغزال الذى يجنى على الأسدِ

نفسى إلى الله لا تشكو جفـاءَكمُ ولا إليكم ، فهل تشكو إلى أحدٍ؟!

* * *

وقال :

تُسائلنى دِرعى : أهذى هى النَّبلُ؟ لعـلَّ الذى شبهتَـه الأعينُ النُّجلُ!!

---

(١) السبج : الخرز الأسود — فارسى معرب — . (٢) فى الأصل «حاربت» وهو تصحيف .

(٣) أطلاق : جمع طلق — بفتح الطاء واللام — الشوط ؛ — وبضم الطاء واللام — غير المقيد من البعران أو النوق ؛ والفرس اذا كانت إحدى قوائمها لا تحجيل فيها . (٤) فى الأصل «سائق» وهو تحريف . (٥) سرايا : جمع سرية وهى القطعة من الجيش . (٦) الشنب : ماء ورقة فى الأسنان . (٧) العنم : شجر ثمره أحمر يشبه البنان المخضوبة .

رمَيْنَ(١) سهاما فى الجســوم جراحُها، وما أنتَ من سهم به يخرُج العقلُ؟!
متى ماتجِدْ لى الشمسَ فى غسَق الدُّجى أجِدْ لك قلبا ماله فى الهوى شــغلُ
ولولا اتفاقُ النـاس فى الحبِّ أنه قديمٌ، لقلتُ : لوعتى مالهَا قَبْــلُ
أيا حادىَ الأظعان أعجِــلْ فإنها الـ منايا، وبعضُ البرِّ أن يؤجَرَ(٢) القتلُ
و يا قلبُ أقرِرْ بالذى كنتَ جاحدا فقــد ضجِر اللاحى وقد فنِىَ العــذلُ
يزيد الحسانَ البيضَ فى اللؤم رغبةً تصوُّرُنا أنْ منهمُ يحسُن البُخلُ

* * *

وقال :

يا " آل عوف " أنجدوا الصّبَّا ولطالمــا فرَّجــتُمُ الكَرْبا
كانـ ابتداءُ أخيكُمُ مِقَــةً ثم استحالت بعــدَ ذا حَربا
كُفُّــوا ظبــاءً فى مَسارحكم تَسبى إذا غُزِيتْ(٣) ولا تُسْبَى
وخذوا يدى اليمنى معاهِــدةً أن لا تعاوِد مقــلتى الحُبَّــا
قالوا : حَلّنا عنهُ رِبقَتَــهُ ، صدَقوا، وشَدّوا العينَ والقلبا

* * *

وقال ولم يتمّها :

أتنساهــا على " خَيْف مِنًى " تهــوِى أبابيــلا(٤)

(١) فى الأصل هكذا « سين » ولعلها محرفة عن « رمين » بأن شبكت الزاء فى الميم فالتبست على الناسخ .

(٢) فى الأصل هكذا « يوجر » . (٣) فى الأصل « غرنت » وهو تصحيف .

(٤) الأبابيل الجماعات .

وقـــد ألبسها الوخدُ (١)   مِن المَرْو (٢) خلاخيلا

رُبًى فيهـا ترى الحامـ   ـل قـــد شابَهَ محمـولا

فـذا بالنُّسك منحـورا   وذا بالحبّ مقـــتولا

أتـــدرى أيُّهـا أَسـر   ـعُ للأرواح ترحيـــلا

هـــل البيضَ المبـاتيرَ (٣)   أم البيضَ العَطابيـــلا (٤)؟

وليس الحـدُّ مصقولا   بدون السيف مصقولا

أمَن يقطعُ فى غِمدٍ   كمن يقطـــع مسلولا؟

ألا يازاجـــرَ السانـ   ـح (٥) ما أحسنتَ تأويلا

جرَى اليمنَى وما صادفـ   ـتَ حبلَ الوصل موصولا

أرَى الخدرَ (٦) لمـا يصنـ   ـعُ بى سُكّانُهُ غيلا (٧)

* * *

وقال :

أظنُّك تبتغى حلَبَ الثـغورِ   ولو عُوِّضْتَ بالمـاء النمـيرِ

---

(١) بالأصل، "الوجد"؛ والوخد : ضرب من السير السريع . (٢) المرو : حجارة بيض براقة ، وهو أيضا موضع من شعائر الحج . (٣) فى الأصل « السمر » وكتب أمام هذا البيت فى هامش الأصل « أظنه البيض » ؛ ونحن نرجحها لأن السمر — وهى الرماح — لا توصف بأنها باترة ، والبيض المباتير : السيوف القاطعة والبيض الثانية : الجوارى الحسان . (٤) العطابيل : جمع عطبول وهى الجميلة الطويلة العنق . (٥) السانح : الطائر أو الظبي يمر من اليمين — والعرب تتفاءل به وضده البارح — . (٦) الخدر : بيت الجارية . (٧) الغيل : بيت الأسد .

وتطلبُ من حَمامِ الأيك لحنا ... يَهيج بلابلَ القلب الذّكورِ

***

وقال :

يا كاهنَ الحبِّ خبّرنى مَن الجـانى ... عينى التى عشِقت أم طَـرْفىَ الرانى؟ (١)

ولو علِمتَ الذى يجـرِى على كبدى ... لقلتَ : إنهما فى الحبِّ (٢) سِـيّانِ

***

وقال ولم يتمّمها :

قد علمتْ ليـلة الحمى ورَعِى ... والبـدرُ فيهـا فريسةُ الطمعِ

أُغمِضُ عينىَّ عن محاسنهـا ... والقلبُ ما تذكر الجفونُ يعِى

تزجُرنا خيفة "الإمامِ" عن الـصّـبوةِ زجرَ المشيبِ والصَّـلعِ

"القـائم" المنتضِى صوارمَه ... على رءُوس الأهواءِ والبِـدَعِ

بذكـر أسمائِه التى شرُفَت ... يُعرَفُ فضـلُ الأعيادِ والجُمَعِ

***

وقال ولم يتمّمها :

لا مجـدَ إلا "للإمام القـائم" ... وإن ادّعته عصابةٌ من "هاشمِ"

نرضَى لدينِ الله والدنيـا الذى ... رضِىَ النبىُّ لـبُرْدِه والخـاتمِ

(١) كذا بالأصل ، ومعنى العين والطرف واحد ، ولعل صوابه :

* عَينِى التى عَشِقَتْ أمْ قلبىَ العانى *

(٢) فى الأصل «الحسن» وقد كتب فوقها بالقلم الرصاص «الحب» فرجحناها .

***

وقال فى غَرَض :

أُقسم بالعاديات ضَبْحا (١)(٢) حقًّا وبالموريات قَدْحا (٣) :

بأنكم توسعون مَقْتا من زادكم عِفة ونصحا !

فى كلّ يوم لكم سطورٌ تُكتبُ بالعهد ثم تُمحَى

وكلُّ ما يُبتَنَى عِشاءً يُهدَمُ بعد التمام صُبحا

كالأفق إن غام فى جَنوبٍ هبّت شَمالٌ له فأصحَى

آمالُنا فيكُمُ هَباءٌ أضرَبَ عنها الرجالُ صفحا

من همُّه أخذُ رأسِ مالى فكيف أرجو لديه ربحا ؟ !

***

وقال :

ياليتهم حين صيَّروا خدَما عُمَّالَ عُمّالهم كما حكَما :

جَرَوا على ذلك القياسِ بأن تصيرَ عُمّالُهم لهم خدَما

***

وقال ولم يتمّمها :

بعينيك إضرامُهم للأكَمْ بحُمرِ القِبابِ وحُمرِ النَّعَمْ

تخَيّلها الضيفُ نارَ القِرَى وما هى إلا قلوبُ الأمَمْ

---

(١) العاديات : الخيل — سميت بذلك لعدوها — . (٢) الضبح : صوت للخيل فى عدوها لا بالصهيل ولا الحمحمة . (٣) الموريات : الخيل تصك الحجارة بحوافرها فتبدو منها النار — على التشبيه بإيراء الزناد — .

ورقَّ الحُـداةُ لإنصاتِهـم (١) ... فأبدلْنَها بالسـياطِ النَّـغَمْ

لقد كذبَ الفالُ لمـا زجرتُ ... ظباءَ "سُلَيمٍ" "بوادى السَّلمْ" (٢)

فما كنَّ إلا الجوى والأسى ... وطولَ السهـادِ وفرطَ السَّقَمْ

أترجو لمن قـد هَوِى صحّـةً ... وما علّـة الحبِّ إلا اللَمـمْ؟ (٣)

ولمـا رأى الـبُرءَ فى عَـذْله ... رماه الهـوى بالعمَى والصَّمَمْ

تظنُّ السحائبَ أجفـانَهُ ... لو انَّ السحائبَ تهمى بدمْ

ولولا الغـرامُ لمـا شاقَـه ... حَمـامٌ دعَا أو غـزالٌ بغَـمْ (٤)

* * *

وقال ولم يتمّها :

غداً تراهـا جُنَّحاً على "الغضا" ... تطلُب عهدا من زمان قد مضَى

ما بالهـا خاشعـةً أبصارُهـا ... إلا اذا برقُ "العقيق" أومَضـا

مرُوعـةً تحسَبُ فى هـاماتها ... صـوارما منـه عليهـا تُنتضَى

حنّتْ إلى ركبِ "الحجاز" تشتكى ... إليه من أهلِ "العُذَيب" مَرضا

مالكَ فى الركبِ غريمٌ ماطلٌ؟ ... بلَى، على الحىّ ديونٌ تُقتضَى

قال : وهل ترجو الوفاءَ عندهم ... كأنهـا على الأجلِّ "المُرتضَى" (٥)

---

(١) فى الأصل «لأنصابهم» وهو تصحيف. (٢) فى الأصل «ووادى السلم» وهو تحريف.
(٣) اللم : الجنون. (٤) البغام : صوت الظبى. (٥) الهاء فى كأنها عائدة الى الديون فى البيت السابق.

***

وقال :

وقائلٍ : لِمْ هجرتَ الشعرَ من زمنٍ فقلتُ قولَ أمرئٍ من خَيرِه يئس :

رأيتُ هجوى أناسا معجزا[1] لهـمُ وخاب مـدحى فبعتُ النُّطقَ بالخرس

***

وقال :

قل "لأبن قُـرَّانٍ" مقالةَ ناصحٍ : أخطأتَ حين نكحتَ حُوراً عِينا

عَلِقتْ حِبـالُك ظبيـةً وتركتَها وكأنهـا لم تحـو منك قرينـا

تالله أقسم أنها إن لم تعُـدْ بعـدَ البَكارةِ لاحقـا وأبـونا

تَركتْكَ كأسم أبيـك تفتَحُ قافَهُ وتزيـدُ فيه بعـد راءٍ نـونا[2]

***

وقال وسُئل عملَ أبيات فى النارنج :

إذا فُتِنَ الإنسانُ يوما بمنـظَرٍ فإنى إلى النـارنج مائلةٌ نفسى

تظنُّ السماءَ خُضرةً شجـراتِه وتحسَبه ما بينهـا كُرَةَ الشمسِ

***

وقال يُلغز بِجَرَّة :

ذاتُ أيدٍ ثلاثةٍ أبـدَ الدهـ ـرِ ترى فـوقَ رأسِها أيديها

(١) كذا بالأصل ويحتمل أن تكون "مفخرا" .

(٢) يريد أن آسمه يصير «قرنان» وهو بمعنى الديوث — وهو الذى يرى الريبة على أهله فيغض عنها —

شربَتْ ماسقيتَها من شراب   ثم تسقيكَ مثلَ ما تَسقيها

خَرْتُ (١) آذانها مَغابِنُ (٢) أيديـ   ـها ويافُوخها مقرٌّ لفيها

* * *

وقال يهجو :

قالوا : "ابن مالكَ" قَرنانٌ فقلت لهم :   كذبتُمُ وأثِمتم بل لـه ذَنَبُ

لو كان يملك قرنا كان ينطح عن   شاةٍ له كلُّ تيسٍ فوقَها يثبُ

* * *

وقال :

عيوبٌ "لابن مالكَ" قد كفَتني   عَناءَ الذمِّ فيه والأهاجى

بلى ! قالوا : له جارٌ جريٌّ   على نِسوان عمال الخراج

وليس بطالبٍ منهنّ شيأ   سوى طلب الديوك من الدَّجاج

له رمحٌ بأسفلِ حالبيْـهِ   يجيد الطعنَ فى يوم الهياج

وقد نقَهتْ عليه عِرسُ "يحيَى"   على وجه التداوى والعلاج

لأنَّ بها على ما قيل يَبْسا   وأنّ صديقَها رطبُ المزاج

فحازَ النَّيكَ رِخْمٌ فيلسوفٌ   ببرهانٍ صحيحٍ واحتجاج

فلا تفْرِد (٣) بها شرقا وغربا   فما أحدٌ من الحدثانِ ناج

---

(١) الخرت : الثقب . (٢) المغابن : الآباط ، واحدها مغبن — بكسر الباء — .

(٣) فى الأصل هكذا « مرر » .

* * *

وقال :

"ليحيَى بن عبدالله" عِرسٌ كريمةٌ ... تعاتبُه أن صاغـه اللهُ ساقطا

فما يمنعُ البطنَ الخميصةَ زانيًا ... ولا يحـرِم الظهـرَ الموطَّأَ لائطا

فأيّ سبيليْها أراد سلوكَه ... أصاب له فيـه شريكًا مخالطا

ولو حَمَل "الثورُ" السمائىُّ قرنَه (١) ... لخرّ من الأفلاكِ بالأرض هابطا

ومن كان ذاك الوجهُ مرآةَ وجهِه ... فلا نُكرَ أنْ يُمسي ويُصبحَ ساخطا

عَبوسٌ تظلُّ العينُ منـه قريحةً ... كأنّ عليـه للقَتادة (٢) حائطا

ألا ضـلّةً للقـوم ردُّوا ولايةً ... اليـك ولو كانت تُغـلُّ قرارطا (٣)

فما استحفظوا إلا ذؤيْبًا مُغاورا ... وما استودعوا إلا لُصَيْصًا مغالطا

فلا تبتهج بعاجل الأمر فيهـمُ ... فسوف ترى فى أخدَعيْك (٤) المشارطا

ستلقَ أليمَ الأخذ للعظم كاسرا ... وللحم مِنضاجا وللجـلد سامطا

وإن تنجُ لا يُنجيك من سطواته ... بنفسك إلا أن تُحلَّ الخرائطا (٥)

---

(١) يريد برج الثور، — وهو أحد البروج التى تنزلها الشمس — .

(٢) القتادة : شوك شجر صلب كالإبر . (٣) قرارط : جمع قيراط — كمفتاح ومفاتح — والقيراط بمكة ربع سدس الدينار، وفى العراق نصف عشره، ويستعمل القيراط أيضا فى المساحة وقد جعل دستورا فى الحساب، فإنهم يقسمون المتجزئات الى أربعة وعشرين قيراطا لأنه أول عدد له نصف وثلث وربع وسدس وثمن صحاح من غير كسر فيطرد التقدير به . (٤) الأخدع : عرق فى الرقبة إذا قطع لا ترجى بعده حياة . (٥) الخريطة : وعاء من أدم يشرج على ما فيه .

فأعِدْ لهم ما خنتَ فيه سواهُمُ   وعَدِّك[1] لم تنظر بعينيك "واسطا"

ويا بَردَها عند الفؤادِ بأن ترى   على قارعاتِ الطُّرْق كفّيك باسطا[2]

* * *

وقال :

يا دُرَّة البحر لو أنصفت نفسك ما   جعلتها سِـــلكَ دُمــلوجٍ[3] وخَلخالِ

كم ذى حُلِيٍّ وقد أزرَى به عَطَـلٌ   وعاطل ليس يدرى أنـــه حالِ

لولا الهوى لم يبتْ سكّانُ "كاظمةٍ"   ممّن منــازلهم "بحجْــرٍ" على بالِ

* * *

وقال :

علَى مَن تبيعُ متاعَ الأدبْ   وتنثرُ دُرَّ كلام العـــرَبْ؟

ومن يستحقُّ حُلِيَّ المديحِ   يصاغُ له كحُــلِيِّ الذهبْ؟

* * *

وقال :

سَنَحْن كما اعترضَ الربربُ[4]   ولكــنَّ صــدَّهمُ أعجبُ

وجوهٌ ترقــرقَ ماء الجمــا   لِ فيهنّ لو أنّه يُشــرَبُ!

---

(١) عدك : اصرف نفسك . (٢) يريد أنها تراه متسولا . (٣) الدملوج : حلية كالسوار تلبس فى الذراع . (٤) الربرب : القطيع من الظباء .

*
* *

وقال :

وليـلةٍ قد نسجَتْ ريحُها غــيما به آفاقُهـا تكتسى

ما زال يطوى النجمُ أخبارَهُ فيها عن الناظر حتى نُسِى

خلنا بها الأرضَ سماءً وقد أُطلعَ فيهـا أنجمُ الـنرجِسِ

*
* *

وقال :

عَذبٌ من المـاءِ قد سُدّتْ مواردُه سيّانِ واجدُ ممنـوعٍ وفاقـدُهُ

تجفو تعـذُّرَ حبٌّ لست تُبصرهُ والمُـرحِرمانُ محبـوبٍ تُشاهـدُهُ

أرنحى ذوائبَــه دونى يُشكّكُنى أَهْى التى ســترتْهُ أم ولائـــدُهُ؟ ! (١)

فليت قَدْ قدَّ من جفـنى براقعَـه وإن كفَى فُصِّلتْ منـهُ مجاسِدُه

القدُّ والخصر والطرفُ الكحيلُ له فكيفَ يُغلَبُ مَن هذى مكايدُهُ؟ !

وما أردتُ ســلُوّاً عن محبّتــه إلا وقلـبى على كُلٍّ يُساعـــدُهُ

*
* *

وقال :

يا حسنَ مَغداكَ وطيبَ الرواحْ ذاكَ هو السعىُ وهـذا النجاحْ

مــذ زجَروا فألَك أعلمتُهــم إمساكَ أيديهم عنانَ القِــداحْ

(١) ولائد : جمع وليدة وهى الأمة .

*
* *

وقال :

قـد عاد بدرُ الدجى الى فلَكه ... يغسلُ وجهَ الظلام عن حَلَكهْ

سَرَى وأفراسُــه مطالعُـــهُ ... وتَقعهُنَّ المُثـارُ من حُبُكهْ (١)

فٱقتنَص المجـدَ فوق عاتقـه ... وٱستأسر المكرماتِ فى شَرَكهْ

أهدىَ به الفضلَ والسماحةَ وال ... ـعزمَ "إمامُ الهدَى" الى مَلكهْ

*
* *

وقال :

شَككتُ وقـــد زارنى غَلطةً ... أفى يقْظـةٍ ما أرى أم منَـامْ ؟!

*
* *

وقال :

تسعَى بنا قدمُ الرجاءِ وما الذى ... يُغنِى إذا قَعدتْ بنا الأرزاقُ !!

*
* *

وقال :

قومٌ كئوسُهمُ السـيوفُ وخمـرهُم ... ما ٱستَخرجتْ من شاخِبِ (٢) الأوداجِ (٣)

---

(١) الحبك : الطرق .   (٢) الشاخب : السائل .   (٣) أوداج : جمع ودج وهو عرق فى العنق إذا قطع لاترجى بعده حياة .

٭٭٭

وقال :

لا يَرُعْكَ عندك آختلالُ بجسمى فقِـــوامُ الأرواحِ بالأجسامِ

٭٭٭

وقال :

ما يصنعُ المستِسرُّ[1] بالغـابِ صُـــنعَ ظِباءٍ وراءَ أطنـابِ[2]

جفـونُ هذى باللحظِ تُرسلُها أقتـلُ مِن ذا بالظُّفْرِ والنابِ

انتهى

---

(١) المستسر : المختفى ، — ويريد به الأسد — .

(٢) أطناب : جمع طنب وهو حبل طويل يشدّ به سرادق البيت .

هـــذا آخر ما وجد بالنسخة المخطوطة

* * *

"قال عبدُ الله بن إبراهيم الخيرىّ : هذا آخر ما وُجِدَ من شـعرِه ؛ وكان رحمه اللهُ يقول :

إنّ أكثرَ شعرِه ضاعت مسوداتُه فى النُّهوبِ والاختلافاتِ ؛ وما كان سبب جمعِه غيرى ، وكان رحمه اللهُ كلَّما عمِل بعد ذلك قصيدةً يُنفذها الىّ ، ويقرؤها علىّ ؛ والحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلاتُه وسلامُه على محمدٍ النبىِّ الأمىِّ وآلِهِ الطاهرين أجمعين" .

كتبها بخطه لنفسه محمود سامي الشهير بالبارودي
من دار الكتب الشهيرة بطوپ قپوسراى
بدار الخلافة العلية بالقسطنطينية
في شهر رمضان ١٢٨٥ من
نسخة بخط ابي علي
الحسن ابن علي
كتبها
سنة ٥٢٦

وقد تم نسخها في ستة ايام لضيق الوقت

إحـــتمال

نضع فى هـذه الصفحة بعضَ احتمالاتٍ على سبيل المثال مما ورد فى هـذا الديوان لطائفةٍ من الكلماتِ التى تحتملُ وجها آخرَ غير جازمين بها إلا على وجه هذا الاحتمال وللشعر وجوه :

صفحة	سطر	
٢	٨	أعراس — يحتمل فيها فتح الهمزة على أنها جمع ، وكسرها على أنها مصدر .
٣٣	٣	محلِّق — كذا بالأصل ، ومن قراءة البيت يجوز أن يكون معناه : أن هذا الجواد لا يسبقه شيء حتى الطير المحلق فى مداه ؛ ونقول إن من المحتمل أن يكون " مُخلَّق " بمعنى ممسوح بالخلوق وهو طيب يغلب على أجزائه الزعفران ، وكانت العرب تمسح به على وجه الجواد السابق للدلالة عليه . وكان من عاداتهم أيضا أنهم اذا أرسلوا خيلا على صيد فسبق أحدها خضبوا صدره بدم الصيد بدل الخلوق علامة له .
٣٤	٣	يجنُب — كذا بالأصل ، ونرجح أن تكون " يحلِب " وإن كان للأولى معنى ولكنه غير دقيق .
٤٤	٢	طال — كذا بالأصل وله معنى بعيد ، ونحن نؤثر أن يكون صوابه " حان " .
٥٨	٩	تُزهَى لَهُ — كذا بالأصل وبمختارات البارودى ؛ ويحتمل أن تكون " تُزهَى بِهِ " كما يقتضيه الاستعمال الفصيح .
٦٩	١٠	المربع — من المحتمل أن تكون " المرتع " .

صفحة	سطر	
١٠٩	٧	إن مرِضتْ ليلةٌ غُمّىً كواكبُها — كذا بالأصل ، وهو لا يخلو من معنى ؛ ويحتمل أن يكون :
		* إن عَرَضَتْ ليلةٌ غُمّتْ كواكبُها *
١٧٤	٨	ليهنِك — كذا بالأصل ويستعملها كثير من الشعراء على زعم أنها صواب ، وقد جاء فى اللسان : « والعرب تقول : ليهنئك الفارس — بجزم الهمزة — ، وليهنيك الفارس — بياء ساكنة — ولا يجوز ليهنك كما تقول العامة » .

ملاحظـــة

شرحت كلمتان فى هـذا الديوان بغير المعنى الذى يقتضيه سياقهما ، الأولى فى صـفحة ١٤٢ رقم ٢ من الشرح وهى « السابرىّ » : الثوب الجيد ؛ وصوابه «الدرع المحكمة النسج» . والثانية فى صفحة ١٥٨ رقم ٧ من الشرح وهى «المزاد» : وعاء يوضع فيه الزاد، وصوابه : « وعاء من جلد يوضع فيه المـاء » .

إســـــتدراك

نستدركُ فى هــذه الصفحة أغلاطا وقَعتْ فى هــذا الديوان أثنــاء الطبع ، وهى وإن كانت لا تخفَى إلا أنّنا آثرنا أن ننبه عليها ليرجعَ اليها القارئ فى محلّها .

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١٠	دَهْرِيّة	دُهْرِيّة
٣٤	٤	المُصيف	المَصيف
٣٦	١٢	يزال	زال
٤٩	٧	وحشَ	وحِش
٥٥	٧	ياعزّ	بأغرّ
٥٥	٧	فوق	فَرْق
٥٧	١٠	الصورُ	الصدرُ
٦٨	١٢	أطلال	أظلال
٦٨	١٢	الرجال	الرحال
٧٠	٥	سحابةٍ	سحابةٌ
٨٤	٢	يقطُف	يقطِف
٩٣	٩	مِراح	مُراح
١١١	١١	تعرّضَ	تعرّضْ
١١٧	٩	بِرهم	مَرهم
١١٩	١	أصوم	أحوم
١٣٤	٤	قُطار	قطار

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٨	٧	قُطار	قِطار
١٤٠	٢	فاعلَ	فأغلَ
١٤٧	١٤	شُمُت	شُمُت
١٦٠	٤	قَسّ	قُسّ
١٦٥	٨	يُخدَع	يُجذِع (١)

(١) يجذع : يصير جذعا — وهو من الخيل والإبل — ما قبل الثنى .

(مطبعة الدار ٤٨/١٩٣٢/٢٢٥٠)